تاريخ المغرب والأندلس

اعداد

أ.د/ نجلاء سامي النبراوي

كلية الاداب بقنا

قسم التاريخ

العام الجامعي

٢٠٢١ / ٢٠٢٢

بيانات الكتاب

أستاذ المقرر / د:حجاجي جابر عباس

- **الكلية:** التربية **بالغردقه**
- **الفرقة:**رابعة عام تاريخ –ثالثة دراسات
- **التخصص:** التاريخ
- **تاريخ النشر :**٢٠١٢م
- **عدد الصفحات:**٢٤٧صفحة

القسم الاول

تاريخ المغرب الاسلامي

الفصل الأول

الفتح العربي للمغرب

(٢١-٩٠هـ)

تمهيد :

***طبيعة السكان والمكان**

*** الفتح العربي لبلاد المغرب :**

-الفتح في عصر الخلفاء الراشدين

-الفتوحات في عصر الدولة الاموية

-مراحل فتح بلاد المغرب

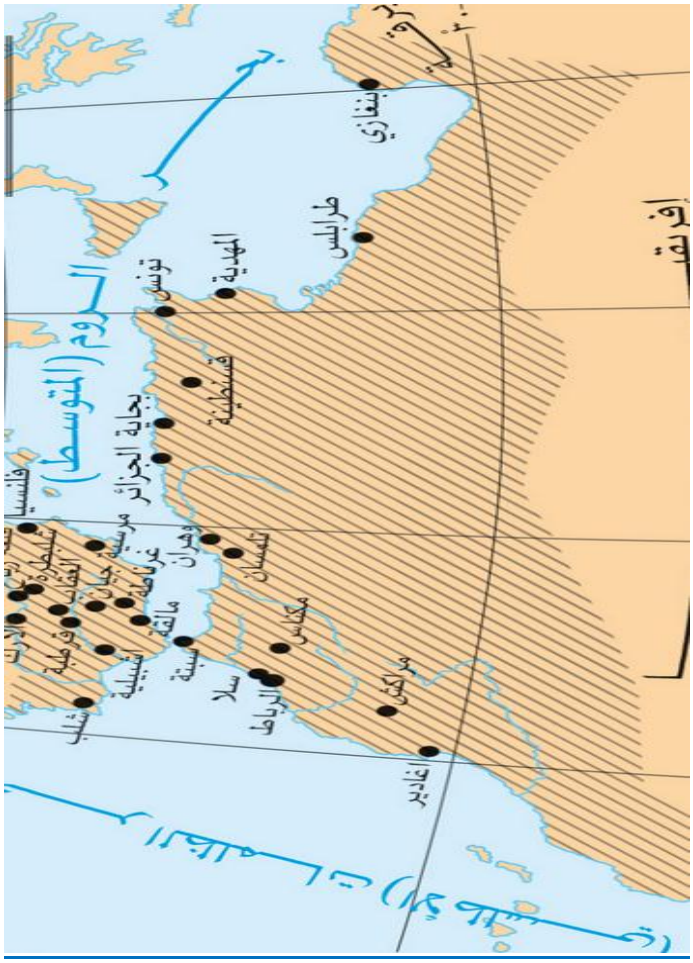

المصدر :rqiim.com

خريطة لبلاد المغرب

١ – الفتح في عصر الخلفاء الراشدين (١٣ – ٤٠ هـ) :

يشغل فتح بلاد المغرب مساحة كبيرة في تاريخ العرب العسكرى ويختلف في مراحله وطبيعته عن بقية الفتوحات الإسلامية التي تمت في جهات أخرى مثل بلاد الشام والعراق ومصر علاوة على بلاد فارس ، فنجد أن هذه الجهات السالفة الذكر قد استغرق فتحها وانهارت أمام قوى المسلمين العسكرية في أقل من عشر سنوات ولم يحدث – على الإجمال – نكسات – بعد تمام فتح المسلمين لها .

في حين نجد أن بلاد المغرب قد خرجت عن هذه القاعدة حيث تعرضت الجهود التوسعية الإسلامية فيها بنكسات وهزائم متلاحقة قبل أن تنضم إلى الحكم العربي وتخضع له ، فطوال مراحل الفتح نجد أنه بمجرد تحقيق السيطرة على منطقة أو مدينة ما من قبل المسلمين ، نجد أن القلاقل والثورات تقام ضد المسلمين الفاتحين ليعودوا مرة أخرى إلى نقطة البدء من جديد .

وقد تدخلت العديد من العوامل في حدوث مثل هذه النكسات والهزائم ، من هذه العوامل ما هو مختص بالجبهة العربية الإسلامية ونعني به المنازعات السياسية الداخلية داخل الخلافة والتي ساعدت بشكل كبير على الحيلولة دون حسم الموقف العسكري على أرض المغرب بصورة كاملة .

ومن هذه العوامل ما هو مختص بالجبهة المغربية ونعني به الطبيعة الجغرافية المميزة بلاد المغرب ، فلم يتعود المسلمون على الطبيعة الجبلية الوعرة وهو ما يميز طبيعة بلاد المغرب الجغرافية .

وتعنى به أيضا القبائل البربرية المنتشرة ببلاد المغرب والتي احترفت حياة الحرب والقتال فوقفت موقف الند للند إزاء القوى الإسلامية فاستطاعت التغلب عليها في أوقات ومعارك كثيرة ، نظرا لأنها الأعلم والأعرف بطبيعة بلادها الجغرافية والتي تتميز بوعورة التضاريس وهو ما لم يعهده العربي الناشئ في الأراضي المتوسطة – نوعا ما – في شبه الجزيرة أو الشام أو مصر

*** ولاية عمرو بن العاص (٢٠ – ٢٤ هـ):**

تعود البدايات الأولى لفتح المغرب إلى مطلع العقد الثالث من القرن الأول للهجرة في وقت كان عمرو بن العام – أحد قواد الفتح – قد أنهى السيطرة على مصر خلال سنوات ثلاث (١٨ – ٢١ هـ / ٦٣٩ – ٦٤٢ م) ثم تابع سيره غربا إلى برقة لتأمين فتح مصر لا سيما وقد تأكدت الاتصالات بين حاكم الإسكندرية وحاكم برقة وتعاونهما لصد جيش المسلمين.

ففيما ذكره الواقدي أن حاكم الاسكندرية – ابن المقوقس – حاول الاستعانة بحاكم برقة فأرسل إليه رسالة من نصها :

" وأنهم قد أتونا وأخذوا مصر وأخذوا ملكنا وحكيرا في بلادنا بعدنا ولابد لهم منك ولا غنى لهم عنك والصواب أن تشمر لهم الهمم وتجدنا على من بغي وأجرم فنحن جيرانك وكلنا جندك وأعوانك"

ويذكر الواقدي أيضا أن صاحب برقة بعدما استشار أرباب دولته أرسل بنجدة إلى صاحب مصر

وعليه فقد كان احتمال مهاجمة الروم للمسلمين من الغرب احتمال يصل إلى درجة الأمر المؤكد مما دعا عمرو بن العاص أن يتخذ موقفا حذرا ويجعله يقوم باستطلاع الإقليم المجاور لمصر والإسكندرية غربا ويرسل الطلائع لجمع الأخبار التي ستسفر – كما سترى – عن وصول المسلمين إلى زويلة والسيطرة على برقة .

ولم تكن هناك أية خطة منظمة للتوسع أبعد من ذلك ، فقد استخدم عمرو بن العاص قوة عسكرية كانت جزء من قوات الخلافة المنتشرة في بلاد المشرق لأغراض عسكرية ، وعليه لم تكن هذه القوة كافية لعمل توسعى جديد علاوة على أن الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ) كان متشددا تجاه توغل المسلمين ناحية الغرب وعليه فقد اكتفى عمرو ابن العاص بتحقيق نوع من السيادة غير الفعلية انحصرت في وجود حاميات صغيرة من الجند وفي أخذ الضرائب من السكان ، فبعد أن أتم عمرو فتح الإسكندرية سلكت قواته الطريق المحاذي للساحل إلى برقة التي كانت معقلاً من معاقل البربر وتسكنها قبائل لواتة المغربية ويبدو أن سقوط الإسكندرية قد أحدث ارتباكا في صفوف البيزنطيين قلم يقوموا بأي عملية ردع للغزو العربي على المنطقة ، أو

يبدو أن التواجد العسكري للبيزنطيين كان في المنطقة المعتدة إلى الغرب من طرابلس حيث قاعدة الروم الشهيرة قرطاجنة.

لذا فإن عمرو بن العاص نفذ خطته لدخول المغرب عبر برقة التي استسلمت له دون آية مقاومة ورحبت به قبيلتها لواتة البترية وفرض عليهم ضريبة تقدر بثلاثة عشر ألف دينار سنويا ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن أهل برقة ربما كانوا ساخطين على حكامهم البيزنطيين لظلمهم وجورهم فدخلوا الإسلام مقتنعين به ورأوا في قدوم العرب ما يخلصهم من هذا الظلم وظل ولاهم للمسلمين طوال مراحل الفتح التي استغرقت أكثر من ثلاثة أرباع القرن دون أن يتألبوا على السيطرة العربية وهو شيء نادر جدا لم يتكرر حدوثه في أية مدينة تم افتتاحها خلال تلك المراحل .

وتختلف الروايات التاريخية في تحديد سنة فتح برقة فمنهم من يجعلها في عام ٢١ هـ ،ومنهم من يجعلها في عام ٢٢ هـ.

ومن هذه المنطقة تابع عمرو بن العاص سيره بمحاذاة الساحل إلى طرابلس Tripolis (المدن الثلاث) وهي مدينة حصينة استطاع البيزنطيون تحصينها بالأسوار من جميع الجوات باستثناء الجهة المطلة على البحر ، ولكن طرابلس سقطت بعد شهر من حصارها حيث تسلل المسلمون إليها من ناحية البحر فسقطت المدينة رغم استنجاد أهلها بقبائل نفوسة البربرية لفك الحصار عن المدينة وفرض عمرو بن العاص الجزية على أهل طرابلس في عام ٢٢ هـ/ ٦٤٣م .

ويروى الحميري – صاحب الأقطار أحداث فتح مدينة طرابلس حيث يقول :

"وذكر أن عمرو العاص غزا مدينة طرابلس عام ثلاثة وعشرين للهجرة حتى نزل التي على الشرف من شرقها فحاصرها أشهرا لا يقدر منهم شيء فخرج رجل من بني مدلج ذات من معسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فمضوا بغرب المدينة ولم يكن فيه البحر والمدينة سور وكانت سفن البحر شارعة إلى فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر غاض من ناحية المدينة فدخلوا منه حتى أتوا ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكن للروم مفزع سفنهم وأقبل دخل كان بالمدينة».

واستسلمت بعد طرابلس مدينة سرت حيث كانت اخر مدينة بلغها المسلمون على الساحل الإفريقي الشمالي.

ولم يتحرك المسلمون باتجاه الساحل فقط ولكن من الجيش الإسلامي اتجه الداخل او نحو الجنوب فتفرقت حملة عسكرية عن الحملة الرئيسة التي تحت قيادة عمرو بن العاص،وكان قائد قائد تلك الحملة الفرعية هو عقبة نافع الفهري

فبعد سقوط مدينة برقة قاد عقبة بن نافع بن حملة اتجهت إلى الجنوب لصد أي هجوم من

القبائل البربرية ضد القوة العربية،فحقق انتصارات مهمة وملموسة في ودان وفزان وزويلة

وظل هذا القائد سنوات طويلة بين البرير استطاع فيها أن يجذب كثير من أفراد القبائل البربرية للدخول في الإسلام بفضل شخصيته القوية وإيمانه العميق وقد استعانت به الدولة الأموية في استكمال الفتوحات العربية المنظمة لبلاد المغرب في عهدهم – كما سنرى –

ويذكر كثير من المؤرخين فتح زويلة فيقول الحميري – على سبيل المثال أنه:

" لما فتح عمرو بن العاص برقة وجبل نفوسة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وافتتحها وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين، ويزيد البلاذري أنه : بلية ما بين زويلة وبرقة كلهم حسنت طاعتهم وقد أدى مسلموهم الصدقة وأقر معاهديهم بالجزية ".

وبالإضافة إلى زويلة افتتح عقبة كثير من القصور الواقعة في تلك المنطقة مثل قصور واجان وكوار وعاملهم مثل معاملته لأهل زويلة ميدان وتجدر الإشارة إلى أن عمرو بن العاص أثناء حصاره لطرابلس أرسل قائده بسر ابن أرطأة إلى ودان فافتتحها وبذلك يكون قد أمن جنوب طرابلس كما أمن جنوب برقة باستيلائه على فزان وزويلة.

وقد أرسل عمرو بن العاص بعد أن أتم فتح طرابلس إلى الخليفة الراشدي عمر ابن الخطاب يستأذنه في مواصلة واستكمال الفتح ناحية الغرب وكان من نص الرسالة التي بعثها إلى الخليفة :" إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل".

ولكن عمر بن الخطاب لم يأذن لعمرو بمواصلة الفتح في بلاد المغرب أو إفريقية وكتب إليه ينهاه عنها ويقول :

«ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا فكانوا يغدرون به كثيرا وكان ملك الأندلس صالحهم ثم غدر بهم» .

وأمر عمرو بن العاص بالرجوع إلى مصر حيث تذكر رواية ابن عبد الحكم أن الروم حاولوا نكث عهودهم مع عمرو في مصر لذا اجتمعت أسباب عديدة في وقف مواصلة الفتح ورجوع عمرو بن العاص ، منها : عدم رغبة الخليفة في التوسع بعد أن طالت المسافة بين مقر الخلافة – المدينة المنورة – وخط الفتوحات التي شملت بلاد الشام وفلسطين ومصر وبرقة وطرابلس في زمن قصير لا يتعدى عشر سنوات كذلك ما عرف عن أهل إفريقية من الغدر وهو ما سوف نجده في بعض أحداث الفتح التالية إضافة إلى نقض الروم لعهد عمرو بن العاص في مصر

وعاد عمرو بن العاص إلى مصر – المعروف أنه والى الخلافة الراشدة على مصر – بأمر الخليفة ولم يمر سوى عام واحد حتى اغتيل عمر بن الخطاب وتولى عثمان بن عفان الحكم من بعده (٢٣ – ٣٥ هـ) وبعدها بقليل قام الخليفة الجديد بعزل عمرو بن العاص الذي يعد أول قائد عربي يرتبط اسمه بالفتوحات الإسلامية في إفريقية وقام بتعيين شخص من أقربائه وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح مكانه في عام ٢٤ هـ.

*** ولاية عبد الله بن أبي السرح (٢٤ – ٢٨ هـ) :**

وقد تابع عبد الله بن أبي السرح خطة عمرو بن العاص السابقة فكان يبعث المسلمين في حملات استطلاعية – يطلق عليها بعض المؤرخين اسم الجرائد – وكانت هذه الجرائد تتم بموافقة الخليفة نفسه وهذا ما يوضح اختلاف سياسة كل من الخليفتين عمر وعثمان إزاء قضية الفتوحات في بلاد المغرب ، فعمر بن الخطاب كان يكتفي بالوقوف عند الحد الذي وصلت إليه الفتوح في عهده في حين رأي عثمان بن عفان أن ظروف الدولة من الناحية السياسية والمالية تسمح بمواصلة الفتوحات وتم الإعداد لفتح بلاد المغرب في مقر الخلافة حيث دعا عثمان بن عفان كبار الصحابة ليأخذ رأيهم في هذا الشأن وتمت الموافقة على ذلك حتى أن الخليفة نفسه أعان الحملة العسكرية التي خرجت من مقر الخلافة من ماله الخاص فيذكر ابن عذارى أنه أعان المسلمين

«بألف بعير يحمل عليها ضعفاء الناس وفتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين».

. لذا غادرت المدينة المنورة أعدادا غفيرة من الجند القادمين من مختلف القبائل بشبه الجزيرة بقيادة – الحارث بن الحكم – وعدد كبير من زعماء المدينة منهم عبد الله ابن الزبير وعبد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن العباس وغيرهم

وفي مصر زودت هذه الحملة بقوات إضافية من حامية الفسطاط فصار عددها نحو عشرين ألفا من المقاتلين،وسار عبد الله بن سعد بهذا العدد الكبير إلى المغرب الأدنى متخذا الطريق لمحاذي للساحل الشمالي وذلك في عام ٢٧ هـ.

ويلاحظ من خلال تحركات المسلمين أنهم اتخذوا الطريق الساحلي فأصبح هو الطريق أو المعبر التقليدي لحملاتهم العسكرية نحو المغرب حيث تحاشى المسلمون دخول الصحراء حيث المدن والمواقع العمرانية والحضارية (؟؟)

وفي تلك الأثناء كانت أخبار تقدم قوات المسلمين قد وصلت إلى حاكم إفريقية من قبل السلطة البيزنطية ويدعى جريجو ريوس أو جرجير – حسبما تورد اسمه المصادر العربية – وقد كان نفوذ جرجير يمندبين طرابلس وطنجة ويتخذ من مدينة قرطاجنة عاصمة له.

كما كانت خطته للتصدي للهجوم الإسلامي قد اعتمدت على محاور عديدة منها جمع قواته التي تفوقت عدديا على القوات الإسلامية حيث يذكر كل من ابن الأثير وابن خلدون أن عددها كان مائة وعشرين ألفا من الفرنج والروح والبربر .

كما اعتمد على أن يجعل أهل طرابلس يقومون بعصيان وتمرد على الحكم الإسلامي وفي ذلك محاولة منه لإنهاك قوى المسلمين قبل الوصول إليه ولكن المسلمون رفعوا حصارهم عن مدينة طرابلس المتمردة وتوجهوا مباشرة نحو العاصمة قرطاجنة.

وقد اشتبك المسلمون مع البيزنطيين في مكان بعيد عن الساحل قرب مدينة سبيطلة وتحديدا في مكان يسمى عقوبة يقع على مسيرة يوم وليلة من سبيطلة بعد أن عرض المسلمون عليهم الإسلام أو الجزية فرفضوا واستمر القتال أياما انتهى بمقتل جرجير وعدد ضخم من جنوده وتفرق الناجون منهم في اتجاهات مختلفة بعدما منيوا بهذه الهزيمة النكراء ويذكر ابن عذاري أن من قتل جرجير هو عبد الله بن الزبير وقد تزوج من ابنته.

وقد أخذت هذه الحملة مدة تزيد على الستة أشهر وقام الروم بإفريقية بدفع الجزية وطلب الصلح وبعد أن وقع عبد الله بن سعد الصلح عاد إلى مصر مكتفيا بما حققه من انتصار باهر دون أن يتابع هذا النصر بحملات متلاحقة أو دون أن يترك حامية عسكرية عربية تحافظ على هذا الانتصار ، في حين يروى ابن عذاري أنه عاد عام ٣٣ هـ لغزو إفريقية مرة أخرى حينما نقض أهلها العهد مع المسلمين. .

ولكن توقف الأعمال الحربية للمسلمين لا ينفى أهمية النتائج التي تحققت بانتصار المسلمين في موقعة سبيطلة التي تعد ضربة قوية أصابت معنويات البيزنطيين كما استطاع المسلمون فيها – في هذه الحملة – استعادة طرابلس وإحكام السيطرة عليها

ولكن رواية ابن عذارى تفرد دون روايات المؤرخين الآخرين نزول عبد الله بن سعد على مدينة قرطاجنة وذلك بعد هزيمة البيزنطيين في موقعة سبيطلة ، فيقول :

«فحاصرها ومن كان معه من المسلمين حصارا شديدا حتى فتحت فأصاب فيها من السبي والأموال الكثير وكان أكثر أموالهم الذهب والفضة وعرف من البربر أن هذا من الزيتون وزيت الزيتون ، وكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار عينا وسهم الراجل ألف دينار ، وقسم ابن أبي سرح السرايا والغارات من مدينة سبيطلة فبلغت جيوشه بقصر قفصة فسبوا وغنموا كثيرا وأذلت هذه المعركة الروم بإفريقية فلجئوا إلى الحصون والمعاقل ثم طلبوا من عبد الله بن سعد أن يقبض منهم ثلاثمائة قنطار من الذهب في السنة جزية على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك» .

وبذلك كانت الحملة التي قادها عبد الله بن أبي السرح إلى إفريقية العمل العسكري البارز في عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي ديت الفتنة في نهايات مدة خلافته وأصيبت الحملات العسكرية بركود حتى نهاية الخلافة الراشدة نظرا للفتن والمنازعات السياسية الداخلية ليس ذلك على الجبهة المغربية فقط ولكن في شتى الجهات التي شهدت فتوحات المسلمين في بلاد الشام وفارس والبحر المتوسط

*** ولاية عمرو بن العاص الثانية (٢٨ – ت ٤٤ هـ) :**

وقد استمر هذا الوضع حتى بداية العصر الأموى ٤١ هـ/ ٦٦٢ ، فعندما حسم الموقف لصالح معاوية بن أبي سفيان في حادثة التحكيم ، أعيد عمرو ابن العاص إلى مركزه السابق كوالى على مصر وما كاد يعود إلى الفسطاط حتى أخذ يخطط لتوسعة ولايته باتجاه الغرب والجنوب عن طريق حملات دورية صغيرة ، فخضعت بعض القبائل البربرية ولكن بصورة غير فعلية وغير حقيقية حيث ستراهم يقومون بحركات تمرد وعصيان عندما تسمح الفرص بذلك وكان ساعد عمرو بن العاص الأيمن – في هذه الحملات هو عقبة بن نافع الفهري الذي يتصل بصلة قرابة بعمرو

ولكن تلك الحملات لم تأت بنتيجة عسكرية حاسمة وإنما كانت مجرد حملات استطلاعية أو دفاعية ضد القبائل البربرية المتذبذبة في ولائها للمسلمين ويرجع ذلك إلى تقدم عمرو بن العاص في السن ويوفاة عمرو في عام ٤٤ هـ/ ٦٦٠ م يعلن خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠ هـ) قراره بأن يفصل بين ولاية مصر وبين ولاية إفريقية وقد استمر هذا القرار حتى عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م عندما عين مسلمة بن مخلد واليا على مصر والمغرب معا.

ب – الفتوحات في عصر الدولة الأموية :

(١) فتوحات العهد السفياني (٤١ – ٦٣ هـ) :

*** ولاية معاوية بن خديج الكندى : (٤٥ – ٤٨ هـ) :**

بعد وفاة عمرو بن العاص وانفصال المغرب عن ولاية مصر ، أصدر الخليفة الأموى معاوية بن أبي سفيان قرارا بتعيين قائد على الولاية الجديدة – ولاية المغرب أو إفريقية – وهو معاوية بن حديج الكندي وأمره بالتوجه لمواصلة الفتح لبلاد المغرب وذلك عام ٤٥ هـ وزوده بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل فيه بعض الصحابة والتابعين .

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن خلافا نشب بين حاكم هرقل على إفريقية – وهو حاكم جديد عين بعد وفاة جرجير – وبين أهل إفريقية وذلك لأنه طلب منهم أن يؤدوا إليه نفس المبالغ التي كانوا يعطونها للمسلمين على سبيل الجزية مما جعلهم يتذمرون منه ... في حين تذكر بعض المصادر التاريخية الأخرى أن هذا الحاكم الجديد قد طلب بنفسه من الخليفة الأموى أن يرسل جيشا لفتح إفريقية ويبدو أن هناك نزاعا ثم بين هذا الحاكم وبين السلطة البيزنطية.

وعليه فقد استغل معاوية بن أبي سفيان فرصة المنازعات وعدم الاستقرار السياسي بين البيزنطيين والبربر وأرسل معاوية بن حديج في تلك الحملة التي غادرت الإسكندرية متخذة الطريق التقليدي وهو الطريق المحاذي لله أحل فوصلت برقة ثم طرابلس دون أن تتعرض لأية معوقات أو مقاومات ويمكن إرجاع الفضل في هذا إلى القائد عقبة بن نافع ، وواصل معاوية سيره حتى وصل مدينة قمونية.

وعندما علم البيزنطيون بتحركات المسلمين أرسل هرقل جيشا في البحر مكونا من ثلاثين ألف مقاتل نحو قرطاجنة تحت قيادة نقفور وحاول نقفور إرسال قائد إلى ناحية المسلمين غير أن هذا القائد لم يحقق أي نجاح فقد كانت الروح المعنوية لدى جنوده سيئة للغاية وبعد سلسلة من المصادمات تقدم الجيش الإسلامي ليتخذ معسكره في جبل القرن .

وقام أحد قواده وهو عبد الله بن الزبير ومعه مجموعة من الفرسان بهجوم على مواقع الجيش البيزنطي قرب مدينة سوسة فأحدث هذا الهجوم ذعرا في صفوف البيزنطيين الذين فروا إلى سفتهم التي حملتهم إلى جزيرة صقلية دون أن يحدث أي اشتباك فعلى بين الطرفين .

وعهد القائد الأموى معاوية إلى عبد الملك بن مروان بقيادة حملة تتولى مهاجمة أحد الحصون البيزنطية المهمة وهي مدينة جلولاء وتقع على مسافة نحو عشرين ميلاً من القيروان ، فتمكن عبد الملك من إسقاطه دون صعوبة تذكر وقد كان عامل الصدفة مساعدا للمسلمين في الاستيلاء على هذا الحصن فقد سقط أحد أسواره فجأة فسهلت المهمة للمسلمين للاستيلاء عليه.

وقد قام معاوية بن حديج بعمليات عسكرية أخرى على بعض المدن الساحلية ومنها مدينة بنزرت وهجومه على جزيرة صقلية متبعا فلول البيزنطيين المهزومين.

وبذلك أسهم معاوية بن حديج في تنشيط حركة الفتح في العصر الأموي فقد عملت الهزائم التي مني بها البيزنطيون والمدن التي سيطر عليها المسلمون على بداية الاختلال الواضح في موازين القوى بين الطرفين على أرض إفريقية وقد تكرر نفس الخطأ الذي وقع فيه القائد السابق عبد الله بن أبي السرح حيث قام معاوية بن حديج بالعودة إلى مصر دون وضع أي حاميات تحافظ على انتصارات المسلمين .

ولم يستمر معاوية طويلا فى منصبه حيث صدر القرار بعزله في عام ٤٨ هـ / ٦٦٩ م وتعيين قائد آخر هو عقبة بن نافع الذي عرفته ببلاد المغرب واحدا من القادة المعروفين بالجهاد

وكان اختيار الخلافة الأموية لعقبة بن نافع مؤشرا لتطور الخطة الأموية في الفتح العربي للمغرب والانتقال من مرحلة الاستطلاع والسرايا العادية لتبدأ مرحلة تتسم بالحملات المنظمة ويكون عقبة بن نافع الرائد لهذه المرحلة

***ولاية عقبة بن نافع الأولى (٤٩ – ٥٥ هـ) :**

يتفق المؤرخون على أن الحملات العسكرية المنظمة التي استهدفت فتح المغرب إنما بدأت مع عقبة الفهرى الوالي الجديد لإفريقية حيث تتأرجح بدايتها ما بين ٤٩ هـ وعام ٥٠ هـ ، ففي السنة الأولى عين قائدا عاما لجبهة المغرب والسنة الثانية نفذ فيها حملته

العسكرية وقد بدأ القائد الجديد تحركه العسكرى بسلسلة من الحملات الناجحة نحو مدينة غدامس وأبقى فيها بعد فتحها حامية بقيادة زهير بن قيس البلوى وكانت هذه خطة عقبة بن نافع في فتحه لبلاد المغرب حيث كانت تقتضى هذه الخطة الاحتفاظ بالأرض وليس الاكتفاء بالغزو فقط

وبعد خضوع غدامس خضعت فزان وعاصمتها زويلة بالإضافة إلى عدد من المدن المهمة الواقعة في المغرب الأدنى.

وتروى المصادر التاريخية جهود عقبة بن نافع في تلك المرحلة فيذكر الحميري على

سبيل المثال هذه الفتوحات بما نصه :

«من زويلة كر إلى غدامس بعد خمسة أشهر وسار متوجها إلى المغرب وجانب طريق الجادة وأخذ أرض مزاتة فافتتح قصورهم حتى انتهى إلى قفصة ففتحها » .

وقد عمل عقبة بن نافع على ترسيخ العقيدة على أرض المغرب وفي نفوس سكانه علاوة على ترسيخ سلطة المسلمين على تلك الأرض بوضع حامية ثابتة تحافظ على ما يكسبه المسلمون من أراض مفتوحة وتؤمن الخطوط الدفاعية للحكم الأموى وتكوين مركز يجمع بين البربر والعرب وهذا لا يتأتى إلا ببناء قاعدة عسكرية على أرض المغرب فكانت مدينة القيروان

وقد ساعدت الظروف السياسية التي أحاطت بالدولة البيزنطية على ترسيخ النفوذ الإسلامي على أرض إفريقية ، فقد كانت الدولة البيزنطية تعاني بعض الاضطرابات الداخلية ، فبعد مقتل الامبراطور قسطنطين الثاني الذي عرف بسياسته العدائية للعرب تفرغ خليفته إلى الاهتمام بحركة التمرد التي قامت في صقلية إحدى الولايات التابعة للامبراطورية

لذا كان الوقت والظروف السياسية في جانب العرب لترسخ النفوذ الأموى في المنطقة ، خاصة وأنه ليس هناك أي مواجهة بيزنطية ذات وزن أو مقاومة من البربر الذين لم يذعنوا للبيزنطيين ومن ثم لم يكن لديهم ولاء لهم . وكان اختيار قاعدة المسلمين العسكرية موضع القيروان في إحدى الوديان ذات الأشجار الكثيفة غير البعيدة عن الساحل وتقع بالتحديد إلى الجنوب من قرطاجنة وإلى الغرب من سوسة . .

ويروي المؤرخون الظروف التي اختار فيها عقبة بن نافع مكان مدينته حيث يورد ابن عذاري فيما يخص ذلك ما نصه :

«وقال (عقبة) إنى أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحرموا بالإسلا وإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله عز وجل فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر ، فاتفق الناس على ذلك وأن يكون أهلها مرابطين فيها وقالوا : نقربها من البحر ليتم الجهاد والرباط فقال لهم عقبة : أخاف من ملك القسطنطينية فاتفق رأيهم على موضعها فقال : قربوها من السبخة فإن أكثر دوابكم الإبل تكون إبلكم على بابها في مراعيها أمنة من البربر».

وقام عقبة بن نافع حسبما تروى بعض المصادر التاريخية بدعاء أراد به خروج الهوام والوحوش من المكان قائلاً :

«أيتها الحيات والسباع نحن أصحاب رسول الله فارحلوا عنا فإنا نازلون ومن وجدناه بعدها قتلناه فنظر الناس بعد ذلك إلى أمر معجب من أن السباع تخرج وهي تحمل أشبالها سمعا وطاعة والذئب يحمل جروه والحية تحمل أولادها ونادي في الناس : كفوا عنهم حتى يرحلوا عنها ، فلما خرج ما فيها من الوحش والسباع والهوام والناس ينظرون إليها حتى أوجعهم حر الشمس فلما لم يروا منها شيئا دخلوا فأمرهم أن يقطعوا الشجر ، وبقيت القيروان أربعين سنة لم ير فيها خشاش ولا هوام» .

وقد استغرق بناء القيروان نحو أربع سنوات فبنيت فيها دار الإمارة والمسجد الذي نسب إلى عقبة علاوة على الأسواق ومساكن الجنود التي بنيت بصورة تدريجية ، ولقد نمت المدينة بسرعة مدهشة يساعدها الموقع الجغرافي في منطقة من الأشجار والمراعي وكذلك موقعها على امتداد الخط البري الذي يصل بينها وبين الفسطاط دون أن يكون هناك خطر تتعرض له من قبل البيزنطيين من جهة البحر .

لذا فقد انطلقت من القيروان الحملات الصغيرة التي عرفت باسم السرايا في وقت واحد مع بناء القاعدة.

وقد تم عزل عقبة بن نافع في عام ٥٥ هـ/ ٦٧٤ م وتعيين أبي المهاجر دينا الأنصاري بدلاً عنه ويرجع بعض المؤرخين هذا القرار إلى الخلاف بين عقبة وبين رئيس – والى مصر – مسلمة بن مخلد أو لأن مسلمة أراد أن يتولى ولاية المغرب لواحد مـ الأنصار مثله وهو أبو المهاجر ، وربما يكون السبب في أن الخلافة الأموية نفسها = أرادت تحجيم مكانة عقبة بن نافع العسكرية والسياسية وهو ما اتسم به الخليفة الأمد معاوية بن أبي سفيان.

ويعزل عقبة انضم إلى صفوف المجاهدين تحت قيادة أبي المهاجر دينار وكان هة القائدان يختلفان في سياستهما نحو فتح بلاد المغرب ، ففي حين اتسم الأول بالحـ والعنف اتسم الثاني بالهدوء والدعة والبراعة في المحاورة والسياسة.

<u>*ولاية أبي المهاجر دينار : (٥٥ – ٦٠ هـ) :</u>

استمرت ولاية أبي المهاجر دينار نحو خمس سنوات (٥٥ – ٦٠ هـ) ، وكانت أعماله ذلك الهجوم الذي شنه على معاقل قبيلة أوربة إحدى أقوى قبائل البري البرانس والتي تسكن جبال الأوراس ، وقد استطاع أبو المهاجر دينار أن يجتذب هذه القبيلة ويدعى كسيلة بن لمزم وأن يتعاون معه خاصة بعدما أسلم كسيلة (كانت أوربة تدين بالمسيحية) .

ولكن الأحداث اللاحقة سوف تؤكد على أن إسلام كسيلة ومن تبعه كان ظاهريا وقد استطاع أبو المهاجر دينار بمساعدة كسيلة أن يغزو منطقة تلمسان قلب المغرب الأوسط.

وبعدها عاد أبو المهاجر إلى القيروان ليتصدى بأعمال عسكرية ضد البيزنطيين ، فشن هجوما على مدينة قرطاجئة في عام ٥٩ هـ/ ٦٧٩ م ولم يتجاوز هذا الهجوم سوى الحصار لمدة قصيرة للمدينة ويبدو أن أبا المهاجر كان يريد من هذا الهجوم أن يتعرف على إمكانيات المدينة الدفاعية ، فتراجع عن حصارها مقابل أن يترك له البيزنطيون جزيرة شريك.

وفي عام ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م توفى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وتولى ابنه يزيد الذي أمر بمجرد توليه منصب الخلافة أن يعاد عقبة بن نافع واليا على المغرب ويستأنف مشروعاته التوسعية التي كان يخطط لها قبل عزله

وتتحدث الروايات التاريخية عند ابن عذارى وابن عبد الحكم عن أفعال عقبة ابن نافع عندما عاد إلى القيروان من اضطهاده لأبي المهاجر دينار واعتقاله ومن قمعه لقبيلة أوربة الموالية للمسلمين انتقاما من أبي المهاجر ومثل وضع أبي المهاجر في الأصفاد بناء على أوامر عقبة في أثناء غزو المسلمين لمنطقة السوس بالمغرب الأقصى ويعتقد أن هذه الروايات كانت بها كثير من المبالغات التي لا تتفق أحداثها مع شخصية عقبة بن نافع كما أنها تضر بمصالحه التي هي مصالح المسلمين نفسهابالمنطقة

فأصبح عقبة واليا يتبع الخليفة الأموي بدمشق فخرج بحملة نحو المغرب الأقصى حامية صغيرة بالقيروان بقيادة زهير قيس وقد شاركت مجموعة تكمن إعطاء وتزويد الجيش الإسلامي بمعلومات جغرافية عن الطريق وعن المنطقة أي كانوا بمثابة للجيش

وأثناء سيره نحو المغرب الأقصى استطاع غزو بجاية على الإفريقي إلى الغرب من قرطاجنة والواقعة منطقة مع البيزنطيين كانت من أعنف المعارك حيث تراجع البيزنطيون داخل وحاصرها عقبة مدة طويلة ثم متجها نحو الجنوب ليتخذ طريقا محاذيا للسفوح الشمالية لجبال وعليه فقد اجتاح إقليم الزاب في المغرب ودخل مدينة المسيلة بعدما طرد البيزنطيين وحلفائهم من البربر قبائل لواته وهوارة ومكناسة وتابع إلى مدينة تاهرت وبذلك تمت له السيطرة الكاملة على المغرب الأوسط ومن

تمهد الطريق نحو اختراق من المغرب الأقصى وكان موقف القبائل البربرية زال غامضا التوجه الجانب البيزنطي وإن كانت القبائل المنتمية إلى البرانس قد رأت مصالحها الجانب البيزنطي ومن كانوا يساعدونهم ضد الجانب العربي بقاء القواعد يعيشون في مناطق محاذية لها السواحل

واستمر عقبة بن نافع في سيره المغرب الأقصى حتى طنجة ذات الاستراتيجي الفريد على المدخل الغربي للبحر المتوسط وكانت والمنطقة المحيطة – طنجة وسبتة تحتل وتتمتع بقدر الاستقلال مما أعطى يوليان استقلالية في الحكم واتخاذ القرار المناسب الجانب العربي .

وما وصل عقبة إلى طنجة حتى اتجه الجنوب ووصل بقواته إلى وليلي الواقعة على مسافة قريبة فاس وأنزل بقبيلة مصمودة التي تسكن الأوسط ضربة قوية جعلتهم يفرون الصحراء واقتفى حتى وصل درعة الجنوب اتجه عقبة نحو الشواطئ الغربية للمغرب الأقصى قبيلة صنهاجة خضعت له مدينة أغمات (إلى الشمال الشرقي من بعد حصار قصير مدينة نفيس وتقع الغرب مدينة أغمات وتعتبر المراكز المهمة حتى وصل السيوس الأقصى حيث قواته المنطقة دون مقاومة وسيطر على مدنه الرئيسة وأهمها العاصمة إيجلي وخضعت قبائل مثل قبائل جزولة وأجابته قبول دعوته للدخول في الإسلام إلى مدينة ماسة

(«يارب لولا البحر المضيت في البلاد إلى ملك ذي القرنين مدافعا عن ومقاتلا من كفر لغيرك،(

وفي العودة وبعد اطمأن إلى أنجزه في المغرب الأقصى حدث ما لم يكن متوقعا فعند وصوله طبنة إقليم الزاب أنحاء المنطقة وبقى ومعه عدد قليل من جنوده يتجاوزوا الخمسة آلاف حيث استدرجه الزعيم البربري كسيلة بن لمزم الذي كان متحالفا مع المسلمين في ولاية أبي دينار

وكان اعتراض كسيلة للزعيم العربي في مدينة تهودة في منطقة الأوراس ومعه قوة من البرنطيين الذين أحاطوا بعقبة وجنوده من الشمال وحيث أن القوى العسكرية والعددية كانت غير متكافئة فقد دخل الطرفان في معركة عنيفة قتل فيها عقبة بن نافع وعدد آخر من القواد كان من بينهم أبي المهاجر دينار.

وكان لهذه المعركة نتائج سيئة بالنسبة للجانب العربي ، فقد كانت قوات كسيلة تبلغ الخمسين ألفا فقد زحفت القوات البربرية نحو القيروان وكان عليها من قبل عقبة بن نافع القائد زهير بن قيس واختلفت آراء الجند المسلمين حول التصدي لقوات كسيلة رغم ضعف وقلة القوات المسلمة بين

الانسحاب من القيروان وانتهى الأمر بأن ترك زهير ابن قيس المدينة لكسيلة وانسحب بمن بقي معه من الجند إلى برقة ودخلها كسيلة وأصبح أميرا عليها مدة خمس سنوات (٦٤ – ٦٩ هـ) وتعتبر الحملة التي قام بها عقبة بن نافع قبل مقتله أول حملة في إفريقية تأخذ الطابع المنظم ، حيث أنها اعتمدت على تحقيق هدفين في وقت واحد هـ الهدف الأول هو تطويق نفوذ البيزنطيين وإنهاء حامياتهم المنتشرة على السواحل المغربية

هـ الهدف الثاني وهو الأهم ترسيخ الحكم العربي بين القبائل البربرية ودعوة قبائلهم إلى الإسلام . واعتبر كثير من المؤرخين قتل عقبة في تهودة مأساة حقيقية وإن لم يفن الجيش كله في هذه المعركة ، غير أن انسحاب بقية الجيش أدى إلى خروج بلاد المغرب من طنجة إلى القيروان على الحكم الإسلامي ، فلم يهتم الجنود المسلمون بدعوة زهير بن قيس وندائه إليهم :

«يا معشر المسلمين إن أصحابكم دخلوا الجنة وقد من الله عليهم بالشهادة فاسلكوا سبيلهم ويفتح الله لكم دون ذلك» وأثروا الانسحاب واضطر زهير إلى العودة معهم وسار إلى برقة وأقام بها.

(٢) الفتوحات في العهد المرواني (٦٥ – ١٣٢ هـ) :

كانت معركة تهودة وانسحاب بقية الجيش الأموى إلى برقة بمثابة كارثة على العرب المسلمين ، فقد فقدوا في تلك المعركة كل مجهودات السنوات الطويلة السابقة ورجعوا إلى نقطة البداية من الناحية العسكرية ، وهذا يعني أن مجهودات الأربعين عاما السابقة لإقامة حكم راسخ في بلاد المغرب قد منيت بالفشل

لذا كان يجب أن تستأنف الحملات المنظمة للفتح والاستقرار النهائي وهذه الغاية الأخيرة – الاستقرار – سوف نجد أنها السمة المميزة للفتوحات الإسلامية للمغرب في العهد المرواني للدولة الأموية

فمن المعروف أنه بوفاة يزيد بن معاوية ، قامت الثورات في العراق ثم في مكة بزعامة عبد الله بن الزبير الذي انتشرت سيادته على العراق ومصر فضلاً عن بلاد الحجاز أما في دمشق عاصمة الأمويين فقد ترك معاوية بن يزيد الحكم لينتهي بذلك زعامة البيت السفياني للخلافة

ويبدأ زعامة البيت المرواني خاصة بعد انعقاد مؤتمر الجابية في عام ٦٤ هـ وإعلان مروان بن الحكم خليفة أمويا في ٦٥ هـ/ ٦٨٥ م.

***ولاية زهير بن قيس البلوى (٦٣ – ٦٩ هـ)**

وفي عهد ابنه عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ/) – الذي استطاع إخماد ثورات كثيرة عرقلت سياسة الفتوحات للدولة الأموية ، وخاصة ثورات عبد الله بن الزبير – بدأ توجيه الأنظار نحو بلاد المغرب ، فعهد إلى زهير بن قيس البلوي بولاية إفريقية في عام ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م وزوده بعناصر إضافية من الجيش الشامي وأرسل أخاه عبد العزيز بن مروان على رأس هذا الجيش ويرى بعض المؤرخين أن عبد العزيز بن مروان كان بمثابة الجندي المجهول والمنظم والمسئول الأول عن العمليات المنظمة التي نتج عنها فتح المغرب بصورة نهائية والسيطرة عليه وكان هو المسئول عن اختيار القائد الذي ارتبط اسمه بمنطقة المغرب وهو القائد : موسى بن نصير أحد مستشاري عبد العزيز بن مروان وأخلص المقربين إليه

وعند وصول القوات الشامية إلى زهير بن قيس سار بجيشه متخذا التقليدي إلى القيروان ، وعندما اقترب من مدينة قونية ، علم الزعيم البربري كسيلة بمقدمه فاستشار أشراف القبائل وعرض عليهم اختيار مكان اللقاء في ممس (وهي مدينة بيزنطية قديمة تقع في جنوبي القيروان) بحيث إذا هزم المسلمين قام بتتبعهم الطريق والقضاء عليهم وإذا هرمه المسلمون لجأ إلى الجبال واحتمى بها وقد وافق قواده على ذلك.

وقد اقتضت خطة المسلمين بالا يتقابلوا مع الجيش البربري فور وصولهم على القيروان ولكن زهير نزل بجيشه قريبا من القيروان ولم يدخلها ومكث ثلاثة أيام للراحة وفي اليوم الرابع بدأ القتال بين الطرفين وانتهى بانتصار المسلمين ومقتل كسيلة وكثير من ملوك البرير وأشرافهم وفرسانهم كما قتل عدد كبير من الروم المنضمين للجيش البربرى .

ولكن زهير يترك حامية بالقيروان ولا يستقر بها ويعود ثانية نحو المشرق ولا يلتفت لرأي أصحابه بالاستقرار في القيروان وكان من نتائج هذا أنه عند وصوله إلى برقة يلتقى بقوة من الروم تقطع الطريق عليه ويستشهد القائد المسلم فقد استغل الروم خروجه من برقة قاصدا إفريقية لقتال كسيلة وأعدوا حملة بحرية كبيرة للإغارة على برقة وخرجت هذه الحملة من صقلية وتمكنوا من أسر

كثير من المسلمين واتفق هذا مع عودة زهير بن القيروان فتصدى لهم ولكنه نظرا لعدم التكافؤ العددي بين الجيشين انهزم زهير وقتل وقتل من معه وعاد البيزنطيون بما غنموا إلى القسطنطينية.

*** ولاية حسان بن النعمان (٧٣ – ٨٥ هـ):**

وقد أسند الخليفة الأموى مهمة ولاية المغرب بعد مقتل زهير إلى حسان بن النعمان لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الفتح العربي للمغرب وهي مرحلة الفتح الأخير الذي يتولى حسان بن النعمان الغساني تحديد ملامحها وفترة ولاية حسان كانت ما بين ٧٣ ٨٥ هـ/ ٦٩٢ = ٧٠٤ م .

وكان حسان أول قائد من خارج المدرسة التي زودت بلاد المغرب بالقادة السابقين الكبار وجاء اختيار الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ليكون حسان قائد هذه الجبهة ومعه عدد كبير الجند بعد نجاح الخلافة الأموية في القضاء على ثورة ابن الزبير وقد أرسله الخليفة الأموى إلى المغرب قائلاً له

«إنى قد أطلقت يدك في أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك واخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله .

وشخصية هذا القائد كما تدل عليها كتابات المؤرخين شخصية تتسم بالقدرة القيادية والمرونة وكانت بلاد المغرب أرضا وسكانا بحاجة إلى مثل هذه الشخصية ، فهي أرض وسكان رافضين للغزاه والفاتحين الجدد

وقد دفع ثلاثة من القادة حياتهم في هذا النضال بين العرب والبربر ، ومن ثم اع حسان بن النعمان أن يستوعب طبيعة الأرض والبشر وأن يضع خطوطا عريضة لأهدافه وخطوطا عريضة للطريقة التي سيتولى بها قيادة الجيش فقد كانت خطته تهدف إلى محاولة الوصول إلى قلوب البربر وعقولهم ومن ثم اجتذابهم إلى جبهة واحدة مع العرب ضد البيزنطيين

وعليه ، فقد أعد حسان الجيش بمصر وانضم إليه من أقام من العرب في برقة ومن أسلم من القبائل البربرية ، وقد اتخذ الطريق المعروف حتى طرابلس فالقيروان التي استعادها من غير صعوبة ثم توجه إلى قرطاجنة القاعدة البيزنطية حيث دخل في معركة مع حاميتها واستطاع

حسان هزيمتهم فقتل عدد كبير منهم وأجبر الباقين على مغادرة المدينة حيث ذهب بعض منهم إلى جزيرة صقلية والبعض الآخر إلى إسبانيا والتي كانت وقتها تحت سيادة القوط الغربيين) –

وبذلك سقطت مدينة شرطاجئة وكان لسقوطها أثر بالغ على مسيرة الفتوحات الإسلامية في المغرب ، فقد تم حصار المدينة من قبل العرب بإحكام شديد واستطاعوا أن يخترقوا أسوارها مما أدى إلى تدمير قرطاجنة . وتوالى بعد سقوط قرطاجنة عمليات حسان بن النعمان الحربية ، فشن سلسلة من الهجمات على مواقع البيزنطيين التي تقع بالغرب من مدينة قرطاجنة على امتداد الساحل الشمالي حيث سقطت في يده مدينة بنزرت بعد معركة عنيفة شارك فيها البربر وانسحبت فلولهم مضطرية نحو إقليم بونة إلى الغرب من هذه المدينة .

وبعد تحقيق هذه الانتصارات عاد حسان بن النعمان إلى القيروان ليبدأ مواجهة الخطر الثاني بعد البيزنطيين وهو القبائل البربرية وحسم الموقف العسكري معهم

ولكنه ما إن استعد للرحيل عن القيروان حتى وصلته الأخبار عن حشد قوات ضخمة من البربر البتر الذين تصدوا هذه المرة للأمويين بعد هزيمتهم في ممس وكانوا تحت قيادة إمرأة قوية من قبيلة جراوة وعرفت عند العرب باسم الكاهنة وكان اسمها الحقيقية داهية بنت مائية بن تيفان ويبدو أنها كانت تعتنق اليهودية وذات نفوذ سياسى وروحى على البربر ، وهي تختلف عن زعيم البرانس الذي كان يدين بالمسيحية ، فقد عرفت الديانات السماوية في بلاد المغرب مع الدول والقوى التي كانت تسيطر أو تحاول السيطرة عليه ، فانتشرت المسيحية بصورة خاصة في المدن والمناطق الأكثر قربا من السواحل أي من أماكن استقرار البرانس ، بينما كانت اليهودية أكثر توغلا وانتشارا في الداخل بعد أن أمن بها بعض البتر غير أن الوثنية كانت الأكثر شيوعا بين صفوف القبائل البربرية البترية .

وقد تحرك القائد حسان لاعتراض قوى الكاهنة في باغاية ولكن الكاهنة استطاعت دخول المدينة مع قوادها وجنودها والاعتصام فيها بحيث وقعت معركة عنيفة على مقربة من المدينة انتهت بهزيمة الأمويين ووقوع كثير من الجند ما بين قتيل وأسير ويروى بعض المؤرخين أحداث لقاء المسلمين بجيش الكاهنة ، فيروى الحميرى أن الكاهنة التقت بالجيش الإسلامي عند نهر سمى

بنهر البلاء (واسمه نهر نيني) لكثرة ما لقى فيه المسلمون من بلاء وقد أسرت الكاهنة من المسلمين نحو ثمانين رجلا وتتبعت جيش المسلمين حتى خرج من قابس .

في حين يروى ابن عذارى أن مكان تقابل الجيش العربي والقوات البربرية في وادي سكتاتة والمسمى بوادي العذاري ويرجع أن سبب التسمية جاء من سبي المسلمات اللاتي اقتادهم الروم في مراكبهم.

وكتب حسان إلى الخليفة الأموى يخبره بصعوبة التغلب على قبائل المغرب فرد عليه الخليفة بأن يمكث بالمكان الذي وصل إليه – منطقة برقة – فأقام بها وبنى هناك منطقة سكنية تسمى «قصور حسان».

وظل حسان مقيما بها طيلة خمس سنوات فسيطرت الكاهنة على المغرب كله ، وقد ظنت الكاهنة أن العرب قادمون للسلب والنهب والاستيلاء على المدن والمغانم والثروات كما كان يفعل الغزاة سابقا ، فقامت بتخريب البلاد فانتشر أنصارها في كل مكان يقطعون الأشجار ويهدمون الحصون ونتج عن ذلك تحول بلاد المغرب من طرابلس إلى طنجة إلى خراب وغضب النصارى والأفارقة من أفعال الكاهنة وأنصارها تاركين بلاد المغرب إلى جزر البحر المتوسط والأندلس .

ويعبر الرقيق القيرواني – صاحب كتاب تاريخ إفريقية والمغرب – إلى أن البربر والنصاري ثار سخطهم على الكاهنة لدرجة أنهم استغاثوا بحسان بن النعمان ، فيروى أن ثلاثمائة من النصارى قد استغاثوا به وعليه كانت الفرصة سانحة لحسان بأن يتوجه نحو مدينة قابس حيث أمنهم على أموالهم وممتلكاتهم ثم يتوجه إلى قفصة.

وأخذ حسان طوال هذه الفترة يستعد لخوض المعركة الفاصلة فقد طلب الإمدادات من الخليفة وقام باستطلاع أحوال العدو والتمكن من معرفة مواطن القوة والضعف في الجيش البربري –

وقد استعان في ذلك بأحد الأسرى المسلمين الذين أسرتهم الكاهنة وهو خالد بن يزيد وكانت الكاهنة قد تبنته ، فقدم خالد لحسان وصفا كاملاً عن حالة الجند البريري وحث حسان على سرعة القدوم

وعندما أتم حسان الاستعداد للقاء الكاهنة ووصلته الإمدادات من جنود العرب وفرسانهم ومن انضم إليهم ممن أسلم من البربر ثم سار إلى الكاهنة التي ما إن شعرت باقتراب الخطر وأدركت نهايتها حتى أمرت ولديها أن يذهبوا إلى حسان ويطلبوا منه الأمان لأنفسهم حتى تحافظ على خط الرجعة لأولادها إذا أصابتها الهزيمة أو قتلت في معركتها مع حسان .

وسلك حسان بقواته الطريق التقليدي حتى مدينة قابس إلى الجنوب الغربي من مدينة صفاقس ومن هناك اتجه شرقا عبر الطريق الصحراوي إلى حصون الكاهنة في الأوراس ، وقد دخلت أفواج من البربر تقاتل إلى جانب العرب المسلمين بعدما أدركوا إصرار الأمويين على المضي في عملياتهم العسكرية في المغرب وكان دخول البربر بهذه الأعداد في الجيش الإسلامي سببا في زيادة معرفة العرب بطبيعة الأرض وإتقان أساليب حرب الجبال علاوة على أنه ترك انعكاسا نفسيا سلبيا على الكاهنة ، وكان حسان في نفس الوقت التي تراجعت فيه الكاهنة إلى أدراجها يتابع تقدمه في أقاليم

بحرية صحراوية لأن الصحراء منها قريبة ... كثيرة التمر والموز والتوت والحرير ومن كلام الناس

المغرب الأوسط متعقبا فلول الكاهنة(١) . وتقابل الطرفان في معركة حاسمة عند بئر الكاهنة وهو أحد المعاقل في منطقة الأوراس وانتهت المعركة بهزيمتها وقتلها في عام ٨٣ هـ/١٧٠١ م .

وجعل حسان بن النعمان ابنى الكاهنة على قيادة قوات مسلمة كل منها تتكون من ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب يقاتلون الروم ومن بقي من البربر على غير طاعة العرب ثم عاد حسان إلى القيروان .

وبهذه المعركة دخلت عملية فتح العرب للمغرب آخر مرحلة من مراحلها الصعبة الطويلة بعد أن أصبح التقدم في شتى الأقاليم ممكنا دون التعرض لأية أخطار غير متوقعة ورغم أنه ما زالت هناك بعض الأملاك البيزنطية غير أن حسان لم يكن ليترك الخطر الثاني – خطر البيزنطيين – يهدد ما حققه المسلمون من انتصارات بعد القضاء على خطر البربر

فقد توجه بقواته نحو قرطاجنة التي استطاع البيزنطيون استعادتها في أعقاب هزيمة حسان الأخيرة .

وكان الامبراطور البزنيطي ليونيتوس Leonitus قد أرسل حملة بحرية نجحت في السيطرة على المدينة في عام ٧٧ هـ / ٦٩٧ م في غياب المقاومة الأموية غير أن حسان تمكن من استردادها وهرب من فيها إلى جزيرة صقلية والأندلس ودخلها حسان فخرب سا بناه البيزنطيون أثناء فترة استيلائهم عليها وبنى بها مسجدا وبذلك تمكن حسان من القضاء على مقاومة البربر في الداخل ثم القضاء على الروم

في الساحل وتوج أعماله بالشروع في إقامة مدينة ساحلية على مسافة قريبة من قرطاجنة وتحتل مكانتها وتكون مدينة وميناء إسلاميا ، فاتخذ من تونس (ترشيش قديما) مركز لها ، وكان ذلك إجراء حتمي في وقت انتشرت فيه السيادة الأموية على مساحة كبيرة من الأرض حفاظا عليها من غزوات البيزنطيين الذين يحتلون المرتبة الأولى في القوى البحرية .

وقد انصرف حسان بن النعمان بعد قضائه على المراكز البيزنطية وإضعاف قوة البربر إلى الاهتمام بالشئون المتعلقة بالدواوين والخراج والجيش والشرطة وذلك بعد إنشاء دار الصناعة وتعميرها .

كما جدد بناء مسجد القيروان وأحسن بناءه ، فضلاً عن أنه اهتم بنشر الإسلام وإرسال الفقهاء إلى قبائل البربر لتعليمهم أمور الدين واللغة العربية . وعندما استقامت بلاد إفريقية لحسان بن النعمان قام والى مصر عبد العزيز بن مروان بعزله وأمره بالقدوم إليه ويبدو أن الوالي قد سمع عن كم الغنائم الوفيرة التي وقعت بين يدي حسان فأراد أن يكون له نصيب فيها فلجأ حسان إلى حيلة يدس فيها الجواهر والذهب والفضة عن أيدي الوالي فأخفاها في قرب الماء وأظهر ما دون ذلك من

الأمتعة وأنواع الدواب والرقيق وسائر أنواع الغنائم فلما قدم على والى مصر أراد أن وكان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إذا قدم عليه رسول صاحب القيروان يقول له ما فعلت إحدى القيروانيين يعنى تعظيما لها .

يتقرب إليه بإهدائه مائتي جارية من بنات الملوك والبربر ، غير أن عبد العزيز أصر على سلب وأخذ كل ما شاهده من خيل وأمتعة ، ووصل حسان إلى دمشق بقرب الماء المملوعة بالجواهر إلى الخليفة الأموى وقد سرد له حسان كل ما فعله أخوه من استيلائه على أكبر قدر من

الأسلاب والغنائم وأنه كان أمينا في نقل تلك الغنائم إلى الخليفة ، وعندما أراد الخليفة مكافأته على توليته المغرب مرة أخرى رفض فزاد غضب عبد الملك من ناحية عبد العزيز الذي حرم الخلافة الأموية من خدمات رجل كفء مثل حسان الذي حرص كل الحرص على نقل الأموال للخليفة في دمشق مما حذا بالخليفة أن يطلق عليه الشيخ الأمين .

وكانت مغادرة حسان بن النعمان للقيروان في عام ٨٥ هـ ، وقد تولى بدلاً عنه موسى بن نصير.

***موسى بن نصير (٨٩- ٩٨هـ)**

قام موسى بن نصير بإخلاء ما تبقى من قواعد للبيزنطيين على شواطئ تونس ثم توغل في جهات المغرب حتى انتهى إلى منطقة السوس الأدنى الذي ارسل اليها ابنه ،كما قام بغزو طنجة، وافتتح درعة وصحراء تافيلالت،واستطاع ان يستميل يوليان حاكم سبتة القوطي.

فقد استطاع أن يجند أعداداً كبيرة من قبائل البربر مثل كتامة وهوارة وزناتة ومصمودة ، وألحقهم مع المقاتلين ووضعهم جميعاً في حامية طنجة تحت قيادة طارق بن زياد.

(ناقش دور موسى بن نصير الاداري والتنظيمي في بلاد المغرب)

تطبيق مهم:عمل تقسيم للفتح العربي لبلاد المغرب وفقا للمراحل الاتية :

١. -مرحلة الاستطلاع وارسال السرايا
٢. -مرحلة الحملات المنظمة
٣. -مرحلة اتمام الفتح

مراجع الفصل

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج٣

-الحميري: الروض المعطارفي خبر الأقطار

- محمد زيتون : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية .

-الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤

-ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب

-البلاذري :فتوح البلدان .

-ابن سعد: الطبقات الكبرى /ج٧

- ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،ج١

- الواقدي: فتوح الشام /ج٢

- تاريخ اليعقوبى

-ابن خلدون : العبروديوان المبتدأ والخبر ،ج٧

- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس .

٢-عصر الولاة في المغرب

الفترة الواقعة بين اتمام الفتح العربي لبلاد المغرب وقيام أول دولة مستقلة فيه ، صرف النظر عن نوعية الاستقلال

(ناقش ذلك)

في خلافة هشام بن عبد الملك() أقيم على المغرب والي من اليمنية هو :

عبيد الله بن الحبحاب :

في عام ١١٦هـ نقله الخليفة هشام بن عبد الملك إلى أفريقية فسار إليها وضبط

اتخذ في (تونس) دار صناعة لإنشاء السفن الحربية وبنى فيها جامع الزيتونة. انتشر في أيامه مذهب الإباضية والصفرية في برابرة المغرب،

قامت في عهده ثورة بإقليم طنجة عام ١٢٣ هـ /٧٤٠م ، وانتشرت في قبائل بربرية كثيرة ، وتولى زعامتها رجل بربري يدعى ميسرة المدغري الذي اشتهر بميسرة الفقير

ويلاحظ وجود عرب في هذة الجموع الثائرين على الدولة بسبب تمييزها العنصري القبلي وكذلك الاشتطاط في جمع الضرائب ،فوجه عبيد الله بن الحبحاب جيشا بقيادة **خالد بن حبيب** لمواجهة الثائرين وحين تردد ميسرة عن ملاقاة الجيش العربي قتله اصحابه وولوا بدلا **خالد بن يزيد الزناني**

وبالقرب من طنجة التقى تمت المواجهة معركة في معركة عرفت **معركة الأشراف** بسبب كثرة من قتل فيها من أشراف العرب ، انهزم فيها العرب .

كانت هذة الهزيمة سببا في غضب العرب بالقيروان على عبيد الله بن الحبحاب فاستدعاه الخليفة هشام .

(ماهو موقف الخليفة هشام بنعبد الملك من هذة الهزيمة)

وأرسل إلى أفريقية جيشاً عدته ٢٧,٠٠٠ مقاتل ، بزعامة قائد قيسي هو : **كلثوم بن عياض القشيري** ومعه ابن أخيه **بلج بن بشر القشيري** ، وسار معهم عدد من قوات العرب البلديين

وكان النزاع بين الشاميين والبلديين شديداً مما ا سعف القوة العربية لهذا لا غرابة في أن يهزم هذا الجيش الضخم ويقتل كلثوم عياض وحبيب بن أبي عبيدة ويفر بلج بن بشر مع آلاف من الشاميين إلى سنة ، حيث يعتصمون بأسوارها بضعة شهور ، حتى يأذن لهم والى الاندلس عبد الملك بن قطن الفهري ، و العبور إليه لكي يعاونوه في القضاء على ثورة قام بها البربر على العرب وكانت ثورة الأندلس هذه امتداداً لثورة بربر المغرب لأن بربر الأندلس كذلك كانوا ساخطين على الحكم الأموى وعلى من معهم من العرب في الاندلس .

وبعد ذلك بقليل تمكن الخليفة هشام من أن يرسل جيشاً ضخماً من الفرسان ، يقوده شامى متعصب يسمى **حنظلة بن صفوان الكلبي** ، فكان أول لقاء له بالخوارج بالقرن ووصل هذا الجيش إلى القيروان ووجدها مهددة باستيلاء الخوارج عليها . كان أولك الخوارج قد اختلف أمرهم وانقسموا قسمين : واحد يقوده عكاشة بن ايوب الفزاري والثاني يقوده عبد الواحد بن يزيد الهواري ، وتجمع عرب القيروان ومن فيها من العلماء والصلح اللقاء الخوارج ، مدافعين عن مذهب السنة وقاعدته أفريقية

، وقد قضت هذه الموقعة على ثورة الخوارج بأفريقية، وكانت بداية المعركة حين زحف إليه عكاشة بن محصن قائد الخوارج بجموع عظيمة من الخوارج من البربر فأمر حنظلة أن يخندق أصحابه على أنفساهم لكثرة الخوارج ثم التقى الفريقين وحمى الوطيس وصمد حنظلة وانتهت المعركة بانتصار سحق على الخوارج وهروب قائد الخوارج عكاشة بن محصن ورجع حنظلة إلى القيروان استعدادا للقاء خوارج المغرب الأوسط والاقصى.وخرجوا معه ، فلقوا قوات الخوارج يقودها عبد الواحد موضع يسمى **« الاصنام »** على بعد ٤٠ كم ، غربي القيروان وهزم منكرة بعد قتال عنيف ثم ساروا نحو القوة الخارجية الأخرى ، التي يقودها عكاشة بن أيوب الفزاري (من فزارة) وهزموه في أوائل سنة ١٢٤هـ / ٧٤٢م ، وقد انقذت هاتان المعركتان مصير السنة في أفريقية والمغرب ، فثبتت أقدامها في أفريقية بعد ذلك ، وتمكنت فيما بعد من إعادة سلطانها على المغرب كله ، وانسحبت قوات الخوارج إلى المغرب الأوسط وانحازت المبادىء الخارجية من إباضية وصفرية

مع أصحابها إلى مناطق صغيرة محدودة في جبال الريف أو في المغرب الأوسط أو في جبال نفوسة في إقليم طرابلس وجزيرة جربة

وهكذا انتهى ذلك الصراع ا بانتصار السنة في ولاية أفريقية ،

هرثمة بن أعين:

هابه اثناءها رؤساء العرب وركنوا إلى الهدوء وأتيحت له بذلك الفرصة ليعمل على تجديد ما تخرب من المدن والموانى والمنشآت وليعيد ثقة الناس في الدولة وقد اهتم هرثمة بن اعين بالإنشاءات فجدد إنشاء ميناء تونس وأصلح مسجد القيروان ونظم الأسواق في القيروان واهتم ببناء قصور العباد(الرباطات)

من الرباطات رباط قصر الطوب في ورباط تونس ورباط بونة تسمى اليوم إلى جانب رباط المنستير

إبراهيم بن الأغلب:

اعجب به هرثمة بن اعين فقربه منه ،وعندما أراد هرثمة أن يعود إلى بغداد ، اقترح على الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يقيم إبراهيم بن الأغلب عاملا على أفريقية ، فاشترط إبراهيم على الخليفة العباسي ان يكون على ولاية افريقية وان يرسل الى الخلافة كل عام إلى اربعين ألف دينار ، ويستغنى عن مائة ألف دينار ، كانت ترسل كل عام من مصر معونة لوالي أفريقية ، وتعهد بأن يتصرف كعامل عباسى تابع لدولة الخلافة ، وان يتمتع بحرية التصرف الكاملة داخل ولايته فاستجاب الخليفة العباسي لمطالبه وان تكون الولاية في بني الأغلب .

وتولى إبراهيم بن الأغلب ولاية أفريقية سنة ١٨٤ هـ ٨٠٠ م ليكون اول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية ولكنها تابعة لها.

عصر الدول المستقلة في المغرب

١٤١-٢٩٦هـ

تمهيد :(مفهوم الاستقلال عن الخلافة العباسية واسبابه)

-دولة بني مدرار

-دولة بني رستم

دولة الأدارسة

-دولة الأغالبة

-نهاية الدول المستقلة على يد الفاطميين

https://hisgeo.tn/lecon%209%20his%207eme.htm

دولة بني مدرار (بني واسول)الصفرية
(١٤٠-٢٩٧هـ /٧٥٧-٩٠٩م)

استطاع الخوارج الصفرية(*) في عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧م أن يستفيدوا من اضطراب الأحوال في إفريقية ويقيموا دولة لهم في سجلماسة على وادي ملوية وهو إقليم نائي من بلاد المغرب ويقع في منطقة شديدة الوعورة .

وقد اعتمد بنو مدرار على قبائل مكناسة كما أسهمت عناصر أخرى غيرها في قيام الدولة مثل قبائل : صنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الربض الأندلسيين وتجدر الإشارة إلى أن أول من تولى الإمامة في الدولة كان سودانيا يدعى عيسى ابن يزيد الأسود . امرس وقد تمكن زعيم مكناسة : أبو القاسم سمكو بن واسول من ضم قبليته على المذهب الصفري الذي اتصل بعكرمة – ناشر هذا المذهب في إفريقية – ابتداء من عام ١٣٨هـ ،وعندما اجتمع لديه الأنصار بايع أبو القاسم بالإمامة لعيسى بن يزيد الأسود وهو من موالى العرب ، وذلك في عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م . وفي نفس العام ابتدأ في تخطيط مدينة سجلماسة لتكون حاضرة للدولة الجديدة وقد أصبحت سلجماسة مركزا للإمارة ومقرا للمذهب الصفري،وانتقلت الإمامة بعد ذلك إلى أبي القاسم سمكو وكان السبب في هذا أن قبيلة

(٠) ينسب الخوارج الصفرية إلى عبد الله بن الصفار أو زياد بن الأصفر حسبما تختلف كتب الفرق الدينية ، وقد ظهروا حيثما خالف عبد الله بن الصفار ، نافع بن الأزرق حول مسألة القعدة عن القتال في ٦٥ هـ / ٦٨٤م وعقيدتهم تتضمن : عدم إسقاط الرجم وعدم قتل أطفال المشركين وتفكيرهم مثلما كان الأزارقة كما قاموا بتكفير مرتكب الكبيرة وقد دخل هذا المذهب بلاد المغرب

على يد شخص يدعى عكرمة وهو مولى لفقيه شهير : ابن عباس ، وقد انتشر هذا المذهب بين قبائل مكناسة وزناتة وتغلغل في سائر أرجاء المغرب الأقصى وبعض نواحي إفريقية والمغرب الأدنى : مكناسة زادت قوتها بعد أن تجمعت فروعها نحو العاصمة الجديدة فأرادوا أن تكون لهم

السلطة والحكم ، وبذلك آلت الإمامة إلى أبي القاسم سعكو وظلت من بعده محصورة في صفرية مكناسة التي اختصت باختيار الأئمة من آل بيت أبي القاسم وأخذ البيعة لهم من جمهور الصفرية في سجلماسة وأعمالها.

وفي فترة إمامة أبي القاسم (١٥٥ – ١٦٨هـ) عكف على إرساء دعائم دولته ولم يشارك في ثورات الخوارج الصفرية في بلاد المغرب طوال العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢هـ) وذلك لاعتقاده بعدم جدوى هذه الثورات غير المنظمة والانشغال ببناء الدولة الجديدة

وعلى المستوى الداخلي تأثرت الأحوال في دولة بني مدرار على العنصر والمذهب بمعنى أن كل ما مرت به الدولة من صراعات داخلية وثورات وامتداد للدولة أو تقليص لها كان سببه إما الصراع القبلي أو الخلاف المذهبي وتجدر الإشارة أن مجتمع سجلماسة قد ضم العديد من العناصر من بربر وسودان وأندلسيين ومعتزلة ويهود وخوارج إباضية،وتعزى بعض الاضطرابات الداخلية في الدولة إلى وجود بعض الخوارج الإباضية الذين قاموا ببعض الفتن ضد الدولة المدرارية.

فقد قامت بعض الفتن في عهد إليسع بن أبي القاسم (١٧٤ – ٢٠٨هـ) واستطاع إخمادها بمنتهى القسوة والعنف وذلك نظراً لأن الخوارج الإباضية أرادوا الإستقلال ببعض النواحي المملوكة لبنى مدرار وهو ما جعل بنى مدرار يلقبونه بأبي المنصور.

وقد تسببت هذه الفتن في إحداث أضرار جسيمة في مدينة سجلماسة فخربت بعض عمائرها وسورها مما دعى أبي المنصور اليسع بأن يقوم بإخلاء المدينة ويعيد تخطيطها

فأمر القبائل بترك سجلماسة وسكنى الصحراء إلى حين بناء مسجدها الجامع وبنا أغلب القصور وتحصينها ببناء سور جديد أنفق عليه أموالا طائلة بنى أثني عشر باباً من الحديد،وعندما انتهى من استكمال تعمير سجلماسة أعاد القبائل مرة أخرى إليها بعد أن قسم خططا بالمدينة لكل قبيلة وبما يضمن السيطرة على جميع أجزائها وكذلك السيطرة على كل سكانها ، لذا كانت فترة حكمه – أبو المنصور اليسع – عصر ازدهار واستقرار في تاريخ دولة بنى مدرار.

وتوثقت الروابط بين خوارج سجلماسة الصفرية وخوارج تاهرت الإباضية بزواج سفر و سياسي يضمن للإباضية الأمان من الصفرية كما يضمن لإخوانهم الموجودين تحت رعاية الدولة

المدرارية الاستقرار والأمان ، فتزوج مدرار بن أبي المنصور اليسع من ابنة عبد الرحمن بن رستم – زعيم بنى رستم – وعليه حمدت ثورات الإباضية في سجلماسة حتى وفاة أبي المنصور في عام ٢٠٨هـ . ولكنها عادت مرة أخرى في عهد ابنه مدرار – المنتصر –

وكان لمدرار بن اليسع ولدين كل منهما يحمل اسم ميمون ، أحدهما من زوجته الرستمية والآخر من زوجة أخرى تدعى بقية فعرف بميمون بن بقية . وكان المنتصر يفضل ابن الرستمية على أخيه حتى أنه عهد إليه بولاية عهده ولكن ذلك كان يعتبر انتصارا للخوارج الإباضية الموجودين في سجلماسة الصفرية .

لذا قام الصفرية بمؤازرة ميمون بن بقية لأحقيته في الولاية ودخل الجانبان في صراع استمر ثلاثة أعوام (٢٢١ – ٢٢٤هـ) ولم يكتف المنتصر بأن يقف موقفا سلبيا من هذا الصراع ولكنه قام بخلع نفسه وتولية ميمون ابن الرستمية مكانه بعد أن طرد ولده الثاني ميمون بن بقية من سجلماسة

فما كان من صفرية سجلماسة – الذين غضبوا من المنتصر الذي انتهك تعاليم الصفرية وخشوا من ازدياد نفوذ الإباضية بينهم – إلا أن خلعوا ابن الرستمية وطردوه بتحريض من أخيه ميمون بن بقية وبويع له بعد فترة نزاع في عام ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ولقب بالأمير وقام الأمير برا أبيه مدرار من سجلماسة فظل في إحدى القرى حتى وفاته في عام ٢٥٣هـ / ٨٦٧م .

واستمر ميمون بن بقية في الحكم حتى توفي في عام ٢٦٣ هـ / ٨٧٧م . وكان في فترة حكمه مناهضاً لبعض فتن الإباضية وهو ما استمر في عهد ابنه محمد بن ميمون الذي استطاع أن يقضى على قوة الإباضية في تلك المناطق طوال فترة حكمة وقد توفى في عام ٢٧٠هـ / ٨٨٤م

وعلى الرغم من أن دولة بنى مدرار كانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور كبير وفعال في أحداث بلاد المغرب وقتها مثل جيرانها من الدول المستقلة ، لكنها لم تكن بعيدة نظرا للعزلة السياسية التي كلانوا يتصفون بها ونظراً لطبيعة دولتهم الجغرافية التي جعلتهم بعيدين مكانا وحضورا بين أحداث المغرب .

وعليه كانت سياسة بنى مدرار الخارجية تسير في إتجاهين بارزين : علاقات عدائية تجاه الخلافة العباسية ودولة الأغالبة ودولة الأدارسة وعلاقات ودية مع بني رستم والأمويين بالأندلس

فبالنسبة للعلاقات مع الدولة العباسية ، فقد كان قيام دولة بنى مدرار بسجلماسة على حساب النفوذ العباسي في بلاد المغرب فقد تم اقتطاع هذا الجزء نهائياً سلطان الخلافة واستقل به أمراء بني مدرار عن العاصمة : القيروان وخلعوا طاعة الخلفاء العباسيين كذلك زاد المذهب الصفري الذي اعتنقه أمراء سجلماسة وأهلها من معادة العباسيين الذين اعتبرهم الخوارج بكافة فرقهم مغتصبين للخلافة وليس لهم حق فيها ولهذا يجب الخروج عليهم وقتالهم وعليه كان من مظاهر العداء مع الخلافة العباسية بالمشرق والتي اتسمت بالقسوة والعنف مع الخوارج الصفرية في بلاد المشرق وخاصة في العصر العباسي الأول أن يقوم بنو مدرار بتحسين علاقاتهم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس .

والدولة الأخرى التي كانت معادية للدولة المدرارية هي دولة الأغالبة «السنية» التي كانت تمثل نفوذ العباسيين على أرض المغرب والحاجز الذي أقامته الخلافة العباسية لوقف خطر الدول المستقلة الخارجة عن طاعة العباسيين ومنها دولة بني مدرار ولم يتعد العداء بين الأغالبة والمدراريين سوى العداء الشكلي نظراً للبعد الجغرافي بين الدولتين وقيام دولة حاجزة بينهما وهي دولة بني رستم فلم تسجل الأحداث التاريخية استعداد أو تفكير أي من الطرفين في التوجه نحو الآخر ومواجهته عسكريا.

وعلى الجانب الآخر نجد أن المدراريين قاموا بتكوين علاقات سلمية بين إخوانهم الرستميين (إباضية تاهرت) حتى يتفرغ هؤلاء للأغالبة – عدوهما المشترك – كذلك تأصلت روابطهم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس حتى يستطيعوا وقف أطماع الأغالبة في المغرب الأقصى والحيلولة دون السيطرة عليه والتوغل إلى ما وراء حدود إفريقية أو المغرب الأدنى .

أما الأدارسة فقد كانت الدولة الثالثة التي اتسمت علاقاتها مع دولة بنى مدرار العداء الصارخ والصريح ، فقد قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى في عام ١٧٢هـ

على حساب نفوذ الخوارج الصفرية وزاد هذا العداء الاختلاف المذهبي بين الدولتين فالأدارسة من الشيعة الزيدية وبنو مدرار من الخوارج الصفرية ولا يخفى العداء القديم بين الشيعة والخوارج.

ورغم وجود حاجز يفصل بين الدولتين وهو حاجز طبيعي ممثل في الطبيعة الجبلية،غير أن ذلك لم يمنع من إمكانية أن تعزو دولة منهما الأخرى ولكن الظروف السياسية الداخلية التي مرت بها

كل دولة منهما حالت دون ذلك . فقد عزم الأدارسة على إنهاء نفوذ المدراريين الصفرية ولكن الصراع الحاد مع الأغالبة الذين نجحوا في تدبير المؤامرات لقتل إدريس الأول والثاني ، وحالة الضعف التي دبت في جسد الدولة الإدريسية بعد موت إدريس الثاني والصراعات الداخلية في داخل الدولة كانت من الأسباب التي أدت إلى تقاعس الأدارسة عن غزو سجلماسة فاكتفوا بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم . كما اكتفى المدراريون بإثارة القلاقل في دولة الأدارسة عن طريق الخوارج الصفرية الموجودين بها.

وكان من مظاهر العداء الواضح بين الدولتين ما قام به إدريس الأول من حملات ض الصفرية بتلمسان عام ١٧٣ هـ / ٧٩٠م وحمله ابنه إدريس الثاني في عام ١٩٧هـ/ ١٣ على نفس المنطقة .

وتمثل رد فعل المدراريين في تحريض الخوارج الصفرية الموجودين بفاس – الثورة ضد الأمير علي بن عمر بن إدريس واستمرت هذه الثورة حتى عام ٢٩٣/٩٠٧م .

أما فيما يخص العلاقات الودية فقد كانت مع دولة بني رستم في تاهرت والدولة الأموية بالأندلس فبالنسبة لدولة بني رستم فقد اتخذت العلاقات بينها وبين بنى مدرار شكلا وديا فانعدمت الحروب بينهما على الرغم مما كان بين الصفرية والإباضية من تنافر فالعداء المشترك للدولة العباسية وعمالهم الأغالبة بالقيروان وكذلك الأدارسة جعلت الطرفين يدخلان في علاقات سلمية وتحاشي التدخل في خلافات خاصة وأن في كل من الدولتين رعايا أو أنصار تابعين للدولة الأخرى فيوجد في دولة بني رستم خوارج صفرية ويوجد في دولة بنى مدرار خوارج إباضية وقد توجت العلاقات الودية بين الطرفين بزواج سياسى فتزوج مدرار بن إليسع ابن أبي القاسم من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم وذلك تأكيداً على علاقات الود والتضامن بين دولتي الخوارج .

وبالنسبة للدولة الأموية بالأندلس فقد اشتملت العلاقات بينها وبين بنى مدرار على صلات ودية وذلك لعدائهما المشترك ضد العباسيين والأغالبة والأدارسة فقد ارتفعت المصالح السياسية على الاختلاف المذهبي بين الدولتين وعلى الخلاف القديم بين الخوارج والأمويين

ورغم أن دولة بنى مدرار كانت دولة داخلية بمعنى أنه ليس لها موانى على البحر المتوسط ولكنهم استطاعوا إيجاد منافذ بحرية على المحيط الأطلسي تجعلهم على صلة بموانئ الأندلسيين

ومن ثم تواجدت عناصر صفرية بالأندلس في الوقت الذي توافرت فيه عناصر أندلسية في سجلماسة

ووضحت هذه العلاقات الودية في مساندة المدراريين للأمويين في القحط الذي أصاب بلاد الأندلس عام ٢٣٢هـ ٨٤٧م في عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الثاني فقام ميمون بن مدرار بإرسال بعض المواد الغذائية تغلبا على هذا القحط

ولم تخل العلاقات بينهما من تغير حيث ساعت في أواخر عهد الأمير الأموى الحكم ابن هشام (١٨٠ – ٢٠٦هـ) بعدما أخمد ثورة الربض بقرطبة مما أدى إلى نزوح عدد كبير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب وخاصة سجلماسة ، ولكنها عادت إلى طبيعتها الودية في عصر عبد الرحمن الثاني الأموى.

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام الفاطمي عبيد الله المهدي – أول الخلفاء الفاطميين – كان قد أتى من بلاد المشرق مختفيا بعدما نشر أبو عبد الله الشيعي دعوتهم – دعوة الفاطميين – بالمغرب تمهيدا لإعلان الدعوة الفاطمية وقد دخل هذا الإمام مدينة سجلماسة وعندما تنبه الأمير المدراري : إليسع بن مدرار إلى حقيقة شخصيته قام بسجنه ولكن أنصار المهدى وعلى رأسهم أبو عبد الله الشيعي استطاعوا توجية جيش نحو سجلماسة واستطاعوا تخليص إمامهم من السجن وتقويض دعائم الدولة المدرارية في عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م وهي أول دولة مستقلة في بلاد المغرب تسقط في أيدي الفاطميين تمهيدا لاكتسحاهم بلاد المغرب وإقامة خلافتهم الشيعية على بلاد المغرب ابتداء من عام ٢٩٧هـ . ويأتى سقوط دولة بنى مدرار الصفرية إثر استدعاء أبو عبد الله الشيعي لمولاه

عبيد الله المهدي في عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م فخرج إليه مختفيا عن أنظار العباسيين وعمالهم حيث مر بمصر والمغرب حيث مر على طرابلس وبلاد الجريد حتى وصل إلى سجلماسة وكان أميرها في ذلك الوقت اليسع بن مدرار وتمتع المهدى بحياة آمنة كما حظى باحترام أهل المدينة .

ولكن عندما تأكدت للأمير المدراري نوايا عبيد الله المهدي قبض عليه وسجنه بسجن سجلماسة ، فما كان من المهدي إلا أن أرسل لداعيته أبي عبد الله الشيعي ليأتي لإنقاذه.

وأرسل أبو عبد الله الشيعي الرسل إلى اليسع يطلب منه إطلاق سراح المهدى غير أن اليسع رفض وقتل الرسل وكرر الشيعي المحاولة فقتل إليسع الرسل في المرة الثانية.

فلم يجد أبو عبد الله الشيعي سوى أن يضرب الحصار على سجلماسة ونجع الشيعي في ذلك وفي قتال جيش بنى مدرار فهرب إليسع بن مدرار وغادر سجلماسة سرا مع أهله وذويه نحو الصحراء وقام الشيعي بتخليص المهدي من سجنه واستطاع الفاطميون أن يقبضوا على إليسع وأهله وجيء به إلى المهدي حيث عذب وأمر المهدى بقتله هو وأهله وصودرت أمواله ثم أمر المهدي بإحراق سجلماسة فاضرمت فيها النيران ، وغادر المهدى سجلماسة في عام ٢٩٧هـ بعد أن بويع بالخلافة فيها وبعد أن عين واليا عليها من قبله .

وهكذا سقطت دولة بنى مدرار على يد الفاطميين بعد انتصار كتامة على مكناسة وتغلب البرانس على البتر وهزيمة الخوارج على أيدي الشيعة .

ثانيا دولة بني رستم الاباضية

(١٦١- ٢٩٦ هـ /٧٧٧- ٩٠٨م)

أمراء الدولة :

(١) عبد الرحمن بن رستم (١٦١- ١٦٨هـ /٧٧٦ ٧٨٤م)

(٢) عبد الوهاب بن الرحمن (١٦٨- ١٩٨ هـ /٧٨٤ ٨١٤م)

(٣)الأفلح بن عبد الوهاب (١٩٨- ٢٤٧هـ/ ٨١٤ – ٨٦١م)

(٤) أبو بكر بن الأفلح (٢٤٧- ٢٦٠هـ/ ٨٦١- ٨٧٣م)

(٥) محمد بن الأفلح (أبو اليقظان) (٢٦٠- ٢٨١ هـ/ ٨٧٣ -٨٩٤م)

(٦) يوسف بن محمد (أبوحاتم) (٢٨١- ٢٩٤ هـ/ ٨٩٤- ٩٠٧م)

(٧) يعقوب بن الأفلح (٢٩٤- ٢٩٦ هـ/ ٩٠٧- ٩٠٨م)

تنسب دولة بني رستم إلى عبد الرحمن بن بهرام بن رستم الفارسي مؤسس هذه الدولة وكان أبوه بهرام من موالى الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٥٣هـ) وعندما مات بهرام تزوجت أرملته والدة عبد الرحمن من أحد الحجاج المغاربة الذي اصطحبه إلى بلاد المغرب ،وقد تلقى عبد الرحمن مذهب الخوارج الإباضية وتربى في القيروان ثم ذهب إلى البصرة لتلقى مذهب الخوارج الإباضية هناك .

وعاد الى المغرب ونزل بالقيروان في محاولة لجمع شمل الخوارج الإباضية ولكن أهلها ثاروا على الخوارج أضطر عبد يتوجهوا هاربين نحو المغرب الأوسط حيث بعض القبائل البربرية التي تدين بالمذهب الإباضي واتجه عبد الرحمن الى تاهرت القديمة وفيها قبائل هوارة ولواتة ومكناسة واغلبهم اباضية ،وقد اختار عبد الرحمن منطقة تاهرت لإقامة دولتهم وذلك لأنها منطقة داخلية .

وبويع لعبد الرحمن بن رستم بالإمامة في عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، ووقع الاختيار على منطقة تاهرت لموقعها الجبلي وتوفر العصبة البربرية البترية التي تدين بالمذهب الإباضي وغنى الموقع بالماء والمراعي . وكما هي العادة في بناء المدن الإسلامية ، فقد بدى» بتخطيط المسجد الجامع وتلى ذلك بناء القصور والبيوت والأسواق والحمامات والفنادق . وقد أجمع مشايخ الإباضية على اختيار عبد الرحمن لتدينه وصفاته الحميدة ، وشرع بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وإرساء أركان دولته وأولى النواحي الاقتصادية والعمرانية اهتماماً كبيراً بعد أن هادن الخلافة العباسية وبنى مدرار ، فتذكر المصادر جهوده الزراعية في مجال زراعة البساتين وشق القنوات وإقامة المطاحن، كما زاد في تعمير تاهرت وأقام الفنادق والمباني التجارية والأسواق فكانت مركزاً تجاريا لتجار فارس والعراق والمغرب وبلاد السودان وقد اشتهر عبد الرحمن بإقرار العدالة في توزيع الأموال والأرزاق بين أبناء دولته وكان يعاونه في الحكم : القضاة ويمثلون الطبقة ويتلوهم أصحاب الشرطة الذين يمثلون نواب القاضي من المحتسبين المشرفين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق والقبائل وبعدهم تأتى طبقة العمال من جباة الأموال المعروفين بالطوافين وبعد توزيع الطعام ورواتب عمال الصدقة السنوية من الزكاة كان على أعوان الإمام أن يوزعوا الأموال على الفقراء والمساكين كما كان عبد الرحمن يقوم بكسوة أبناء دولته بالأكسية الصوفية وملابس الفرو وتوزع على أهل كل بيت حسب حاجته وحسبما تسمح به الأحوال .

أما الإمام وأعوانه من الحشم والقضاة وأصحاب الشرطة وسائر معاونيه فكانت أرزاقهم السنوية تقتطع من مال الجزية وخراج الأرض حيث كان من رعاية دولة بني ستم يهود ونصارى وباقى المال يصرف في مصالح المسلمين فيما يخص المرافق العامة كالمساجد والمصليات ودور العلم والضيافة والحمامات أو شراء السلاح والخيل أو تحصين العاصمة وتوسيع أسوارها .

وعندما إطمأن عبد الرحمن إلى سلامة دولته من الأخطار الخارجية ولكي يضمن إستمرار هذا الاستقرار أوصى قبل وفاته بتعيين مجلس شورى يختار إمام الدولة من بين أعضائه وقد اضطربت أحوال الدولة الرستمية بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم في عام ١٦٨هـ . فامتلأت بالفتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصرى وعلى ذلك مرت الدولة بثلاثة مراحل :
–المرحلة الأولى وتشمل عهدي عبد الوهاب بن رستم وابنه أفلح وتمثل هذه المرحلة قوة الدولة وقدرتها على إحباط الحركات المناهضة ضد الإماميةالإباضية.

–والمرحلة الثانية فتشمل عهدي أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي اليقظان محمد وتتميز بالصراع العنصرى والقبلي وفيها ضعفت الإمامة ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تاهرت

–وتقسم المرحلة الثالثة والأخيرة والتي تشتمل عهدي أبي حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن أبي اليقظان بتداعى الدولة وتحكم عامة تاهرت في تعيين الأئمة وعزلهم وطمع الطوائف والفرق غير الإباضية في إنهاء الحكم الرستمي الإباضي وخروج الأقاليم الشرقية عن العاصمة كما تفاقمت الخلافات داخل البيت الرستمى وتدبيرهم المؤامرات والاغتيالات ضد بعضهم البعض للاستيلاء على الحكم وقد تضافرت هذه العوامل جميعها على سقوط دولة بني رستم في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م .

وتناولاً لبعض هذه العوامل فنجد أن الصراع القبلي والعنصري والذي ميز المرحلة الثانية (٢٥٨ – ٢٨١ هـ / ٧٨٨ – ٨٩٥م) قد بدت بوادره على عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حيث تمردت بعض القبائل البربرية ، فقد ضمت الدولة الرستمية بائل متعددة من البربر مثل قبائل : هوارة ونفوسة ولواته وسدراتة وغيرها ، فضلاً عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب والجند الإفريقي .

وقد ساعدت فترة الهدوء الطويلة التي عاشت بها الدولة في فترة حكم أفلح بن عبد الوهاب (١٩٨ – ٢٤٧هـ) على أحداث تحول خطير في أحوال هذه العناصر والقوى المختلفة . فالقبائل البدوية البربرية كانت تعيش حول تاهرت وفضلت حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والتجارة وجئت من وراء ثروة طائلة . وبلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأنا كبيراً لأن الأئمة الرستعيين كانوا من أصل فارسي لذا وكل إليهم قيادة الجيوش والمناصب العليا فضلاً عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية

كما وفدت على تاهرت جموع من العرب والجند الأفريقي بعد فشل ثوراتهم على الأمراء الأغالبة فأقيلوا على سكنى تاهرت هرباً من بطش هؤلاء الأمراء من ناحية وطمعا في الثراء عن طريق الاشتغال بالتجارة التي ازدهرت في عاصمة الرستميين من ناحية أخرى

لذا نجد أن القتال ينشب بين العرب والبربر وبين البربر وبعضهم البعض مما يؤدى إلى تناحر قبلي وصراع عنصري ، يؤدي إلى إنهيار هيبة الأئمة وإضعاف مكانة الإمامة حيث أصبح تنصيب الأئمة وعزلهم لعبة في أيدي عامة المدينة وهو ما يميز المرحلة الثالثة من تاريخ دولة بني رستم (٢٨١ – ٢٩٧هـ / ٨٩٥ – ٩٠٩م) ، فقد استغلت الطوائف الدينية والمذهبية تلك الظروف لاغتصاب الحكم في تاهرت فعمدت إلى التدخل في النزاع بين أفراد البيت الرستمي وإذكاء الخصومة بين المتنازعين منهم على منصب الإمامة ومن المرجح أن هذه الطوائف قد تحالفت مع قوى خارجية كالعباسيين والأغالبة والأدارسة والشيعة الفاطميين لإسقاط دولة بني رستم ، ومن هذه الطوائف فرق الخوارج الصفرية التي كانت تعيش في كنف الدولة الرستمية ، كما كانت تعيش فرق المعتزلة وتواجد كثير من معتنقى مذهب المالكية السني في تاهرت نفسها كما كان للمذهب الشيعي أنصاره في العاصمة .

وقد علا شأن هذه الطوائف والفرق في تاهرت أواخر العصر الرستمي بسبب ضعف العصبيات القبلية والعنصرية نتيجة للصراع بينهما ويسبب سياسة التسامح التي اتبعها أبو اليقظان محمد في أواخر سنوات حكمه مع أتباع هذه المذاهب والفرق .

وكانت علاقات دولة بني رستتم الخارجية تتأرجح بين العداء والصداقة ففيما يخص العداء فقد ناصبت الدولة الرستمية العداء مع الخلافة العباسية نظراً للخلاف المذهبي والسياسي ، وقد وجد

إباضية المغرب في دولة بني رستم ملاذاً حصيناً من خطر ولاة العباسيين في القيروان ، وتذكر المصادر أن عبد الرحمن بن رستم قد أرسل إلى روح بن حاتم – والى افريقية – يطلب الهدنة منه للتفرغ لبناء دولته واستمرت سياسة تحاشي الصدام بين أئمة تاهرت وأمراء القيروان قائمة حتى عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م حيث قامت دولة الأغالبة في إفريقية والتي تعتبر وريثة العباء مبين في عدائها للدول المستقلة ببلاد المغرب ومن بينها دولة بني رستم .

كذلك رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بني رستم وتعاون العباسيون معهم على إسقاط الحكم الرستمي في تاهرت ، وقد اتضح تأمر العباسيين على إسقاط إمامة تاهرت في المرحلة الثالثة والأخيرة من العصر الرستمي ، حيث لعبت طائفة الكوفيين دورا بارزا في مناهضة الإمامة الرستمية في ذلك الحين وتواطات مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية تاهرت لإقصاء أبي حاتم يوسف عن السلطة وطرده خارج المدينة

وبالتبعية كانت العلاقة بين بني رستم والأغالبة – السنة – علاقة عدائية ، فقد فرضت الظروف الجغرافية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا فكان لابد من الصدام والاشتباك المسلح بين الطرفين وخصوصاً في المنطقة الحدودية بين البلدين ، حيث أحاطت الدولة الرستمية بإفريقية الأغلبية من الشرق والغرب والجنوب ولم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البربرية غير المستقرة من الحركة والانتقال في مناطق الحدود ومثال على ذلك إقليم الزاب الذي شهد صراعاً دامياً بين فقهاء المالكية وأتباع المذهب الإباضي

كما كانت حدود دولة الأغالبة الشرقية غير واضحة المعالم، فقبائل نفوسة الإباضية كانت مواقعها قرب طرابلس التابعة لبنى الأغلب وامتدت مواقعها حتى قريبا من القيروان ومن ثم كانت هذه المناطق ميدانا حافلا بالصراع بين الدولتين ، وقد دأب الطرفان الأغلبي والرستمي على بث الفتن وضع العراقيل وإذا كان الرستميون الأوائل قد أحرنوا النصر في المرحلة الأولى فإن الأغالبة ظفروا به بعد ذلك في أواخر العصر الرستمي ، لذا نجد أن النزاع بين الطرفين كان على مدينة طرابلس الأغلبية ولكن الخوارج الإباضية امتد نفوذهم عليها وحاول أمراء البيت الرستمي تحريض القبائل على زعزعة الحكم الأغلبي في تلك المناطق – خاصة – المغرب الأدنى ولكن الرستميون نظراً لصراعاتهم الداخلية على الحكم تركوا أباضية المغرب الأدنى وحدهم في صراعهم مع الأغالبة حتى ضعفت قوتهم وكان إضعاف قوتهم إضعاف لقوة

الرستميين أنفسهم ، ولولا ما حل بدولة الأغالبة من اضطراب سياسي في عهدها الأخير وانصراف أمرائها لمجابهة الخطر الشيعي لأمكنهم أيدي الفاطميين في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م

وبالنسبة لعلاقات بنى رستم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس ، فقد بدأت بعد رحيل عبد الرحمن ابن رستم إلى المغرب الأوسط واختطاطه مدينة تاهرت ، فقد استعان ابن رستم بخبره الأندلسيين في إنشاء المدينة وتعميرها ، واستمرت صلات المودة في عصر عبد الوهاب بين رستم حيث قرب الأمير الأندلسي عبد الرحمن بن الحكم كثير من آل البيت الرستمي واتخذ منهم الوزراء والحجاب والقواد

وتوطدت العلاقات الودية بين أفلح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الرحمن الأندلسي (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ) وتطلع نحو بلاد المغرب لتدعيم صلته مع تاهرت وسجلماسة وقبلها أرسل الأمير الرستمي أفلح ابن عبد الرحمن بخبر إحراقه لمدينة العباسية التي بناها الأغالبة عام ٢٣٩ هـ / ٨٥٤م إلى الأمير الأندلسي تقرباً إليه فأرسل إليه الأمير الأندلسي مائة ألف درهم تأكيدا على تضامنه معه ضد عدوهما المشترك .

وظلت هذه العلاقات الودية قائمة بعد موت أفلح على الرغم مما تعرضت له الدولتين من خطر الفوضى والتمزق السياسي حتى سقوط دولة بني رستم في يد الفاطميين الشيعة في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م .

سقطت تاهرت في يد الفاطميين ولم يقدم أبو عبد الشيعي علي فتح المغرب الأوسط والأقصى إلا بعد سقوط رقادة عاصعةالأغالبة في عام ٢٩٦ هـ / ١٠٨م، وبعدها شرع في غزو سجلماسة لتحرير عبيد الله المهدي ثم إلى تاهرت فخضعت له مقاومة دخل المدينة وأعطى أهلها الأمان وقتل من بها الرستمية وبعث برؤوسهم أخيه حيث طيف بها القيروان وعلقت على باب رقادة ، لذا تم التخلص من أبي اليقظان ابن اليقظان وبنيه ، وأمر أبو عبد الله بإحراق المكتبة الرستمية المعروفة بالمعصومة بعد انتقى منها الكتب الخاصة بالحكم والفنون والرياضيات كما أحرق مدينة تاهرت وغادرها متوجها إلى سجلماسة ووجه من فرسانه إلى وارجلان متعقبا يعقوب بن أفلح الذي هرب إليها مع بعض أصحابه ولكن نجا من مذابح أبي عبد الله الشيعي.

وبسقوط تاهرت وانقراض الرستميين انتهى حكم بني رستم الذي استمر يزيد على مائة وثلاثين عاماً

*مظاهر الحضارة في دولة بني رستم

استفاد عبد الرحمن بن رستم من خبرة الفرس في وضع نظم الدولة الرستمية فكان يختار عماله وقضاته وأصحاب شرطته ومحتسبيه ممن يثق في علمهم وقدراتهم وكان نظام الجباية والصدقات ونواحي أنفاقها تجرى حسب شرائع المذهب ووفقا لتعاليم الاباضيه .

على ان خوارج المغرب لم يلتزموا بالفكر السياسي عند الخوارج ولم يراعوا تعاليم المذهب وشرائعه بعد انتهاء حكم مؤسيي دولتيهما في سجلماسة وتاهرت حيث برزت النعرات العصبية وتحكمت في مقاليد الحكم ونظم الإدارة فقد تحولت الإمامة إلى ملك وراثي واتخذ الوزراء والحجاب وأصحاب وظائف الدولة حكراً على عصبيات بعينها أستأثرت بها دون العناصر الأخرى.

وعلى المستوى الاقتصادي استنزفت ثورات الخوارج –صفرية واباضية –جهود الولاة ومواردهم المالية ،فقد أنفقوا الكثير على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات لمواجهة هذة الثورات كما أسفرت عن هدم العمائر وأزهقت أرواح أعداد كبيرة من الناس وأدى كله إلى حدوث الأزمات الاقتصادية والمجاعات المتكررة .

ولكننا نجد باستقرار احوال بلاد المغرب السياسية بقيام الدول المستقلة شهدت البلاد نهضة وازدهارا اقتصاديا ملموساً في النواحي الاقتصادية.

لقد قامت دولتي الخوارج مناطق صحراوية ومع وإكب الزراعة والصناعة ورواجا التجارة اهتم أئمة بني رستم بالزراعة فاختاروا موقع عاصمتهم تاهرت مكان جيد الهواء كثير المياة خصب الأرض توافرت المياه لأقليم تاهرت وقد عنى الرستميون بالاستفادة من هذه المياه فشقوا القنوات وأقاموا الطواحين على الأنهار فزرعوا والسمسم وسائر الحبوب على اختلافها جانب غرس الأشجار وإقامة البساتين على مساحات رحبة كما ازدهرت الزراعة أيضا في واحة وارجلان اعتمادا على الآبار فاشتهرت بأشجار النخيل والزينون والحبوب كما اشتهر الرستمية بمراعيها الواسعة تاهرت منتجعا للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء.

واستفاد بنو رستم خبرة والحريرية والقوارير الزجاجية وأواني الخزف والتحف المعدنية وقامت الدولة الرستمية الوسيط التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا شمالا وجنوبا .

ولذا كانت دولة بني رستم إحدى الدول التي دول المشرق والمغرب والأندلس إفريقية جنوبي الصحراء وكذلك أقام بتاهرت طائفة من التجار العراقيين كانت مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم وأسواقهم الخاصة اهتم أئمة بني رستم بتجارة الشرق فشاركوا فيها وأشرفوا بأنفسهم وأولوا التجار رعايتهم وكفلوا لهم الحماية والأمان

وكان لقيام الدولة الرستمية عام ١٦١ هـ / ٧٧٩م آثاره الاجتماعية في حياه سكان بلاد المغرب الأوسط فقد تحول إقليم تاهرت من غابات إلى مدينة عامرة بالسكان والعمائر كذلك تحولت المناطق الإباضية الأخرى مثل غدامس ووارجلان وترتب على ذلك انتقال السكان من حياة البداوة إلى حياة الحضارة والاستقرار ، ولما كان أئمة بني رستم من الفرس ، فقد جنيت تاهرت كثيراً من العناصر الفارسية حيث شكلوا قوة اجتماعية لها وزنها ، كما احتوت دولة بني رستم جماعات كبيرة من العرب ، نزحوا إلى تاهرت لشهرتها التجارية أو فرارا من الاضطهاد السياسي أو المذهبي أو هرباً من إفريقية بعد فشل ثوراتهم على الإمارة الأغلبية

كما تشبه بنو رستم بأهل المشرق في إقامة المآدب لأطعام الفقراء أيام الأعياد والمناسبات الهامة فكانت تقام الاحتفالات التي يحضرها وفود من كافة أنحاء العالم وكان عمال الإمام ورؤساء القبائل ينزلون في قصر الأمير ويعودون إلى عمالاتهم بعد أن تجرى عليهم الأرزاق وتوزع عليهم الهدايا

وفضلاً عن ذلك كان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة له حسناته كما كان له مساونه أيضاً فقد أقام البربر في ظل الحكم الرستمي قصوراً منظمة وأبنية فخمة وأسواقاً مزدحمة ومساجد متعددة وتنوعت الملابس والفرش وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى ، وفي مقابل ذلك أدت مظاهر الترف إلى وجود نوع من الانحلال والفساد الأخلاقي في أواخر عصر الدولة

دولة الإدارسة في المغرب الاقصى

بتولى الخليفة العباسيموسى الهادي ١٦٩هـ-١٧٠ هـ) حول العلاقة بين العباسيين والعلويين من حالة الهدوء والسلم إلى حال الحرب والثورة فقد قام الخليفة العباسي بتشديد المراقبة عليهم في المدينة المنورة التي تعتبر حركة نفوذهم ومنها انطلقت أكثر ثوراتهم وعين واليا جديدا العزيز وعهد إليه بمراقبة العلويين والتضيق عليهم وقام الوالي الجديد بالإساءة إلى العلويين بايعاز الخليفة العباسي حيث فرض عليهم يشبه الإقامة الجبرية وطلب منهم يعرضوا عليه بالمقصورة يوميا وأخذ ينسب إليهم التهم الباطلة للتشهير بقصد صرف المسلمين عنهم اعتقل الحسن محمد النفس الزكية مع مجموعة من العلويين بتهمة شرب الخمر وأقام عليهم الحد (ثمانون جلدة) ثم جعل الحبال في أعناقهم بأن يطاف بهم المدينة مكشفى الظهور لإذلالهم.

وقد أثار هذا العمل غضب العلويين فجاء الحسين بن على بن يحيى عبد الله الحسن (شقيق محمد النفس الزكية) واحتجوا على معاملة العلويين تلك المعاملة المشينة وقامت ثورة المدينة المنورة ضد الدولة العباسية وبدأت هذه المعركة في الحجة ١٦٩هـ /٧٨٦م في مكان يدعى فخ بين والمدينة وقتل الحسين مع أكثر أنصاره وبقيت جثث القتلى ثلاثة أيام لم يأذن العباسيون بدفنها حتى أكلتها الوحوش والطيور

وقد كان لفشل ثورة الحسين بن على سنة ١٦٩هـ / ٧٨٦م نتائج سلبية على العلويين المشتركين فيها . فقد حاول العباسيون استنصالهم ولكن يشاء القدر أن ينجو من هذه المذبحة إدريس وأخوه يحيى واختار إدريس طريق المغرب في حين اختار يحيى المشرق وتحديدا بلاد الديلم واختيار ادريس الطريق المغرب ليس عبثا بل عن تخطيط ودراسته فالمشرق كان مركز الدعوة العباسية وأكثر المشرق موال لهم ولكن المغرب بعيد عن الحكومة المركزية وكان شبه ضائع بعد سقوط الأمويين ١٣٢هـ / ٧٤٩م أي كان شبه مستقل عن أية سلطة مركزية .

والعامل المهم الذي دفع بإدريس إلى التوجه نحو المغرب ورغبة فيه هو مولاه راشد الأوربي وأصله من قبيلة أورية المغربية وكان مولى لإدريس ، وقد أشار عليه بإرتداء ثياب قديمة ممرقة حتى لا يفطن إليه أحد من العباسيين الذين أخذوا يبحثون عن فلول العلويين الفارين من موقعة

فخ وقد زاد راشد بأن جعل سيده هو الخادم وجعل نفسه سيداً على إدريس زيادة في تمويه الأعداء . وبتلك الطريقة غادر إدريس الحجاز مع حجاج مصر وإفريقية وركبا الاثنان البحر من ميناء ينبع إلى بلاد النوبة ومنها تابعا السير حتى دخلا مصر .

وفي مصر كان للعلويين انصار وعلى رأسهم صاحب البريد واضح – مولى صالح ابن أبي جعفر المنصور – وكان شيعياً وقد بادر إدريس بالاتصال به وعمل واضح على إخراجه من مصر بسرعة فقرر أن ينقله مع قافلة البريد إلى خارج حدود مصر لأن القافلة وصلا القيروان ولقد دفع واضح حياته ثمن هذا العمل حيث صلبه الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ)

واستمر إدريس في المسير في بلاد المغرب من القيروان إلى تلمسان إلى طنجة واجتازوا وادي ملوية ودخل السوس الأدنى حتى وصلا مدينة وليلى وهي مدينة متوسطة كثيرة المياه والزيتون محاطة بسور عظيم وذلك عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م ونزلا ضيفين على أميرها اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي

وأخذ إدريس يعلم البربر أصول الدين وأحكامه فما كان من أمير وليلى إلا أن خلع طاعة العباسيين وبايعه بالإمامة وبايعه البربر بمدينة وليلى يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢ هـ على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم .

ولما انتشر نبأ مبايعة الإمام إدريس في وليلي وفدت عليه مبايعة قبائل زناتة وزواغة وسدراته ومكناسة وغمارة وكافة البربر في المغرب الأقصى وبعد أن بايعته هذه الجموع الغفيرة انطلق يجاهد لنشر الإسلام ومحاربة البدع الخارجية فجند جيشاً من البربر وخرج غازيا بلاد تامسنا ففتح مدينة شالة وبلاد تادلا وكافة بلاد المغرب الأقصى وذلك طيلة عام ١٧٣ هـ / ٧٨٩م .

ثم توجه نحو المغرب الأوسط وبذا متوجها نحو تلمسان التي سلمت إليه صلحاً وبايعته وأمر بتعليم السكان القرآن وبدأ بتشييد مسجد للمدينة جاء أية في الإتقان والبناء .

وبعد أن أطمأن إلى أوضاع مدينة تلمسان واستقرار الأمور فيها عاد إلى عاصمته

وليلي واستقر فيها وبذلك استطاع الإمام إدريس خلال سنتين من نزولة بلاد المغرب ١٧٢ هـ أن يبسط سيطرته عليه من مدينة تلمسان حتى المحيط الأطلسي واستقل به في وقت كانت فيه الدولة العباسية في أوج مجدها وعزها . .

وقد وصلت إلى مسامع الخليفة العباسي هارون الرشيد ما وصل إليه إدريس من سيطرة على بلاد المغرب الأقصى والأوسط ، فبدأ يخطط للقضاء على الدولة العلوية الناشئة التي شكلت تهديدا للخلافة العباسية ، لذا استدعى وزيره يحيى بن خالد البرمكي يستشيره في أمر إدريس وقد أشار عليه الوزير يحيى بأن يرسل إليه برجل يحتال عليه ويغتاله وقد أختار يحيى البرمكي رجلا من حاشيته يدعى سليمان بن جرير الملقب بالشماخ وكان يتمتع بصفات كثيرة منها : المكر والدهاء والعلم والجدل والشجاعة والحزم

فانطلق من بغداد حتى وصل إلى القيروان ومنها إلى مكان إقامة إدريس وقد انتحل صفة طبيب وقد رحب به الإمام إدريس وسأله عن اسمه ونسبه وموطنه وسبب قدومه إلى عبد الله بن الحسن . المغرب وهنا أظهر الشماخ مكره ودهاءه فأجابه أنه من أتباعهم ومن موالي أبيه

وقد استغل الشماخ فرصة غياب المولى راشد عن سيده إدريس ، فدخل على الإمام حيث وجده وحيدا فجلس بين يديه وأخرج من جيبه قارورة طيب مسمومة وقد تناول إدريس القارورة ففتحها وشمها فسقط مغشيا عليه وقد هرب الشماخ نحو المشرق وعرف راشد بالمؤامرة بعد وفاة إدريس ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م وذهب يريد اللحاق بالشماخ حتى لحق به وهو يعبر وادي ملوية في صباح اليوم التالي وقد قطع يديه اليمني وشجه في رأسه ثلاث شجات ولكن الشماخ أفلت رغم ذلك وتابع سيره حتى وصل العراق وقد كافأه الرشيد على عمله فولاه بريد مصر وعاد راشد إلى وليلى وأخذ في تجهيز الإمام إدريس فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه بصحن رابطته أمام مدينة وليلى وقد دام حكم الإمام إدريس خمس سنوات ١٧٢ – ١٧٧هـ

توفى الإمام إدريس الأول دون وريث ولكن جاريته كنزة كانت حاملاً في شهرها السابع وقد أتفق الناس على أنها إن أنجبت ذكراً كان وليا للعهد وبالفعل قام بأمر البربر بعد وفاة إدريس الأول وإلى حين انجاب كنزه لطفلها المولى راشد وعندما وضعت كنزة مولودها أسموه إدريس الثاني وقد ولد في رجب ١٧٧ هـ وقام بأمره إلى جانب والدته مولى أبيه راشد واهتم راشد بتربية إدريس حيث

أدبه وعلمه القرآن والفقه والسنة والنحو بالإضافة إلى سير الملوك وسياساتهم وحكم العرب وأمثالهم وأيام الناس ثم دربه على فنون الحرب من ركوب الخيل والرماية والمبارزة وعندما بلغ الحادية عشر شرع راشد في الاستعداد والأخذ البيعة له وقد تم اغتيال المولى راشد من قبل العباسيين في عام ١٨٨ هـ بالسم وتمت مبايعة إدريس الثاني في ربيع أول ١٨٨ هـ / ٨٠٤م وبعد مقتل راشد بعشرين يوماً وله من العمر إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر .

وقد بايعته قبائل المغرب وعلى الخصوص أوربة وصنهاجة وغمارة وزناتة وتتابع الناس من الأندلس وافريقية بالوفود عليه ومبايعته في عام ١٨٩هـ واستمر إدريس الثاني في سياسة أبيه من نشر الإسلام في ربوع المغربين الأقصى والأوسط وقر توفي في ٢١٣ هـ / ٨٢٨م وله من العمر ست وثلاثون عاما وسبب وفاته أنه تناول طعاماً مسموما

وقد بلغت الدولة الإدريسية على يد الإمام إدريس الثاني أقصى اتساع لها إذا امتدت من وادي شلف بالمغرب الأوسط شرقا إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوباً .

وقد كانت وفاته بمدينة فاس ودفن بمسجده مسجد الشرقا بإزاء الحائط الشرقي . وقد ترك الإمام إدريس الثاني اثني عشر ولدا ذكراً هم : محمد وعبد الله وعيسى وإدريس وأحمد محمد وجعفر ويحيى والقاسم وعمر وعلى وداود وحمزة وابنة وحيدة هي :عاتكة فقام بالأمر بعده محمد بعهد منه وتلقب بالمنتصر . وقد تسلم الإمام محمد دولة ذات إدارة مركزية موحدة فبدأ عهده بتجزئتها إدارياً بناء على اقتراح جدته كنزة ، واستقر الإمام محمد في العاصمة فاس يراقب أعمال إخوته وتصرفاتهم فقاموا بالمهمات على أحسن وجه

ولكن سرعان مادب النزاع بين الأخوة ونشبت الحروب بينهم ، ولم يعش الإمام محمد طويلاً فقد توفى بمدينة فاس بعد سبعة أشهر من وفاة أخيه عمر عام ٢٢١ هـ ودفن بجامعها بجوار أبيه وأخيه وكانت مده حكمه ثمانية أعوام وشهرا واحداً وخلفه في الحكم ابنه على

وبوفاة الإمام محمد يكون قد انقضى على قيام دولة الإدارسة بالمغرب نصف قرن تقريباً ١٧٢ – ٢٢١ هـ / ٧٨٧ – ١ ٨٣٥م

<u>بناء مدينة فاس :</u>

بعد أن استقام الأمر للإمام إدريس الثاني وبيعته في عام ١٨٨ هـ / ٨٠٣م ، رأى أن يبحث عن عاصمة جديدة ذات طابع عربي يسكنها مع حاشيته وجنوده وتستوعب الوافدين وتتناسب مع مكانة الدولة الجديدة .

وقد خرج الإمام في محاولة أولى لاختيار المكان المناسب في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥هـ ولكن المنطقة التي اختارها كانت ذات مناخ سبيء ولا تصلح لأن تكون عاصمة دولة .

وفي شهر محرم ١٩١هـ خرج في محاولة ثانية فانتهى إلى حمة خولان في وادي نهر سبو – ١٥ كم من فاس ج س – ولكن بعد أن تفحص المكان جيداً عدل عن البناء بعد أن تبين له أن المياه تصل إلى المكان شتاء فخاف على الناس من الهلاك وعاد إلى وليلي ثم في محاولة ثالثة سار أصحاب إدريس الثاني إلى مكان يدعى فحص سايس وهو بين فاس ومكناس وأعجبوا بالمكان لكثرة مياهه واعتدال هوائه ومروجه الخضراء وأخبروا الإمام إدريس بصلاحية المكان فخرج بنفسه وأعجب بالمكان واشترى الأرض من أصحابها ثم شرع في البناء نهار الخميس غرة ربيع أول ١٩٢ هـ فأخذ المعول وبدأ بحفر أساس السور ثم تبعته العمال بعد ذلك بدأ ببناء السور من جهة القبلة ففتح باباً أسماه باب القبلة وتلاه باب آخر بين الفوارة وزيتون ابن عطية سماه باب الفوارة ويؤدى إلى سجلماسة ثم مر بالسور على المخفية فإلى الوادي الكبير ثم إلى برزخ وفتح هناك بابا سماه باب المخفية ثم سار بالسور إلى الشيبوبة نفتح باب الشيبوبة وتابع بناء السور فترك في منطقة رأس حجر الفرج باب أبي سفيان ومنه كان طريق الريف وفي جرواوة فتح باب الكنيسة إلى جهة الشرق وعرف فيما بعد بباب الخوخة

وخصص الإمام المكان الواقع خارج باب الكنيسة لإقامة المرضى حيث الهواء الذي يهب كثيراً على المنطقة ، وقد استمر الإمام ببناء السور حتى وصل إلى باب القبلة

وبعد أن بناء السور الصرف لبناء الجامع فأقامه قرب رحبة البير أسماء جامع الأشياخ وأقام الخطبة استمر الإمام إدريس مقيماً بجرواوة وقد سميت هذه العدوة باسم عدوة الأندلسيين وذلك لنزول العرب الوافدين إلى المغرب فيها وكانوا يقدرون بثمانية آلاف أسرة في عام ١٩٢هـ / ٨٠٨م فلما استقروا فيها شرعوا بالبناء في مختلف الإتجاهات .

أما العدوة الثانية فقد أسسها الإمام إدريس الثاني بعد مرور عام على تأسيس العدوة الأولى وذلك يوم الجمعة أول ربيع الثاني ١٩٣هـ / ٨٠٩م وكان مكانها موضع كثيف للأشجار تخرج منه ينابيع كثيرة فأعجبه المكان حيث تخلى عن الإقامة بعدوة الأندلسين وانتقل إليها ويدأ ببناء الجامع المعروف الآن بجامع الشرفا وأقام فيه الخطبة شرع بناء داره المعروفة بدار القيطون بجانب المسجد وتبع ذلك بناء القيسارية على محاذاة المسجد كذلك وأدار الأسواق حوله من كل جانب وأمر الناس بالبناء والغرس

وفي هذه الأثناء قدم على الإمام إدريس جماعة من الفرس من العراق فأنزلهم بناحية عين علون شرع ببناء سور المدينة الجديدة ، بدأ به من رأس عقبة عين علون حيث ترك هناك باباً سماه باب إفريقية فكان أول باب بالمدينة ثم فتح باباً آخر في عقبة سعدون باب الفرس ، وفي منطقة الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين باب الفصيل الباب إلى العدوة الأولى وبعد خمس مسافات فتح باب الفرج ثم جاز النهر عائداً إلى العدوة وعلى مقربة من عيون ابن اللصاد فجاءت العدوة متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين لها ستة أبواب وقد أطلق على هذه المدينة اسم عدوة القرويين أول من نزلها مع الإمام إدريس الثاني ثلاثمائة عائلة قادمة من القيروان فنسبت إليهم .

وهكذا جاءت المدينة مؤلفة من الكبير يدخل عدوة القرويين من ناحية الحديد بواسطة شباك مزرد ويخرج منها من موضع الرميلة بواسطة بابين كبيرين على شكل شبابيك من خشب الأرز مزورة بسلاسل حديدية ويجري بين العدوتين ، وبقيت مدينة فاس منفصلة حتى دخلها يوسف بين تاشفين أمير المرابطين عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠ م فهدم الأسوار الفاصلة وجعلها مدينة واحدة .

وسمى الإمام مدينته الجديدة باسم «فاس» وقد تعدد الروايات بالنسبة للتسمية منها أن الإمام عندما شرع في حفر أساس السور كان يحفر بواسطة فأس ولكثرة ترديد كلمة فأس أطلق على المدينة اسم فاس بدون همزة . ورواية ثانية تقول أنه لما شرع في حفر الأساس من جهة القبلة : على فأس كبير طوله أربعة أشبار وسعته شبر واحد ووزنه ستون رطلا فسميت به .

ورواية ثالثة تذكر أنه لما أتم البناء قيل له : بم تسميها ؟ قال باسم المدينة التي كانت مكانها والتي أخبرني عنها الراهب بأنها كانت تسمى «ساف» ولكني أقلب أسمها فسميت فاس

ولما انتهى من بناء المدينة أنزل بها القبائل كل قبيلة بناحية فنزل العرب القيسية في عدوة القرويين من باب إفريقية إلى باب الحديد ونزل الأزد بجوارهم إلى ناحية باب الحديد واليحصبيون والفرس إلى جوارهم إلى ناحية باب إفريقية .

ونزل العرب القادمون من القيروان في الناحية المخصصة لهم ، ووفدت على ناس جماعة من اليهود رغبت في الإقامة في المدينة الجديدة فأنزلهم الإمام ناحية أغلان إلى باب حصن سعدون

وفي عدوة الأندلسيين ، فبالاضافة إلى الأندلسيين الذين أنزلهم الإمام في الأماكن التي أعدها لهم ، فقد نزل بها قبائل البربر ، صنهاجة ولواثة ومصمودة كل قبيلة في المكان المخصص لها .

أما الإمام إدريس الثاني فقد نزل بعدوة القرويين مع حاشيته ومواليه وكذلك أصحاب الحرف من صناع وتجار وأنزل جيشه بعدوة الأندلسيين وجعل بها مواشيه من الخيل والبقر والإبل والغنم وكلف ثقاته بالإشراف عليها . وقد تمتعت مدينة فاس بمميزات منها : غزارة المياه فلها نهر معروف باسم نهر الجوهر بالإضافة إلى العديد من الينابيع والعيون الجارية .

وقد اشتهرت المدينة بطيب الثمار مثل الرمان والتين والعنب والخوخ والجوز والسفرجل والكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت علاوة على الورود والرياحين وسائر الأعشاب الدوائية وتزودها الجبال المحيطة بها بالخشب وخاصة خشب الأرز وكان يصل إليها يوميا أحمال كثيرة تستخدم لسقف البيوت وتمتاز المدينة بوجود معدن الملح قريها وتنتشر الملاحات على أطرافها وكذلك الجير والصلصال والرمال وأنواع الحجارة وكلها مواد للبناء.

مصادر ومراجع الفصل

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج/٨ .

- ابن الخطيب أعمال الأعلام ج/٣

- ابن خلدون : العبر ، ج٣،ج٤ ،ج٦ .

- ابن أبي زرع : روض القرطاس

- السلاوي : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج/١ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج/٢

-المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج/١

-محمود إسماعيل عبد الرازق الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن ٤ هـ ، ط٢ ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٥ .

-سعد زغلول عبد الحميد – تاريخ المغرب العربي ، ج/٢ .

الدولة الفاطمية بالمغرب

٢٩٧-٣٦١هـ

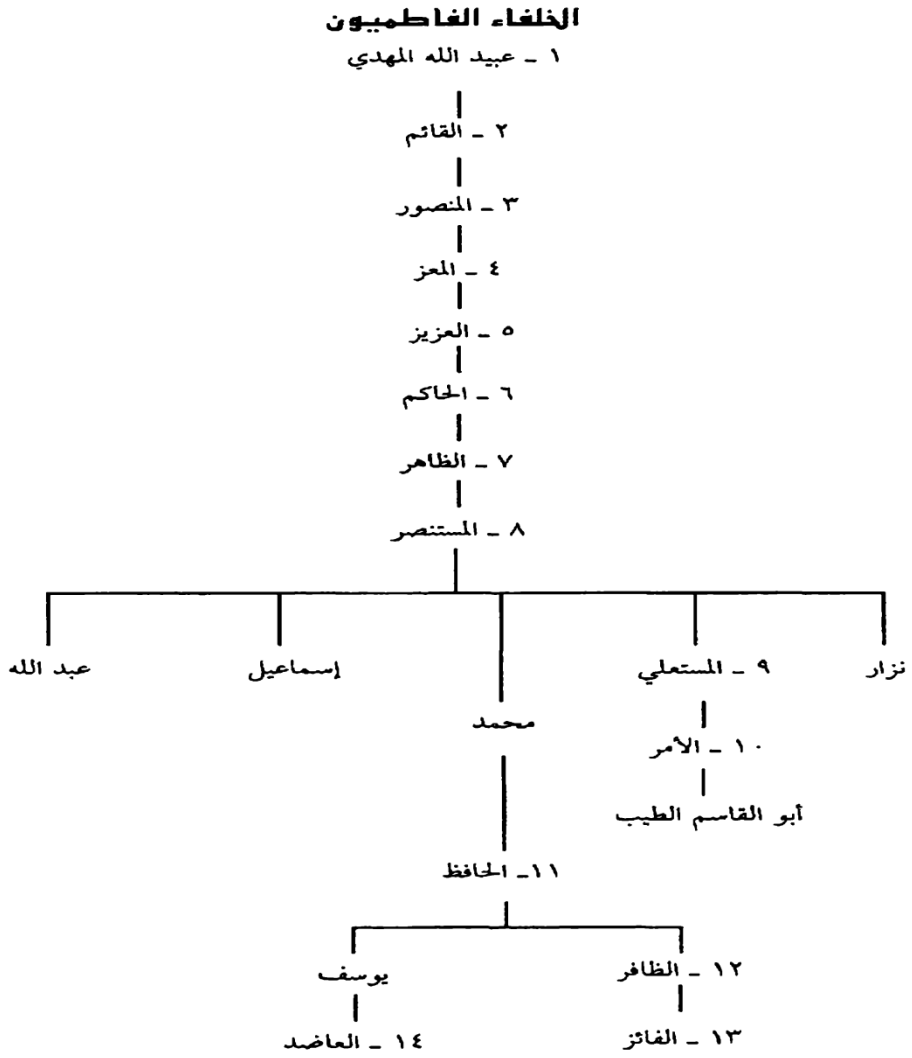

المصدر :جمال الدين الشيال :تاريخ الدولة الفاطمية ،ص ١٦٢.

ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول وزوج على بن أبي طالب ومن اسمها اتخذوا لقبهم ، وبناء على ذلك فهم شيعة علويون وقد أرادوا بانتسابهم للسيدة فاطمة أن يؤكدوا شرعية وراثتهم لخلافة النبي عكس إخوانهم من أبيهم «على رضي الله عنه » من زوجة أخرى مثل محمد بن الحنفية صاحب الشيعة الكيسانية والذي تنازل عن الخلافة لأبناء عمومته من العباسيين وهم في ذلك يشبهون العباسيين الذين بدأوا دعوتهم للرضا من آل محمد أو الرضا من آل البيت ثم استخلصوا الخلافة لأنفسهم باعتبارهم حفدة العباس عم النبى وأحق الناس بوراثة تركته لا ينافسهم في ذلك العلويون حفدة ابن العم .

وأصل المذهب الشيعي يقوم على مبدأ سياسي مهم هو أن الأيوبيين والعباسيين مغتصبون مبدأ شرعية الحكم ، فعلي بن أبي طالب وبنوه هم الخلفاء أو الأئمة الشرعيين أما غيرهم فيعتبرون مغتصبون له وذلك أن الإمام – في مذهبهم – هو وريث علم النبي ويتم تعيينه بتوجيه إلهى عن طريق وصية سرية تنتقل من إمام إلى إمام وهؤلاء الأئمة معصومون من الخطأ وبناء على ذلك جمعت الشيعية مبدأ الوراثة الملكي .

وقد لقى المذهب الشيعي اضطهادا وتعنتا من قبل الخلافة الحاكمة ابتداء بالخلافة الأموية (٤١ – ١٣٢هـ) ثم الخلافة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦هـ) مما دعا الشيعة بأن يكون،لهم حياة مستقرة وهو ما عرف بمبدأ «التقية، ومع مرور الوقت أصبحت التقية من أهم سمات فرق الشيعة الغلاة ، وعلى اعتبار أن الإمام وجوده ضروريا في كل زمان فإن في عقيدتهم أن آخر الأئمة لم يمت ، بل هو مائب وأنه سوف يعود في يوم ما لذا أصبح موضوع «المهدي المنتظر، الذي سوف يأتي ليملأ الدنيا عدلاً ويخلصها من الظلم هو ما أشاعه الفاطميون وأقاموا عليه دولتهم .

وتعود نشأة الحزب الشيعي إلى وقت مبكر في تاريخ الإسلام ، فقد بدأ منذ أن توفي الرسول وكان من رأى بعض الصحابة أن أولى الناس بالخلافة هم أهل بيت النبي أي بنو هاشم ، وأولى هؤلاء ابن عمه على بن أبي طالب وعليه نشبت الخلافات طوال العصر الأموى بينهم وبين الشيعة الذين كانت من أهم حركاتهم الثورية خروج الحسين بن علي في أيام يزيد بن معاوية وانتهت ثورته بمقتله وقتل من معه في مذبحة كربلاء في العاشر من محرم ٦١هـ / ٦٨٠م .

وتمسك العلويون بحقهم في الخلافة طوال العصر العباسي وقاموا بثورات عنيفة هددت سلامة الدولة العباسية غير أن الخلفاء العباسيين قضوا على تلك الثورات بكل شدة وعنف مما دعا العلويون أن يتمسكوا أو يتخذوا مبدأ التقية حماية لهم من بطش العباسيين .

ولقد تعددت فرق الشيعة التي تطالب بالخلافة وأهم هذه الفرق هي فرق الشيعة الإمامية وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ – الإمامية الاثني عشرية :

وهي تعطى حق الخلافة بعد الحسين إلى ابنه على زين العابدين ثم إلى أبنائه وأحفاده من بعده : محمد الباقر ، وجعفر الصادق ، وموسى الكاظم ثم إلى الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري الملقب عندهم بالمهدي وهو الذي اختفى عام،اختفى فيه٢٦٥ هـ في مدينة سامرا وظل أتباعه بنتظرون عودته بالوقوف أمام السرداب الذي اختفى فيه .

٢ – الإمامية الإسماعيلية

وتتفق مع الفرقة السابقة في يعطون حق الخلافة إلى ابنه إسماعيل وليس موسى الكاظم وقد مات إسماعيل في عهد أبيه (ت ١٣٨ هـ) ومن ثم تساق الخلافة إلى أبنائه حتى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة التسلسل حتى جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ) ولكنهم الفاطمية بالمغرب ، وهم يسمون بالإسماعيلية أو بالسبعية لأن إسماعيل هو الإمام السابع،وإليهم ينتسب الفاطميون .

٣ – الإمامية الزيدية :

ويعطون الخلافة إلى زيد بن على زيد العابدين بن الحسين ثم إلى ابنه يحيى بن زيد وهؤلاء لم يتبرأوا من أبي بكر وعمر ولكنهم يقولون أن عليا أفضل أي أنهم أجازوا إمامة المفضول (أبو بكر – عمر) مع وجود الأفضل (على) وذلك على عكس الإسماعيلية والاثنا عشرية الذين يرفضون إمامة الشيخين أبو بكر وعمر وأطلق عليهم اسم: الرافضة،

ولهذا تعتبر الزيدية أقرب الفرق الشيعية إلى السنة وقد دخل الفاطميون بعد وفاة جعفر الصادق حتى قيام دولتهم ببلاد المغرب في دور أطلق عليه دور الستر وهو مبدأ اتخذوه خوفا من بطش العباسيين وهذه الفترة ممتدة من محمد المكتوم بن إسماعيل حتى ظهور عبيد الله المهدى .

ودور الستر هذا قد شكك الناس في صحة نسب الفاطميين مما اتخذه العباسيون في بغداد والأمويون في الأندلس سلاحا ضدهم فأشاعوا أن الفاطميين أصلهم مجوس أو يهود ، لذا نجد أن الشيعة أنفسهم الذين اعترفوا بصحة نسب الفاطميين قد اختلفوا في تسلسل هذا النسب ، ولكن الفاطميين أصبحوا بعد ذلك لا يهتمون بأصل نسبهم وهو ما كان واضحا بالنسبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد أن دخل القاهرة (٣٦١ هـ) حيث استقبل وفود المهنئين له بالقدوم وقال لهم وهو ممسك بالدنانير ومعسك بسيفه في ذات الوقت «هذا حسبي وهذا نسبي» وقد تواجد في فترة الست هذه نوعين من الأئمة :

١ – الأئمة المستورون أو المستقرون وهؤلاء هم أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق

٢ – الأئمة المستودعون وهم الدعاة الذين قاموا بالدعوة للأئمة المستورين وهؤلاء هم

ميمون القداح وأولاده من بعده . وميمون القداح كان طبيبا فارسيا كما كان راوية للإمام جعفر الصادق وكان أول من اتخذه الأئمة المستورون حجة ونائبا لهم.

وقد قام ابنه عبد الله بن ميمون بن ديصان – بعد أن أخذ عن أبيه أسرار الدعوة بزرع بذورالدعوة الفاطمية بنواحي كرخ وأصبهان – من أعمال بلاد فارس – بمساعدة محمد بن الحسين الملقب بدندان – الوالي على تلك النواحي – وتم ذلك بتوجيه الدعاة إلى الأهواز والبصرة والكوفة وخراسان وسلمية – قرب حمص – وأشار عبد الله على الدعاة أن لا يظهروا ما في أنفسهم إنما يكتموه ويظهروا الزهد والتشيع والطعن على الصحابة ليكون ذلك مدخلاً فيما بعد إلى الدعوة الفاطمية .

وتسلم الدعوة بعد وفاة عبد الله القداح ابنه أحمد الذي كان يساعده رجل يدعى «رستم بن الحسين بن حوشب بن دادان النجار» من أهل الكوفة واستطاع ابن حوشب الذهاب إلى اليمن وجمع أعداد غفيرة في الدعوة وجمع كثير من الغنائم والأموال مما مكنه من إرسال الهدايا إلى أولاد عبد الله القداح الذين بالكوفة وفي الوقت نفسه كان أحمد قد أرسل برسولين هما : الحلواني وأبا سفيان إلى بلاد المغرب حيث قال لهما :"ان المغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيئ صاحب البذر» فسارا إلى المغرب ونزل احدهما بأرض كتامة واخذا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب الكثيرين من قبيلة كتامة وغيرها وظلا هناك إلى أن ماتا المغرب ونزل

أحدهما بأرض كتامة وأخذا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا وفى الوقت نفسه كان هناك داعيان آخران في بلاد اليمن هما : ابن حوشب،وأبو عبد الله الشيعي.

ويعتبر أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية الإسماعيلية في المغرب كما كان أبو مسلم الخراساني المؤسس الحقيقي للدولة العباسية في المشرق ، ومن العجيب أن خاتمة الرجلين كانت واحدة ، فقد قتل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ) أبا مسلم في عام ١٣٧ هـ كما قتل عبيد الله المهدى (٢٩٧ – ٣٢٢ هـ) أبا عبد الله الشيعي وأخاه أبا العباس في عام ٢٩٨هـ .

كان أبو عبد الله الشيعى يمنى الأصل من مدينة صنعاء ، ترك ولاية الحسبة في بغداد وسار إلى اليمن وقد أخذ العلم في بلاده التي كانت من معاقل الشيعة على أئمة المذهب وقد مهدت الظروف في معرفة أبو عبد الله بعبيد الله المهدى – في العراق – ومعه أحد عشر رجلاً من الدعاه فانضم أبو عبد الله إليهم وبذلك أصبحوا اثني عشر نقيبا .

وفي هذا شبه كبير بينهم وبين النقباء الاثني عشر الذين قامت على أكتافهم الدعوة العباسية ، فكأن ذلك التنظيم الاثني عشري كان أساس الدعوات السرية التي عرفتها الخلافة الإسلامية ابتداء بالعباسيين ثم من أتي من بعدهم الإسماعيلية مثل القرامطة والفاطميين ثم الحشاشين .

وقد تم انعقاد مجلس هؤلاء الدعاة الفاطميين في العراق قبل عام ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م ولم يتوجه أبو عبد الله الشيعي مباشرة إلى المغرب لنشر الدعوة بل سار إلى اليمن التي صارت معقل الدعوة العلوية منذ أيام الإمام جعفر الصادق وكان كبير الدعاة في اليمن وقتها هو ابن حوشب – الكوفي الأصل . ويروى ابن الأثير أن ابن حوشب عندما علم بموت الحلواني وأبي سفيان الداعيتين بالمغرب أوفد أبا عبد الله إليها وقال له : «إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لك غيرها قبادر فإنها موطأة ممهدة لك،".

وقد اقتضت خطة أبو عبد الله الشيعي بأن يسير إلى مكة في موسم الحج ليتصل بحجاج كتامة هناك وبالفعل وصل في عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٤م وبدأ البحث عن حاج المغرب إلى أن اهتدى إلى عدد من أعيان قبيلة كتامة وعددهم عشرة رجال ، فتقرب إليهم وتظاهر بالزهد والتقشف وأعجبوا به ووثقوا فيه فقد سألهم عن بلادهم ومذهبهم ، وتوثقت الصلة بين أبي عبد الله الشيعي وحجاج

كتامة حتى حان وقت عودتهم إلى بلادهم فسألوه عن وجهته بعد انقضاء موسم الحج فتظاهر بأنه يريد أن يتكسب رزقه من تعليم القرآن الكريم للصبيان وأن سوف يقصد مصر ليمتهن ذلك العمل.

لذا استطاع أبو عبد الله بمكر ودهاء وذكاء أن يصحب ركب الحاج الكتامي دون أن يعرفوا مقصده الحقيقي وراء رحلته من الأراضي المقدسة إلى مصر وفي أثناء سيره معهم ظل يحدثهم فى الدين حتى عرضوا عليه أن يواصل رحلته معهم إلى بلادهم ليعلم صبيانهم بعد أن قام بحيلة عند وصولهالفسطاط وادعى أنه لا يجد عملاً في المسجدوقد عرف أبو عبد الله الشيعي أثناء تلك الرحلة الكثير عنهم وعدم رضاهم عن حكام القيروان الأغالبة .

ومكث أبو عبد الله الشيعي في القيروان مدة بسيطة تاركا هذا الركب ليعرف مجريات الأمور في عاصمة الأغالبة – ولاة العباسيين الشرعين في بلاد المغرب – ولكنه لحق بأهل كتامة في عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣م.

ونزل أبو عبد الله بمنازل كتامة الممتدة من حدود جبال الأوراس جنوبا حتى سيف البحر ما بين بجاية وبونة شمالاً كما تمتد شرقا حتى القيروان وغربا حتى المسيلة . واتخذ أبو عبد الله مجلسه في مسجد إحدى القرى – إيكجان – يلقنهم تعاليمه حتى كشف عن حقيقته في أنه ليس بمعلم الصبيان ولكن داعي لآل البيت وقد نجحت دعوة أبي عبد الله الشيعي فقد أخذ تابعيه يقبلون على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي فأقبلوا عليه من كل جهة وقد سمى أبو عبد الله الشيعي (أو الداعي) أتباعه بالإخوان

وبعد ذلك بدأت مرحلة تنظيم الدعوة فقسم أبو عبد الله أتباعه إلى عسكر كما وزع الدعاة على مختلف الأقاليم فجعل لكل مكان داعيا كما استطاع أن يكون جيشا نظاميا ويفضل ذلك استطاع أبو عبد الله أن يخضع كل قبائل كتامة – خاصة الرافضة لمذهبه – في فترة استغرقت عامين – حتى عام ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م.

واستطاع أبو عبد الله في الفترة التالية أن يتصدى لدولة الأغالبة ويستولى على مدنها الواحدة تلو الأخرى .

ففي عام ٢٩٥هـ / ٩٠٨م خرج أبو عبد الله الشيعي من إيكجان في جيش نظامى كبير واتجه إلى باغاية ثم إلى رقادة في عام ٢٩٦هـ وخرج شيوخ القيروان وفقهاؤها للترحيب به وأعلنوا طاعتهم له وسألوه الأمان فأمنهم وذلك بعد خرج الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث من رقادة هاريا إلى مصر.

وفي رقادة نزل أبو عبد الله في أحد قصورها المعروف بقصر البحر وفرق دور المدينة على زعماء كتامة وأنزل حشود عساكره حولها . وبذلك قامت دولة الشيعة الفاطميين بعد حوالي خمسة عشر عاما من ذلك اللقاء الذي تم بمكة وبدأ أبو عبد الله يقر الأمور في إفريقية ويثبت دعائم الدولة الفاطمية استعدادا لإحضار الإمام الذي يدعو له وهو عبيد الله المهدي الذي كان موجودا وقتها في مدينة سجلماسة .

وانتظارا لقدوم المهدى قام أبو عبد الله الشيعي ببعض الإصلاحات الإدارية والدينية وفيما يخص الأخيرة أمر أبو عبد الله بأن يزاد في الآذان بعد «حى على الصلاة» «حى على خير العمل، وأسقط من أذان الفجر «الصلاة خير من النوم» وإلى جانب ذلك أمر بالصلاة على علي بن أبي طالب بإثر الصلاة على النبي وكذلك على فاطمة والحسن والحسين وأسقط صلاة التراويح في رمضان.

والإمام عبيد الله المهدي خرج في النصف الثاني من سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م من بلاد الشام وتحديدا من مدينة سلمية وصولاً إلى مصر ثم برقة ثم طرابلس حتى استقر في مدينة سجلماسة مرتديا زي تجار ولكن أمير بنى مدرار وقتها تشكك فيه وقبض عليه وحبسه في السجن .

وعندما تأكدت السلطة لأبي عبد الله الشيعي في أفريقية حيث وزع العمال والولاة والقضاة على مختلف المدن أخذ يعد العدة لغزو سجلماسة واستنقاذ الإمام وفي منتصف شهر رمضان من سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م أي بعد شهرين ونصف شهر من دخوله القيروان ورقادة سار على رأس قوة كبيرة من قبائل كتامة بعد أن استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية . وفي أثناء طريقه من إفريقية في المغرب الأقصى – حيث يسجن الإمام – استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يقضى على دولة تاهرت الرستمية (١٦١ – ٢٩٦ هـ) التي أقامت دولة خارجية على مذهب الإباضية

بالمغرب الأوسط وقبض الشيعي على أمرائها وقطعت رؤوسهم وأرسلت إلى القيروان حيث طيف بها في شوارعها ونصبت على أبواب مدينة رقادة.

وواصل أبو عبد الله مسيرته نحو الغرب دون أن يلقى أي مقاومة حتى وصل سجلماسة في ٦ ذي الحجة ٢٩٦ هـ ولم يستطع أميرها إليسع بن مدرار التصدي للقوة الشيعية حيث هرب بعد مقاومة ضعيفة مع بعض أهل بيته وبذلك دخل أبو عبد الله الشيعي مدينة سجلماسة وأخرج عبيد الله المهدي من السجن وانتقم من أهل سجلماسة فنهب دورهم وأحرقها وفرض عليهم مغارم كبيرة كما أمر بإجلاء الكثير منهم عنها(١) . وظل أبو عبيد الله مع المهدي في سجلماسة لمدة أربعين يوما ثم قرر الفاطميون العودة إلى رقادة فخرج الموكب في صفر ٢٩٧ هـ من سجلماسة وكان وصولهم إلى إفريقية بعد شهرين وتحديدا في يوم ٢٠ ربيع الآخر ٢٩٧هـ / ٧ يناير ٩١٠م . وخرج أهل القيروان مع أهل رقادة يرحبون بالإمام يحيط به أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة.

وفي اليوم التالي (الجمعة) أمر عبيد الله بذكر اسمه في الخطبة في كل من رقادة والقيروان وأن يكون لقبه فيها «خليفة» الله و المهدي بالله أمير المؤمنين.

(١) عبيد الله المهدي

(٢٩٧ – ٣٢٢ هـ / ٩١٠ – ٩٣٤ م)

عبيد الله المهدى أول خلفاء الدولة الفاطمية في المغرب كريما جوادا حازما محبا للعدل رابط الجأش،وقد اعتمد المهدي على سياسة الحزم وقد بدأت دولته بالاستفادة من رجال الدولة الأغلبية المنهارة الذين دخلوا في طاعته من قواد وكتاب وحجاب ورئاسة دواوين الخراج والبريد والسكة وبين المال.

ولكن عبيد الله المهدي تخلص من داعيه أبو عبد الله الشيعي مثلما تخلصت الخلافة العباسية في بداية نشأتها من أبي مسلم الخراساني فاتهم أبو عبد الله في ولائه للخلافة الفاطمية واستدعى المهدي داعيه وتم قتله هو وأخوه أبا العباس خلف القصر البحرى برقادة .

وقد ساعدت الظروف في أن يفكر الفاطميون في فتح مصر حيث قامت ثورة في برقة ٣٠١ هـ ففي هذا العام سير الفاطميون جيشنا بقيادة حماسة بن يوسف نحو برقة التي كانت ضمن حدود مصر الإدارية أي تابعة للخلافة العباسية وبمجرد اقتراب الجيش الفاطمي من مدينة سرت فرت الحامية المصرية نحو الشرق وقد حاول الجيش المصرى (العباسي) استرجاع برقة ولكنه فشل لذا رأى عبيد الله المهدي أن يستغل النجاح الذي حققته جيوشه سرقة ليقوم بفتح مصر

وكانت الحملة الثانية على مصر في عام ٣٠٦ هـ / ٩١٩ م حيث قام الفاطميون بالخروج من مدينة رقادة حيث وصلت الاسكندرية فتمكنت من الإستيلاء عليها والانتقال منها إلى الجيزة والأشمونيين وقسما كبيرا من الصعيد ومن هناك كتب القائد الفاطمي أبي القاسم إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول إلى طاعته فلم يقبلوا منه ، عند ذلك أرسل الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ – ٣٢٠هـ) قائده مؤنس الخادم إلى مصر لقتاله فكانت بينهما عدة معارك انتهت بمعركة نهرية عند رشيد بانتصار العباسيين وعاد من سلم من المعارك البرية والبحرية مع أبي القاسم إلى المهدية في نفس العام .

وقد فكر الفاطميون في بناء عاصمة جديدة لدولتهم فكانت مدينة المهدية ، ففي خلال الفترة ما بين سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٠٨ هـ حيث كانت القوات الفاطمية تسعى إلى تأكيد سلطان الدولة

في أطرافها الشرقية من طرابلس حتى برقة ومصر وفي الأطراف الغربية من تاهرت إلى سجلماسة كان عبيد الله المهدي مشغولاً بإقامة عاصمة جديدة تستقر فيها الخلافة الفاطمية ويكون اسمها المهدية نسبة إلى عبيد الله المهدي كما تعرف بالبيضاء بمعنى الزهراء .

وقد رأى المهدي أن يكون موقع المدينة الجديدة بحريا بعيدا عن الداخل فبدأ منذ عام ٣٠٠ هـ يقوم بجولات إستطلاعية في مناطق الساحل الشرقية ما بين شواطيء القيروان حيث سوسة جنوبا وشواطئ تونس وقرطاجنة شمالاً وأخيرا وقع الاختيار على موضع شبه جزيرة يعرف بـ «جمة» ما بين سوسة وصفاقس .

وعلى ذلك اختار عبيد الله المهدي العاصمة أن تكون على الساحل حتى تتوثق العلاقات الاقتصادية وخاصة التجارية منها مع القوى الخارجية وحتى تتبوأ دولته مكانة قوية في ميدان الجهاد .

وتوصف الجمة بأنها شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات شمالاً وجنوبا وشرقا وتتصل بالبر من جهة الغرب حيث يكون الدخول إليها ، وبذلك كانت الأسوار الرئيسية والأبواب الكبرى من جهة الغرب في حين كان تحصين الجهات الأخرى في مستوى أقل.

وبذلك كانت المهدية توجه أنظارها نحو أعداءالداخل في البر أكثر من التوجه إلى إعداءالخارج في البحر واشتملت المدينة على قصر الخليفة وقصر ولي أبي القاسم وكذلك المسجد الجامع حيث اقيمت الاسواق التي نظمت في شكل مجموعات من الحوانيت في مهنة أوتجارة معينة

ولقد زودت المدينة بمخازن القمح في سراديب الأرض كما حفرت خزانات المياة (مواجل)ولم يسكن هذه المدينة إلا أرباب الدولة من كبار الموظفين ورجال الحاشية وقواد العسكر أما أهل الأسواق فلم يكن يسمح لهم بالمبيت داخل المدينة فلا يتواجدون بها الا نهارا

وقد بنيت ضاحية الى جانب المهدية عرفت باسم زويلة نسبة الى بربر زويلة سكانها الأوائل وخصصت لسكني العامة.وهكذا انتقل مركز الحكم رقادة والقيروان المهدية وزويلة.

(٢) القائم بأمر الله

(٣٢٢ – ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ – ٩٤٥ م)

أعلنت خلافة أبي القاسم محمد بن عبيد الله بالبيعة له في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه المهدي في ١٥ ربيع الأول ٣٢٢ هـ / ٥ مارس ٦٣٤م . ولقب بالقائم بأمر الله . وعندما تولى القائم الخلافة كانت النزاعات البربرية في كل مكان من بلاد المغرب من برقة شرقا إلى سبتة وطنجة وبلاد برغواطة علاوة على السياسة المالية المتعسفة التي اتبعها الفاطميون والحياة الدينية الصعبة ، مما أدى إلى ظهور ثورات كان أهمها على الإطلاق ثورة أبي يزيد والملقب بصاحب الحمار

ثورة أبي يزيد بن كيداد الزناتى :

أبو يزيد «صاحب الحمار» هو مخلد بن كيداد الزناتي وأصله من قسطيلية من بلاد الجريد ، نشأ في مدينة توزر وتعلم القرآن واتبع مذهب الخوارج الإباضية ، وكان أبو زيد يتصف بالعرج والقصر وقبح المنظر وقد اشتغل أبو يزيد بتعليم الصبيان القرآن الكريم وذلك بد أن توفي أبوه وهو صغير

وقد نادي أبو يزيد الخارجي بمناهضة الحكم الفاطمي الشيعي ولقيت دعوته نجاحاً كبيرا حتى اشتهر أمره واستطاع أن يجمع حوله عددا من الأنصار وذلك اعتبارا من سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م زمن خلافة المهدى .

مال ونشر أبو يزيد دعوته في المغرب الأوسط في جبال الأوراس واجتمع إليه مختلف الخوارج وبايعوه في عام ٣٣١ هـ وكانت أهدافهم :

هدم النظام الشيعي الفاطمي وإقامة دولة المساواة الخارجية القائمة على الشورى والمساواة وقد أباحوا استخدام العنف والإرهاب من استباحة الغنائم والسبي في سبيل تحقيق ذلك

وهكذا بدأت في السنة التالية ٣٣٢ هـ / ٩٤٤م ثورة أبي يزيد الخارجي ضد الفاطميين واستمرت أربعة سنوات ساد فيها القتل والخراب وقد مرت هذه الثورة بعدة مراحل أولها : استطاع أبو يزيد أن يستولى فيها على بلاد الزاب والأقاليم الساحلية الشمالية في باجة وتونس والمرحلة الثانية استولى فيها على القيروان والمحلة الثالثة حاصر فيها أبو يزيد المهدية – عاصمة الفاطميين – .

وعليه اجتاح أبو يزيد بلاد والزاب في أوائل ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م وقام الخليفة الفاطمي بإرسال جيشين للتصدي لهؤلاء الثوار الجيش الأول بقيادة ميسور الفتى وسار نحو القيروان والآخر بقيادة بشرى الفتى وسار نحو باجة واستطاع أبو يزيد أن ينتصر على جيش بشرى ويقوم بأعمال النهب والسلب والحرق في معسكره وخيامه وكان نتيجة هذه المعركة أن إزداد أنصار أبي يزيد من القبائل البربرية ، وتصدى أبو يزيد لجيش الفاطميين بقيادة بشرى فاستطاع الوصول إلى القيروان ورقادة في ٣٣٣ هـ .

وتأكيدا لانتصارات أبي يزيد المتلاحقة فقد أرسل إلى عبد الرحمن الناصر بقرطبة وقام أبو يزيد بحصار المهدية لمدة عام (٣٣٣ – ٣٣٤ هـ) .

ولم تنحصر ثورته إلا في عهد الخليفة الفاطمي المنصور ، فلقد جمع المنصور كل قواه البرية والبحرية لمطاردة أبي يزيد الذي انهزم من أمام سوسة إلى القيروان ورحل عن افريقية إلى بلاد الزاب وتبعه المنصور منذ ٣٣٥ هـ ولحق به قرب باغاية ، ففر أمامه نحو طبنة – عاصم إقليم الزاب – واعتصم أبو يزيد بجبل الأوراس ولكنه لم يتمكن من الثبات أمام القوات الفاطمية واضطر إلى سلك طريق القفار.

ونظرا لمرض الخليفة المنصور انتهز أبو يزيد الفرصة وعاد إلى الزاب مرة أخرى ولكن أعوانه تركوه ودخلوا في طاعة المنصور فنشب القتال بين الطرفين من ١٠ شعبان الى اول رمضان وسقط ابو يزيد في منطقة وعرة،وحمل إلى المنصور وهو مصاب حتى مات في أواخر المحرم ٣٣٦ هـ / ٩٤٧م .

وعندما رأى المنصور أبا يزيد سجد لله شكرا وأمر بمعالجته في محاولة منه لمعرفة أسباب الثورة منه ، فلما مات أمر بسلخه وحشو جلده بالتبن وإدخاله في قفص أعده من الخشب محمول على بكرتين لوضع أبي يزيد فيه مع قردين وسيره معه إلى المهدية وأمر بإرسال الكتب إلى سائر

البلدان تبشر الناس بإنتهاء الثورة وفي رحلة عودته إلى المهدية قام المنصور بإخضاع الأقاليم الخارجة ، في المسيلة وفي تاهرت ثم عاد إلى القيروان في موكب ضخم من رجال الجيش حيث قوبل بالتهليل والتكبير في عام ٣٣٦هـ وطيف بالقفص الذي به ما بقي من جسد أبي يزيد الخارجي

في شوارع المدينة وأسواقها لمدة ثلاثة أيام وعليه فقد استغرقت هذه الثورة عصر القائم والمنصور الفاطميين حتى تم القضاء عليها .

(٣) المنصور الفاطمي

(٣٣٤ – ٣٤١ هـ / ٩٤٥ – ٩٥٢ م)

هو أبو الطاهر إسماعيل بن أبي القاسم محمد ، ولد في سنة ٣٠٢ هـ وتوفي في عام ٣٤١هـ / ٩٥٢م وعمره تسع وثلاثون عاما بعد حكم دام سبع سنوات وكان المنصور يتسم بالفصاحة والبيان والبراعة في الخطابة ، علاوة على تقشفه وبساطته ، كما كان عالما بالنجوم ومحبا للعلم

وفي نفس اليوم الذي تم فيه الانتصار على أبي يزيد الخارجى ٢٩ محرم ٣٣٦ هـ أصدر المنصور أوامره بمخاطبته بأمير المؤمنين والدعاء له على المنابر ونقش اسمه على النقود

وكانت أول أعماله بعد قضائه على ثورات الزناتية ، بناء مدينة جديدة أطلق عليها اسم المنصورية وتقع على بعد نصف ميل من القيروان وأمر بإحكام سورها وكانت المنصورية تأخذ الشكل المربع ولها أربع أبواب وفي داخلها المسجد الجامع والقصر وتحيط به الأسواق التجارية التي نقلت بأمر المنصور من القيروان إلى مدينته الجديدة ، وقد انتقل إليها في ٣٣٧ هـ ، وزادت مساحتها ومبانيها بعد انتقال المنصور إليها.

بقية والمغرب – إلى أن البربر أنهم استعانوا بحسان بن النعمان ، فيروى استغاثوا به وعليه كانت الفرصة سانحة لحسان بأن يتوجه على أموالهم وممتلكاتهم ثم يتوجه إلى قفصة.

(٤) المعز لدين الله

(٣٤١ – ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ – ٩٧٥ م)

وقام بعده الخليفة الفاطمي أبو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي بإخضاع المغرب الأقصى ، فأرسل قائده ومولاه جوهر الصقلى إلى هناك على رأس حملة قوية في عام ٣٤٧ هـ فاخضع القبائل في جبال أطلس حتى المحيط الأطلسي – وقد حاول الفاطميون غزو الأندلس ولكنهم فشلوا في ذلك ، كما شعروا بأن بقاهم بالمغرب من الخطورة لكثرة ثورات البربر ضدهم دائما فكان انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر تاركين على بلاد المغرب أقربائهم من الصناهجة وهم بنوزيرى ليحكموا بلاد المغرب باسم الفاطميين.

مصادر ومراجع الفصل

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ الجزآن ١٢ ،١٤ .
- البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،
- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، الجزء الرابع
- ابن خلدون : العبر ، ١١٣وديوان المبتدأ والخبر الجزء السابع
- القاضي النعمان :المجالس والمسايرات
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ،
- ابن عذارى : البيان المغرب ، الجزء الاول
- المقريزي : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا
- أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د. ت.
- حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب والاندلس
- سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، إسكندرية ١٩٨٩ الجزء الثاني
- محمد زيتون : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية

دولة المرابطين في المغرب

-التسمية

-اصل المرابطين

-أمراء المرابطين

-ظهور دولة المرابطين وسيطرتها على بلاد المغرب

-ضم الاندلس سببه ونتائجه

-عوامل ضعف دولة المرابطين

-اهم السمات السياسية والحضارية لدولة المرابطين في المغرب والاندلس

دولة المرابطين في المغرب

***التسمية :**

(المرابطين – الملثمين –الدولة القديسة – اللمتونيين – الزراجنة – المحسمين)

ناقش هذة المسميات من خلال المحاضرة والمصادر التاريخية

***أصل المرابطين**

أجمع المؤرخون على أنهم مجموعة قبائل نزحت من بلاد اليمن في تاريخ غير متفق عليه ، واتجهت نحو أفريقية، حيث بها قسم فاستوطنها، بينما استمر القسم الآخر بالنزوح إلى أن انتهى به المقام في الصحراء المغربية المجاورة للمحيط الأطلسي المهاجرة لمتونة وجدالة ولطة وتاركة وعطا، وغيرها من القبائل الصنهاجية التي أناخت في هذه القفار الممتدة من غدامس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال درن شمالا حتى تخوم السودان جنوباً.

عاشوالملثمون على الرعي فكانت قبائل متنقلة بحثا عن الماء ،وقد بدأ الإسلام يتسرب إلى ربوعهم في مطلع الفتوحات الإسلامية المرابطين

ظهور المرابطين :

صهره **يحيى بن إبراهيم الجدالي** الذي جمع القبائل الصنهاجية تحت سلطته، ثم عزم على القيام بأداء فريضة الحج حوالي سنة ٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥ م.

وخلال رحلته إلى الديار المقدسة، التقى في القيروان بعالم مغربي يدعى **أبو عمران الفاسي** وخلال هذا اللقاء تم الاتفاق على إقامة دولة سنية مالكية تسعى إلى إصلاح المجتمع المغربي وتطهيره من البدع

،كما تم اختيار **وجاج بن زلو** الذي كان شيخاً يدرس في إحدى الرباطات الموجودة في نفيس أو ملكوس بمنطقة السوس ،وكان وجاج الذي كان على دراية واسعة بأحوال السياسة بالمغرب، على دراية وعلم كبيرين بالمذهب المالكي

وضع يحيى بن ابراهيم وأبو عمران الفاسي نواة تأسيس الدولة المرابطية، وقد اختار وجاج بن زلوا احد تلامذته وهو : عبد الله بن ياسين لهذة المهمة في الصحراء ،فاستجاب بحماس كبير لهذه المهمة، واتجه مع يحيى بن إبراهيم إلى القبائل الصنهاجية بالصحراء، حاملا معه حركته الاصلاحية .

وعندما تكون الحلف المرابطي على يد عبد الله بن ياسين الذي ضم نحو الألف من أشراف صنهاجة بدأت المرحلة الثانية في تكوين دولة المرابطين وهي المرحلة التي تضمنت السيطرة على المغرب حيث دعا عبد الله بن ياسين إلى جهاد المخالفين من قبائل صنهاجة الذين أعرضوا عن تعاليمه ؛ تلك التعاليم التي اعتبرت جديدة وثقيلة في تنفيذها فهم لا يؤدون الصلاة ولا الزكاة «وليس عندهم من الإسلام إلا الشهادة».

وعليه فقد بدأ بقبيلة جدالة فخرج إليهم في جمع يضم ثلاثة آلاف من المرابطين وعند هزيمتهم توجه إلى قبائل لمتونة الذين دخلوا في طاعته ثم توجه بعدها نحو مواطن قبائل مسوفة ، ولكي يدخل هؤلاء الخارجون في الحلف المرابطي كان عليهم أن يتطهروا من وجهة نظر المؤسس الروحي لهم «**عبد الله بن ياسين**» فكان يوقع عقوبة الجلد على كل من كان خارجا عن تعاليم الإسلام وعندما توبته تصح يبدأ في تعليم القرآن الكريم وتعاليم الإسلام ويؤمر بالصلاة والزكاة وإخراج العشر وبهذا ثم تكوين الجيش المرابطي بتلك الموارد إلى أن ملك عبد الله بن ياسين جميع بلاد الصحراء

وتظهر استماتة المرابطين في قتال اهم القبائل المارقة وهي قبائل برغواطة ، أن عبد الله بن ياسين قد لقي حتفه في إحدى المعارك معهم سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩م . وتولى الزعامة بعده **أبو بكر بن عمر اللمتوني** مكملاً افتتاح بلاد المغرب الأقصى وصحرائه حيث افتتح بلاد فازاز وسائر البلاد الواقعة تحت سيطرة قبائل زناتة وافتتح بلاد مكناسة .

وقد وقع الخلاف بين أبي بكر بن عمر وقائد جيشه وابن عمه **يوسف بن تاشفين** مما حذا بأبي بكر بن عمر أن يقرر الذهاب إلى الصحراء ويستكمل الجهاد هناك إلى أن توفي في إحد غزواته في سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م.

أما عن يوسف بن تاشفين فقد كانت له غزوات جهادية في وادي ملوية الذي يعتبر الحد الفاصل الطبيعي بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وخضعت له الكثير من المناطق هناك كمنطقة غمارة وسبتة التي انتزعها من البرغواطيين وتم له السيطرة على المغرب الأقصى في سنة ٤٦٠ هـ ١٠٦٧م . وفي سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩م قام بافتتاح بلاد الريف وبلاد المغرب الأوسط فافتتح مدينة وجدة (إحدى أعمال مدينة تلمسان وتقع إلى الغرب منها) كما افتتح مدن تلمسان وتنس ووهران وجبل وانشريس إلى الجزائر-

(*) برغواطة تنتسب إلى قبائل المصامدة وكانت مواطنهم في المغرب الأقصى في تامسنا والمناطق الداخلية من سلا وأزمور وأسفى وكانت من القبائل الخارجة عن الإسلام وكان للمرابطين والموحدين صراعات طويلة مع قبائل برغواطة كان الفضل الأكبر فيها راجعا لدولة المرابطين

وتوقفت فتوحات المرابطين في بلاد المغرب عند هذا الحد فيذكر ابن خلدون أنه وقف عند حدود دولة بني حماد بالمغرب الأوسط ويمكن أن يعلل ذلك بابن بني حماد ينتمون إلى القبائل الصنهاجية ومن ثم لهم صلة قرابة بالمرابطين مما دعا المرابطون لعدم محاربتهم في حين يؤكد رأى آخر أن توقف المرابطين عند هذا الحد كان راجعاً إلى استغاثة دول الطوائف بالأندلس بيوسف بن تاشفين لينجد إخوانه في الدين هناك.

وعليه كان عبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس في منتصف ربيع أول سنة ٤٧٩ هـ / ٣٠ يونية ١٠٨٦ م حيث وقعت معركة الزلاقة ضد نصارى إسبانيا واستتبع ذلك عبور ثان للمرابطين في سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨م ثم كان الجواز الثالث في سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠م

وقد استبدلت تلبية دعوة الإنقاذ من قبل المرابطين إلى تلبية المطامع التوسعية والسيطرة على بلاد الأندلس فيذكر ابن أبي زرع أنه لم يعد لبنى عباد أصحاب مملكة إشبيلية الذين تولوا أمر استدعاء المرابطين ملكا إلا وانتزعه المرابطون .

ورحل يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م بعد أن رسخ دعائم دولته، وأفشل حركة الاسترداد المسيحية، تاركاً دولة فتية مرهوبة الجانب .

وخلفه ابنه **علي بن يوسف** في السنة نفسها. ورغم طموحه في مواصلة سياسة ابيه الحازمة، و فتصدى لنصارى اسبانيا ،فكانت موقعة اقليش سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ م، والقلعة سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٩ م، وإفراغة سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٥ م، لكن سيطرة الفقهاء والنساء في دولته ادى الى ضعف سطوته وقدرته على الحكم ، مما ادى الى ضعف الدولة .

وتعددت الاسباب التي ادت الى ضعف دولة المرابطين من بعد عصر الامير المرابطي على بن يوسف فكما يروي العلامة ابراهيم القادري بوتشيش ان منها : –بقاء الموروثات القبلية ماثلة داخل أجهزة الحكم، فنتج عنه احتكار المناصب السياسية من طرف قبيلة المتونة دون غيرهامن القبائل ،بالاضافة الى بعد الأمراء المرابطين عن حياة البداوة وميلهم إلى حياة والترف، وانفاقهم بسخاء لحاشيتهم وجندهم المرتزقة، وإنفاقهم الأموال الباهظة على بلاطاتهم.

علاوة على تزايد خطر نصارى أسبانيا وهجومهم على المدن الاندلسية ،وكذلك ظهور خطر الموحدين مما دعا علي بن يوسف بن تاشفين الى مضاعفة النفقات العسكرية .

توفي علي بن يوسف سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م. ، وتولى ابنه **تاشفين بن علي** حيث تولى الحكم بعد أن اصبحت الدولة في طور الانهيار. وفي الوقت نفسه، كان الفونسو السابع يوجه ضرباته القاصمة للحاميات المرابطية في الأندلس. وقد حاول هذا الأمير سدي التصدي للموحدين حيث لاحقهم في تلمسان، وهناك التحق به ابنه إبراهيم فجدد له العهد، ثم بعثه إلى مراكش للدفاع عنها، لكن قوات الموحدين تمكنت من إلحاق هزيمة ماحقة بالجيش المرابطي، ففر الأمير تاشفين ناجياً بنفسه في جنح الليل نحو الأسطول المرابطي، غير أنه سقط من حافة عميقة لم يتنبه إليها وهو على ظهر فرسه، وقد أرداه هذا الحدث قتيلا.

وبعد وفاة تاشفين بن علي سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م، بويع ابنه إبراهيم وكان شاباً صغيراً وبقي مدة ثم نقض بيعته عمه إسحاق بن علي، وتشب الصراع بينهما، ثم اندلعت الثورات في كل المدن الأندلسية. وفي تلك الأثناء، زحفت جيوش الموحدين على تلمسان وفاس ومكناس لتصل إلى مراكش سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م، وتضرب عليها حصاراً قويا انتهى باقتحام المدينة فدخلها

الموحدون ، وقبضوا على أميرها ابي إسحاق إبراهيم بن تاشفين، وفتكوا به وبمن معه من كبار دولته.

مراجع الفصل :

ابن الخطيب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام

ابن خلدون العبر /ج١٠

– ابن عذاري البيان المغرب ،ج٤

–ابن أبي زرع الأنيس المطرب

–السلاوي : الاستقصا

–ابن الكردبوس : الإكتفاء في أخبار الخلفاء تحقيق أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١

–المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب

– عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب .

–سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ٠ ،ج٤

–نجلاء سامي النبراوي :الحج والجهاد بالمغرب والاندلس

–إبراهيم القادري بوتشيش:– المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع – الذهنيات . الأولياء)دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت

دولة الموحدين في المغرب

(٥٤١هـ-٦٦٨هـ)

تسمية الموحدين –الصراع المرابطي الموحدي –جهود الموحدين في المغرب الاندلس

م	الخليفة	فترة حكمه
1	عبد المؤمن بن علي الكومي	٥٤١-٥٥٨هـ
2	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	٥٥٨-٥٨٠هـ
3	أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور	٥٨٠-٥٩٥هـ
4	محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف	٥٩٥-٦١٠هـ
5	يوسف المستنصر	٦١١ - ٦٢٠ هـ
6	عبد الواحد المخلوع	٦٢٠ - ٦٢١ هـ
7	عبد الله العادل	٦٢١ - ٦٢٤ هـ
8	يحيى المعتصم	٦٢٤ - ٦٢٧ هـ
9	إدريس المأمون	٦٢٧ - ٦٣٠ هـ
10	عبد الواحد الرشيد	٦٣٠ - ٦٤٠ هـ
11	أبو الحسن السعيد	٦٤٠ - ٦٤٦ هـ
12	عمر المرتضى	٦٤٦ - ٦٦٥ هـ
13	إدريس الواثق)(أبو دبوس)	٦٦٥ - ٦٦٨ هـ

مؤسس هذة الدولة هو محمد بن تومرت الهرغي المنتمي الى قبائل مصمودة الذين كانوا يسكنون ويشكلون معظم سكان المغرب الاقصى وهي قبائل كبيرة تمتد من شمال المغرب الاقصة الى جنوبه .

ولد محمد بن تومرت في قبيلة هرغة عام ٤٨٥هـ وتعلم بمراك ثم اتجه الى المشرق لمواصلة تعليمه فاستفاد من العلوم هناك كما كان شاهدا على احوال العالم الاسلامي وقتها وعاد بدعوة اصلاحية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعند وصول الى تلمسان التقى بعبد المؤمن بنعلي ثمنها سار حتى فاس وكان يأمر تلاميذه بمواجهة كل مظاهر البدع وفقا لدعوته كما اسماهم الموحدين لنشر غايته من حركته ودعوته من اجل احياء عقيدة التوحيد الخالصة .

وفي مراكش عاصمة المرابطين ذاع صيت ابن تومرت المهاجم لهم وقد اسماهم المجسمين ؟؟؟؟ .

وبعد ان تم له تكوين اتباع وانصار انتقل الى قلب جبال اطلس واسس قاعدته تينملل وفيها اخذ يرتب اتباعه طبقات بحسب اخلاصهم له ولدعوته وتلقب بالمهدي .

(طبقة الحفاظ –الطلبة –أهل العشرة –أهل الخمسين –أهل السبعين).

وبدأت اول المواجهات مع المرابطين في عام ٥٢٤هـ حيث ارسل جيشا بقيادةة تلميذه عبد المؤمن بنعلي ولكنه لقي هزيمة كبيرة من المرابطين وعرفت هذة المعركة بمعركة البحيرة .

توفى ابن تومرت في نفس العام وتولى بدلا عنه عبد المؤمن بن علي الذي يعتبر المؤسس العسكري لدولة الموحدين ودخل عبد المؤمن في مواجهات مع المرابطين حتى تم له اسقاط دولتهم واقامة دولة الموحدين عام ٥٤١هـ .

وتم لعبد المؤمن بن علي السيطرة الكاملة على كل بلاد المغرب في عام ٥٥٥هـ والتي سميت بسنة الاخماس فكانت دولته من المحيط الاطلسي حتى طرابلس ،كما تم له السيطرة على الاندلس عام ٥٥٦هـ .

توفي عبد المومن بن علي عام ٥٥٨هـ بعد حكم دام ثلاثة واربعين عاما وتلاه خلفاء كان منهم من تصدى لضربات نصارى اسبانيا في الاندلس

و

القسم الثاني

تاريخ الأندلس

الفتح الإسلامى للأندلس

(٩٢- ٩٧هـ)

***تمهيد :**

أ-طبيعة السكان والمكان

- موقع الأندلس

-تسمية الأندلس

ب- الحالة السياسية للأندلس قبيل الفتح

***الفتح الاسلامى للأندلس:**

- أسباب وعوامل الفتح.(دينية – عسكرية –اقتصادية)

- ممهدات الفتح.(حملة يوليان –حملة طريف بن مالك)

***مراحل الفتح الاسلامى للأندلس.**

- دور طارق بن زياد(موقعة وادى لكة "شذونة"

- دور موسى بن نصير

- دور عبد العزيز بن موسى بن نصير.

- مشاركات فاتحين آخرين

خريطة للاندلس موضح بها اهم المدن

الفتح الإسلامي للأندلس

(٩٢-٩٧هـ)

تمهيد :

الفاتحون المسلمون هم أول من أطلق اسم الأندلس على هذة البقعة وقبل ذلك كان لها مسميان مختلفان: مسمى أطلقه الإغريق وهو ايبيريا ويطلق على المنطقة الممتدة شرقا على شاطئ البحر المتوسط ثم أصبحت تطلق على كل شبة الجزيرة والاسم الثاني هو: إسبانيا وأطلقه الأغريق أيضا ويعتقد البعض انه مشتق من الكلمة الفينيقية spanبمعنى بلاد الأرانب لأن شبه الجزيرة كان غنيا بهذا النوع من الحيوانات، في حين يرى البعض الآخر انه يرجع إلى أصل سلتي وهو نفس أصل الكلمة الألمانية spanومعناها الوادي أو المدخل أو المفتاح ولكنه افتراض بعيد، أما هيسبيريا Hesperiaفهي تعني في الإغريقية شبه الجزيرة أو كل الأراضي التي تقع غربا على شاطيء البحر الأبيض المتوسط .

ولم يعرف العرب قبل الفتح كلمة الاندلس وهذة الكلمة لم يستعملها العرب في القديم ويرى بعض الباحثين أن الكلمة اخذت من كلمة واندالوسيا wandalucia نظرا لوجود قبائل الوندال فيها ونزوحهم الى المغرب خاصة في المنطقة الواسعة التي تقع جنوب شرق شبه الجزيرة ويخترقها نهر الوادي الكبير.

وقد انتشر اسم الأندلس سريعا بعد الفتح الاسلامي وشاع استخدامه في كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات،وعليه فان اسم الاندلس ارتبط بالدولة الاسلامية وحدها حتى عندما تقلصت أملاك المسلمين في شبة الجزيرة

وكان أول استخدام رسمي لكلمة الأندلس عام ٩٨هـ أي بعد ستة أعوام من الفتح ويرجح غالبية المؤرخين ان الاندلس ارتبط بكلمة الوندال او قبائل الوندال وهو ما تتفق عليه المصادر العربية والاجنبية .

والوندال قبائل جرمانية هبطت جنوب إسبانيا الشرقي لفترة قصيرة وقد عبروا الى شمال افريقيا بعد ان طردهم القوط الغربيون منها لذا فقد عرفها العرب الفاتحون من وجود قبائل الوندال بالمغرب اثناء الفتح العربي لها ومن ثم بسؤالهم وكذلك بمجاورة البربر سكان بلاد المغرب الاصليين عرف الفاتحون انهم قدموا منها و بالاحرى طردوا من بلادهم (بلا الواندال –واندالوسيا) وعلم المسلمون كذلك منهم مقدار ما تتمتع به من ثروات وامكانات فتعرب الاسم الى الأندلس .

***الأندلس قبيل الفتح الاسلامي :**

سكان إسبانيا خليط من الكلت والايبيريين وقد قام الفينيقيون بتأسيس عدة مستعمرات لهم على سواحل اسبانيا في القرن العاشر ق.م كما اسس الاغريق من القرن الخامس ق.م بعض مراكز استعمارية فيها واطلقوا على سواحلها اسم ايبيريا وما لبث ان اطلق هذا الاسم على شبه الجزيرة كلها ،ثم خضعت شبه الجزيرة للقرطاجنيين منذ القرن الخامس ق.م ثم حدث غزو روماني عام ٢٠٥ق.م حيث اصبحت ايبيريا اقليما رومانيا نشر فيه الروما حضارتهم وقضوا على نفوذ القرطاجنيين وقام الرومان بتأسيس مدينة طالقة وجعلوها من اهم مراكزهم العمرانية وتقع في جنوب ايبيريا وخضع الاسبان لنفوذ الرومان وانتشرت لهذا الديانة المسيحية وعندما ضعفت الدولة الرومانية اجتاحت شية الجزيرة الايبيرية قباءل جرمانية حتى استقر بها القوط الغربيون اواخر القرن الرابع الميلادي والقوط هم اعظم قبائل الجرمان الشرقيين اما قبائل الوندال فهي اشد قبائل الجرما تخريبا ووحشية فقد استقروا في الاطراف

الشمالية الغربية اي في جليقية واشتوريس واقام القسم الاعظم منها في اقليم باطقة وجزء من شرق الاندلس .

وبعرف ان الوندال قد احتلوا المغرب حيث عبروا الى الشمال الفريقي بعدما ضغط عليهم القوط الغربيون واجبروهم على العبور الى المغرب عام ٤٢٩م في ثمانين الف شخص بفضل مساعدات البربر لهم لعدائهما المشترك للمسيحية الكاثوليكية غير ان القائد الروماني بليزاريوس استطاع القضاء على نفوذ الوندال في المغرب بعد عام ٤٧٧م.

وبذلك استقر القوط الغربيون في اسبانيا وتأسست دولة القوط الغربيوفيها وكانت عاصمتهم طليطلة وهي قاعدة اقليم كارتيا لماكانت تمتاز به من موقع جغرافي واستيراتيجي مهم ،وسوف تكون كذلك حاضرة ادارية مهمة جدا في العصر الاسلامي في الاندلس حيث ستمثل قاعدة الثغر الاوسط وفق التنظيم الاداري الذي سيضعه المسلمون بعدذلك .

شهد الاندلس فترة صراعات على الحكم وقبيل الفتح الاسلامي لها تولى غيطشة عرش البلاد بعد ابيه اخيكاوكانت اوضاع البلاد غاية في الضعف والسوءوحاول غيطشة ان يصلح من حال ابلاد وبالفعل كان القسم الاول من عهده متسما بالهدوء والاصلاح وتطبيق العدل فقد افرج عن كثير من المسجونين وسمح للقساوسة بالزواج وسمح لليهود بالعودة الى اسبانيا وممارسة شعائرهم الدينية دون تقييد او اضطهاد ،وحاول غيطشة تولية ابنه لكنه كا صغير السن كذلك اخوته الاثنين الاخرين فقام مجلس طليطلة بخلع غيطشة وثارت الامور واستطاع احد الثائرين عليه بفضل أعوانه السيطرة على الحكم وهو لذريق او رودريكو وكان دوقا لمنطقة باطقة

وساءت البلاد في عهد لذريق حيث فرض على شعبه الضرائب الفادحة واستمر تدهور الاوضاع حتى كان الفتح الاسلامي للأندلس .

للتعرف على الحالة السياسية للاندلس قبيل الفتح الاسلامي

https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%AA%D8%AD_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A_%D9%84%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%B3

فتح الاندلس :

استطاع موسى بن نصير في فتوحاته ببلاد المغرب ان يتمكن من فتح طنجة بعد حصار قاس فرضه عليهاوقام بتولية المدينة وماجاورها الى طارق بن زياد وقام يوليان حاكم سبتة بالاتصال بطارق وكذلك موسى يحثهما على فتح الاندلس.

ناقش

-وضع سبته الاداري

– تبعية سبتة اداريا وسياسيا وعسكريا

-الاسباب التي دعت المسلمين الى فتح الاندلس

(عسكرية –سياسية –استيراتيجية –دينية – شخصية)

ممهدات الفتح :

عمد يوليان الى الاتصال بموسى بن نصير وعرض عليه مساعدته في فتح الاندلس وعرض عليه ما يملكه من سفن للعبور اليها ووضعها تحت تصرفه لعبور الجند وحاول يوليان تشويق موسى بفتح الاندلس وتسهيل عملية الفتح فوصف له خيراتها وثرواتها كما هون عليه امر المقاومة التي يمكن ان يلقاها العرب في فتحها فذك له حال رجالها واصفا اياهم بالضعف والخلاف بينهم والفرقة مؤكدا له ان مقاومتهم ستكون ضعيفة لا تذكر خاصة حينما يقدم له العون العسكري ويقدم له الادلاء الذين سيكونون تحت تصرفه.

بدأت التمهيدات للفتح الاسلامي للاندلس بحملة قادها يوليان نفسه حتى يطمئن المسلمين وقائدهم موسى بن نصير الى سهولة الأمر فقبل موسى ذلك ودعا يوليان ان يقوم بالتجربة الاولى بنفسه بحملته :**حملة يوليان**،وقد نفذ يوليان فعلا عرضه واصطحب معه عددا من رجاله في سفنه التي يمكلها الى الشاطئ الاندلسي في حملة حيث اغار على منطقة الجزيرة الخضراء في نهاية ٩٠ هـ / ٧٠٩م ،فغنم الكثير من الغنائم وقضى هناك بضعة ايام دون ان يلقى اي مقاومة وعاد محملا بالغنائم الى المغرب

ومن ثم زاد اقتناع وارتياح موسى بن نصير بأن عملية الفتح ممكنة وان يوليان سيكون خير عون للمسلمين لاتمام الامر وجينئذ وجه الى الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) في دمشق رسولا يحمل له كتابا يعرض عليه فيه مشروع فتح الاندلس ويذكر له المنافع التي سيجنيها المسلمون من هذا الفتح ويستأذنه في لقيام به وكان رد الخليفة الوليد بالا يغامر موسى بالجيوش العربية وان يدخل الاندلس بالسرايا قبل اقتحاما فقرر موسى اختيار احد القادة العرب وهو طريف بن مالك المعافري وتسييره في سفن يوليان التى وضعها الاخير تحت تصرف الجيش الاسلامي وان يسير على راس عدد من المسلمين للاغارة على الشاطئ المقابل للسواحل المغربية .

لتكون **حملة طريف بن مالك** ثاني ممهدات الفتح الاسلامي للأندلس ؛ووضعت المراكب التي يمكلها يوليان وعددها اربعة تحت تصرف طريف ووضع تحت امرته خمسمائة رجل ربعمائة منهم من المشاة ومائة من الفرسان .

وقد نزل طريف في نقطة قريبة من الجزيرة الخضراء وسمي المكان الذي نزل فيه بجزيرة طريف وقد أقام بها اياما ثم اغار على الجزيرة الخضراء فحصل على سبي وغنائم كثيرة وذلك في رمضان ٩١هـ /٧١٠م فلما راى الناس ضخام هذة الغنائم انخرط كثير منهم في الجيش الذي سيقوده طارق بن زياد فيما بعد لفتح بلاد الاندلس.

وقد ادت هذة الغزوة صدق يوليان في عرض المساعدة عليهم وكذلك ضعف المقاومة في الاندلس ثم سهولة العبور والنزول على الشاطئ دون ان يلقى الجيش الاسلامي اخطارا بحرية.

نتيجة لذلك قرر موسى بن نصير تنفيذعملية الغزو واوكل الامر الى طارق بن زياد حيث وضع تحت قيادته جيشا مؤلفا من سبعة الاف مقاتل اغلبه من البربر وكان قسم كير من هؤلاء من الرهائن التي قدمتها القبائل البربرية لوسى بن نصير ضمانا لدعمهم وورائهم وخضوعهم للحكم العربي الاسلامي اما العرب الذين شاركوا مع طارق بن زياد فكان عدده قلبل حيث تفيد معظم الراويات التاريخية انهم لم يتعدوا ثلاثمائة رجل .

*طارق بن زياد والفتح الاسلامي للاندلس :

كان على طارق بن زياد ان ينقل جيشه ومعداته والمؤن والذخائر من الشاطئ الفريقي الى الشاطئ الاندلسي ولما كانت السفن التي اعطاها يوليان تحت تصرف المسلمين لا تكفي غير انها كانت سفنا تجارية غير مخصصة لحرب او لتقل المعدا لعسكرية فقد قررطارق ان ينقل الجيشعلى دفعات وان يكون مكان اجتمعهم عند صخرة مرتفعة في اول البر الاندلسي سميت فيما بعد باسمه وعرفت منذ ذلك الحين باسمه

(تعرف على اسم المضيق قبل تسميته بمضيق جبل طارق).؟

هذا وقد قرر طارق ان يكون هو آخر من يجتاز المضيق للحاق بجنوده بعد ان يكون قد أمن نقلهم جميعهم ونفذت الخطة بدقة فكانت السفن تروح وتغدو الى الشاطئ الاندلسي تنقل الجند الى تلك الصخرة مكان الاتتقاء دون ا يشتبه احد من اهل الاندلس بان تلك السفن كانت تنقل قوات ومكان من اسباب نجاح تلك الوسيلة

ان السفن التابعة ليوليان سفن تجارية كما سبق القول فكان الناس يشاهدونها ترسوا امام جبل طارق يظنون انهخا تنقل تجار وكان يوليان اول العابرين في تلك السفن.

وعندما اقترب جيش لذريق عندما وردته الاخبار بنزول المسلمين على ساحل الاندلس الجنوبي حاول ارسال احد قواده للاستطلاع لكن المسلمون شعروا به ووثبوا عليه فهرب الى معسكر لذريق يخبره بمدى استعداد المسلمين وما رآه في معسكراتهم،مخبرا لذريق ان العرب احرقوا السفن التي جاءوا عبرها استماته في لقاء القوط ومواجهتهم ورغبة في الانتصار عليهم .

وقد شُغل المؤرخون بقضيتين في عملية الفتح القضية الاولى قضية احراقه للسفن التي عبر بها الى الاندلس وكيف احرقها وهي وسيلة الاتصال الوحيد بينه وبين بلاد المغرب ووسيلة الاتصال الوحيدة بينه وبين قائده موسى بن نصير وهل فعل ذا بعد مشاورة قائده او هل فعل هذا بالفعل ؟،كذلك شغلت الخطبة التي القاها على الجنود لاثارة حميتهم وحماسهم لدخول المعركة ومواجهة القوط ،وهي الخطبة التي اوردتها المصادر العربية التي تناولت الفتح الاسلامي للاندلس ، فقد قيلت بلغة عربية فصيحة رائعة ..كيف هذا وطارق بن زياد بربري الاصل حديث بالاسلام وباللغة العربية؟ !!!

ناقش:

-قضية احراق طارق بن زياد للسفن

-كيف وصل المدد الذي طلبه من قائدة قوامه خمسة الاف مقاتل ؟

–كيف عبر موسى بن نصير الى الأندلس استكمالا للفتح ؟

كان نزول طارق على الجبل الذي سمي باسمه في ٥ رجب ٩٢هـ/ ابريل ٧١١م وارسل بعد ذلك حملة صغيرة يقودها عبد الملك بن ابي عامر فتحت حصن قرطاجنة مقابل الجزيرة الخضراء ثم احتلت المدينة نفسها دون ان تلقى مقاومة

وتحرك طارق بعد ذلك على رأس قواته متوجها نحو قرطبة حيث سار بمحاذاة الساحل ثم اتجه نحو الشمال باتجاه قرطبة وقد اعترضته بعض القوات القوطية بقيادة ابن اخت لذريق ويدعي بنج فاشتبكت القوات الاسلامية معها وتمكنت من التغلب عليها.

وعندما علم لذريق بتحركات المسلمين ارسل رسله الى النبلاء والاشراف ليسيروا اليه بمن يستطيعون من رجالهم وبما لديهم من العدة والمؤن فأخذت الامدادات ترد عليه من كل مكان حتى اجتمع عليه في قت قصير جيش قوامه يقدر بمائة الف او اكثر لذا عجل لذريق في العودة نحو الجنوب وطلب مساعدة من اولاد الملك المخلوع غيطشة في محنته التي اعتبرها محنة الجميع فسلهم ان يقفوا بجانبه بكل ما اوتوا من نفوذ شعبي ومادي وعسكري وقد حذرهم من التقاعس عن نجدته وحضهم على ان يكونوا معه ضد العدو المشترك يدا واحدة فاستجابوا لنداه وحشدوا القوات التي استطاعوا حشدها ثم ساروا الى لقائه وهو عائد على راس جيشه نحو الجنوب وكانت وجهة لذريق مدينة قرطبة حيث وصل الى ضواحيه ونزل في القصر الذي عرف فيما بعد بسمه ولكنه لم يقم ببنائه وهو قصر لذريق

وقد أقام لذريق هناك بضعة ايام حتى تفد اليه الحشود الخاصة وان موقع المدينة مدينة قرطبة كان يعتبر موقعا وسطا بين العاصمة طايطلة وبين الجزيرة الخضراء مكان تواجد ونزول الجيش الاسلامي .

وأخذت اخبار لذريق تصل الى مسامع طارق كما كانت اخباره تصل الى مسامع لذريق وعلم طارق ان لذريق يقود اليه جيشا يضم قواد المملكة وكبار الاشراف وانباء وخيرة فرسان الاندلس وراى ان العدد الذي كان لديه ربما لا يكفي للقاء جيش بهذا العدد وهذة الدة فأرسل الى موسى مسرعا يطلب اليه المزيد من القوات .

ولم يتردد موسى لدى تلقيه كتاب طارق في اعداد القوات المطلوبة وبعد ان جهز خمسة الاف من الجنود وامرهم بالعبور الى الاندلس والانضمام الى الجيش السلامي الموجود فيها تحت امرة طارق بن زياد حينئذ اصبح عدد الجيش التابع لطارق اثنى عشلر الف مقاتل غالبيتهم من المشاة وكما سبقت الاشارة غالبيتهم من البربر (الفتح العربي /الاسلامي للاندلس ؟؟؟)

وعلى اثر وصول القوات الجديدة بدا طارق بالتحرك نحو الشمال في نفس الوثقت الذي بدأ فيه لذريق وقواته يتحركون نحو الجنوب وهنا بدأت المرحلة النهائية التي سبقت لقاء الجيشين والتي كانت ذات اثر في سير الاحداث بعد ذلك .

فقد تم تدبير مؤامرة داخل صفوف الجيش القوطي ضد الملك لذريق نفسه مما ادت الى اضعاف قوة الجيش وهزيمت امام الجيش الاسلامي والمشتركون في هذة المؤامرة عدد كبير من كبار قادته وكبار النبلاء والذين لم يكونوا على وفاق معه وضد اغتصابه لعرش طلطيلة من سلفه الشلرعي غيطشة وبعض المؤرخين ينسبون تلك المؤامرة الى ولدي الملك غيطشة الذين توليا ميمنة وميسرة الجيش القوطي الاسباني وذلك انتقاما لابيهم المخلوع .

لذا اتصل ولدا غيطشة بطارق بن زياد وسألوه الامان والانضمام اليه عند لقاء الجيشين في مقابلان يسلم اليهم اذا انتصر ضياع والدهم بالاندلس وعددها ثلاثة الاف ضيعة ؟

معركة وادي لكة :

تختلف الراوايات في ذكر موقع اللقاء ولكن يستنتج منها بصورة عامة انها دارت حول قرطبة ونواحيهاحيث تحمل هذة المعركة الفاصلة الحاسمة عدة مسميات كلها تحمل اسم مكان وذلك لاستمرار الصراع مة ايام كل منها تحمل اسما ومن اهم مسميات هذة المعركة :وادي لكة وادي بكة شريش برباط شذونة والبحيرة ،فيذكر صاحب كتاب اخبار مجموعة ان اللقاء تم في موضع يقال له البحيرة في حين يذكر المقري ةابن خلدون انه تم في فحص شريش في حين يذكر ابن عذاري المراكشي وابن الابار وغيرهما انه قد تم في وادي لكة من كورة شذونة

كان لكل من الفريقين يحاول شد عزائم جنده، فلذريق اصر على جمع الامراء والنبلاء للاشتراك في المعركة مؤكد ان مصير البلاد زمستقبلها متوقف على ذلك اللقاء وعلى الجانب الاخر اهتم طارق بن زياد على حث جنده بالقاء تلك الخطبة المشهورة في تاريخ الفتوحات الاسلامية .

وغيرها وقد ذكر المقري في كتابه" نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ما نصه : "لما بلغ طارق اقتراب لذريق بجيشه القوطي الكثيف قام في أصحابه، فحمد الله سبحانه وتعالى وأثني عليه بما هو أهله، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال:

"يا أيها الناس، أين المفرّ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وأن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رُعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وانا أبدأ بنفسي.

واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفة الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي وقد بلغتم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدرِّ والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجادلة الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المومنين سواكم والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين.

واعلموا أنني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لُذْريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون".

وعند اقتراب الجيشين راى طارق ان الوقت متاخر لدخول المعركة في ذلك اليوم اذ لم يتبق سوى ساعات على دخول الليل فأمر اصحابه با يبيتوا ليلتهم تلك فوق سروجهم وان يكونوا متيقظين لكل حركة حولهم وان يستعدوا لدخول المعركة في صباح اليوم التالي .

وعند الصباح عبأ كل من الفريقين جيوشه ونظمها حسب الخطة التي ينوي اتبعها ،كان المسلمون هم البادءون للمعركة

وقد استمرت المعركة ثمانية ايام استبسل فيها الجند المسلمون ،حيث يذكر المقري :"ان الحرب اتصلت بينهم من يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان الى يوم الاحد لخمس خلون من شوال بعد تتمة ثمانية ايام "

واختلفت الروايات حول نهاية لذريق حيث رجحت بعض منها انه فر دون ان يعرف مصيره في حين رجت روايات اخرى ومنها المقري انه لقى حتفه في مستنقع غاص

فيه ولم يستطع الخروج منه وعليه فر بقية جنوده واتجهوا للدداخل نحو الكعاقب والحصون بوالمدن المنيعة .

اما عدد القتلى في كلا الجانبين ،فمن الاستنتاج من روايات المرخين ان الفيئ الذي قسم على الجنو قد تم تقسيمه على تسعة الاف وهذا يعني ان الجانب الاسلامي فقد ثلاثة الاف جندي ،وهذا حسب رواية المؤرخ المغربي ابن عذاري حيث حدد نصيب كل فرد من الفية كان ٢٥٠ دينارا .

وكان المسلمون يتعرفون على جثث القتلى من الاسبان عن طريق الخواتم التييرتديها النبلاء والاشراف وكبار الدولة والعامة والعبيد والخدم مابين خواتم الجوهر او الذهب او الفضة او النحاس وكانت هذة الطريقة تتع للتعرف على الاسرى وهوينهم ومكانتهم ؟

وكتب طارق بن زياد الى قائده موسى بن نصير بعد المعركة يبشره بالنصر ويخبره بأن طريق السير الى قلب بلاد الاندلس قد اصبح مفتوحا امامه وتطوع كثير من البرب للحاق بجيش المسلمين والمساهمة معه الى فتح الاندلس اما الاسبان فقد لجأ معظمهم الى الحصون والقلاع واخذو يغادرون السهول الى المرتفعات خوفا من وصول الفاتحين الجدد

يذكر المقري انه بعد موقعة وادي لكة نزل طارق بكورة شذونة التي امتنعت عليه ولكنه فتحت عنوة بعد حصار طويل انهك سكانها ومن شذونة سار الى مورور وهي كورة متصلة لاحواز قرمونة ثم الى قرمونة ثم الى اشبيلية حيث صالح اهلها على الجزية ثم الى استجة وكان بها فلول جنود لذريق وتم فيها قتال شديد بين الطرفين يصفه المقري بأن المسلمون لم يلقوا مثا هذة الحرب بعدها وقد فتحت هي ايضا مقابل دفع الجزية.

ومن مدينة استجة فرق طارق بن زياد جيوشه وكان هذا من اقتراح الحاكم القوطي المنضم اليه :يوليان على ان يتبع او يكون مع هذة الجيوش المتفرقة مجموعة من الادلاء الذين لهم معرفة ودراية بالطريق فوافق طارق على اقتراح يوليان ورايه ،فارسل مغيث الرومي وهو مولى الخليفة الوليد بن عبد الملك الى قرطبة في سبعمائة فارس وارسل جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة وسار هو في معظم الجند الى كورة جيان نحو طليطلة

وقام طارق بن زيد بفتح طليطلة حاضرة وقاعدة ملك القوط الغربيين .

استكمال عمليات الفتح ببلاد الاندلس

اتجه المسلمون بعد انتصارهم في موقعة وادي لكة بالاتجاه نحو الشمال وتحديدا نحو مدينة استجة لفتحها وكانت تحيط بها أسوار منيعة فاندفع المسلمون نحو أسوارها يحاولون ونشب من جديد حول تلك المدينة وفوق أسوارها قتال شديد سقط فيه كثير من قتلى وجرحى المسلمين ولكنهم تمكنوا في النهاية من فتح أبواب المدينة ودخلوها وقتلوا معظم المدافعين عنها وهرب الباقون إلى طليطلة وبعد فتح مدينة استجة قدم يوليان لطارق بن زياد مجموعة من الادلاء تحت تصرفه لكي يدلوه على طرق البلاد ومسالكها واستطاع المسلمون بعد ذلك فتح قرطبة وطليطلة وتابع طارق بن زياد طريقه نحو الشمال

وقد علم موسى نصير بأخبار انتصارات طارق بن زياد من كتب الفتح التي كان يرسلها إليه باستمرار فقرر على إثر ذلك القدوم إلى الأندلس بنفسه ويختلف المؤرخون في ذكر الأسباب التي دفعت موسى أن طارق إلى أرض الأندلس ولكن يمكن إجمالها في النقاط التالية :

–خوف موسى من تقدم المسلمين الأندلس لمسافات طويلة مما يسهل على العدو مهاجمتهم وبذلك تضيع مجهودات المسلمين السابقة.

– دعم جيش المسلمين بجيش يكون هو قائده ليضمن النصر النهائي على الإسبان .

– خوف موسى من أن يستقل طارق بتلك البلاد التي افتتحها ويخلع فيما بعد طاعته وطاعة الخليفة الأموي .

وبذلك يظهرلنا ان موسى التحق بطارق حرصا على المصلحة العامة لأن طارق تابع الفتح دون الرجوع إليه فخشى موسى عاقبة توغل الجيش في تلك البلاد الواسعة وبذلك قرر التوجه الى الأندلس فاستخلف على القيروان ولده عبد الله ثم غادرها برفقة حبيب بن منده الفهري على رأس جيش يعد بثمانية عشر ألف مقاتل ويضم اعدادا من وجوه العرب والموالي والبربر

وقد كان نزولهم بالجزيرة الخضراء في رمضان ٩٣هـ / يونية ٧١٢م ،اي بعد حوالي عام من وصول طارق إليها فلما نزل بها أقام مع جيشه أياما للراحة وحين عزم على التحرك منها جمع قواده والأدلاء ليتشاوروا في خطة العمل وطريق السير وقد قرر موسى أن يسلك طريقا غير الذي طارق بن زياد فكانت أول المدن التي تم فتحها على يد موسى والجيش الذي سار معه هي مدينة شذونة حيث فتحها عنوة حاصرها مدة من الوقت ورفض صاحبها تسليمها.

وسار موسى بجيشه بعد ذلك نحو قرمونة حيث فتحها موسى بطريق الحيلة أرسل جماعة من أصحاب يوليان على هيئة الفارين منمعركة فيطلبوا اللجوء إلى ولم يتشكك أهل المدينة في هؤلاء ففتحوا لهم الأبواب وما أن خيم الظلام حتى دخل

المسلمون المدينة بمساعدة أصحاب يوليان الذين فتحوا لهم الأبواب وبذلك استيلاء المسلمين على مدينة قرمونة.

وبذلك الفتح تم إقامة خط عسكري متين يمتد الجزيرة الخضراء إلى شذونة قرمونة إلى استجة وإلى قرطبة مدعما بذلك مركز الجيوش العربية وعمليات الفتح المقبلة .

سار موسى بعد ذلك إلى إشبيلية غربا وكانت من اعظم قواعد الأندلس وأتقنها بنيانا وأكثرها آثارا وكانت عاصمة للرومان قبل أن يملك القوط الأندلس وقد لقى العرب عناء في فتحها نظرا للمقاومة الشديدة التي أبداها المدافعون عنها وقد ذكر المؤرخون أن حصارها استمر أشهرا عديدة وانتهى الأمر بأن دخلها العرب عنوة وهرب معظم المدافعين عنها إلى مدينة باجة Beja ومضى موسى بن نصير وجيشه من إشبيلية إلى ماردة التي تم افتتاحها في يوم عيد الأضحى ١٠ ذي الحجة عام ٩٤ هـ/ ٧١٣ م.

أثناء ذلك قام الهاربون من إشبيلية إلى باجة الذين انتهزوا فرصة انشغال موسى بحصار ماردة بالهجوم على إشبيلية وانتزاعها من يد العرب وقد تمكن هؤلاء بالفعل من تنفيذ خطتهم فتمكنوا من دخول المدينة وقتلوا ثمانين من حاميتها ولم يبق إلا عدد قليل من جند المسلمين استطاع مغادرة المدينة ولحق بموسى بن نصير فقصوا عليه ما حدث . وعندما أتم موسى فتح ماردة وجه ابنه عبد العزيز بن موسى على رأس جيش إلى إشبيلية فعاد إلى فتحها من جديد وقد كان لعبد العزيز بن موسى مجهودات في فتح العديد من المدن الأندلسية مثل رية وغرناطة ومرسية وذلك في عام ٩٤ هـ / ٧١٣ م . فبالنسبة لفتح مدينة رية قام دليل من رجال يوليان بمرافقة القائد عبد العزيز بن موسى إليها وقام المسلمون بفتح مدينة مالقة وغيرها من القرى التابعة لرية ثم أتموا الاستيلاء على جميع أنحاء تلك المقاطعة وفر معظم المدافعين

عنها إلى الجبال المرتفعة المنيعة ليلجأوا إليها ويجدوا مقاومتهم للمسلمين فيما بعد إذا إستطاعوا .

أما الجيش الذي تم توجيهه لفتح غرناطة فقد حاصر في طريقه إليها مدينة البيرة وهي عمل من أعمال غرناطة وافتتحها وسار الجيش الذي افتتح غرناطة بعد ذلك نحو مقاطعة مرسية التي كانت تدعى بتدمير فلقيهم صاحبها بجيش كبير فنشب القتال بين الجانبين وكان النصر حليف العرب وفر تدمير صاحبها إلى المدينة وقتل المسلمون جنوده ولجأ من بقي منهم إلى المدينة أيضا .

وقد قام المسلمون بضرب الحصار على أوريولة ولم يكن بالمدينة رجال بالقدر الكافي للدفاع عنهم فقام تدمير بحيلة وهي أنه جمع نساء المدينة وأمرهن بصعود الأسوار وأن ينشرن شعورهن ثم أعطاهن القصب حتى يظهروا بهيئة الرجال ثم أمر من بقي من المقاتلين أن يقفوا بجانبهن على الأسوار ففعلوا،وذهب هو بعد ذلك بنفسه إلى قائد المسلمين على اعتبار أنه رسول فاستأمن لنفسه لإجراء المفاوضة فأعطى الأمان ولم يزل يراوض أمير ذلك الجيش ويفاوضه حتى عقد لنفسه ولأهل بلده صلحا حيث أبقى إدارة المنطقة في يد حاكمها فلا يقتل أحد من الأهالي ولا يسبون ولا يكرهوا على ترك دينهم ولا تحرق كنائسهم وألا يأوى حاكم تدمير أحدا من أعداء المسلمين وأن يدفع للمسلمين مقدار حدد في معاهدة بين الجانبين الإسلامي وبيته أوردها الحميري في كتاب الروض المعطار وقد كتبت هذه المعاهدة في رجب سنة ٩٤ هـ

ولما تم توقيع المعاهدة كشف تدمير عن حقيقته ثم سار معهم إلى المدينة وعرف المسلمين حيلته في الدفاع عن مدينته فأعجبوا بدهائه وظلوا على عهدهم له وكتبوا إلى طارق بن زياد يخبرونه بما حدث ، وقد بقى بعض من الجند المسلمين في

تدمير للمحافظة على المدينة وسار معظم الجيش الباقي إلى طليطلة لينضم إلى طارق الذي كان قد سبقهم لحصارها .

انضمام موسى بن نصير إلى طارق بن زياد ومتابعة الفتح :

بعد أن فرغ موسى بن نصير من فتح مدينة ماردة وبعد أن أعاد ابنه عبد العزيز افتتاح إشبيلية وبعد أن فتح منطقة شرق الأندلس عزم على التوجه إلى طليطلة فأرسل رسولاً إلى طارق هناك يخبره بقدومه

وخرج طارق للقاء موسى فلقيه بالقرب من طلبيرة وقد قابله موسى مقابلة سيئة فقد عنفه وأسمعه كلمات قاسية ولعل الأسباب التي دعت موسى بن نصير لمعاملة طارق مثل تلك المعاملة السيئة تكمن في عدم انصياع طارق بالتوقف عند قرطبة كما أمره موسى ابن نصير وربما كان عامل الحسد يلعب دوره في موقف موسى من طارق فقد حقق طارق بن زياد انتصارات عظيمة بالأندلس ولكن تم التصالح بين القائدين بعد ذلك خاصة وأن الفتوحات، قد تابعت سيرها وكان طارق يرافق موسى خلالها بل لقد أشرك موسى القائد طارق في فتح المناطق الشمالية من شبه الجزيرة التي حرص العرب على أن يفتحوها ويصلوا منها إلى أراضي الدولة الفرنجية فيتوغلون فيها ويخضعون قسما منها لولا وصول أمر الخليفة يتعجل عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى العاصمة الأموية في دمشق .

وقد استكملت الفتوحات العربية في الأندلس بعد اجتماع موسى وطارق وكان أول هدف رئيسي لهما هو مدينة سرقسطة التي تم حصارها مدة من الزمن وفتحت عنوة وافتتحت الجيوش العربية كذلك الحصون والمعاقل والقلاع المجاورة لتلك المدينة ضمانا لعدم مهاجمة العدو المدينة بعد سير المسلمين عنها نحو الشمال . وقد افترق القائدان بعد سرقسطة وسار كل منهما في طريق مستقل ومختلف عن طريق الآخر

كي يتم فتح الأجزاء المتبقية بسرعة أكبر . وقد كانت المقاطعات الشمالية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية لا زالت خارج عن طاعة المسلمين فعزم موسى وطارق على إخضاعها ، أما في الشمال فكان على العرب أن يفتحوا مقاطعة اشتورياس Asturias وكان عليهم أن يفتحوا في الشمال الشرقي بلاد البشكنس Bascos وفي الشمال الغربي مقاطعة جليقية Galicia.

وقد أبدى كبار القواد العرب تخوفهم من خطة التوغل هذه وأبدى الخليفة الأموي نفسه في دمشق تخوفه من أن يصاب العرب بكارثة نتيجة لذلك التوغل وقد أرسل الخليفة مغيث الرومي الذي فتح مدينة قرطبة إلى موسى بن نصير يحذره من هذا التوغل في شبه الجزيرة الأيبيرية كما طلب الخليفة أن يعود موسى بن نصير إلى دمشق ولكن عند وصول مغيث الرومي إلى الأندلس قام موسى بن نصير بمماطلته حتى يتمكن من تنفيذ خطته.

وعليه قام موسى بن نصير بالسير إلى جليقية وافتتح مدنها وحصونها ومعاقلها لذلك سارت الجيوش العربية إلى بلاد البشكنس وفتحتها كما فتحت مقاطعات ومدن أخرى مثل بنبلونة وقشتالة حتى وصلت إلى حدود بلاد الفرنجة .

ولم يرد موسى أن يتوقف عند هذا الحد فأغار مع جيوشه على بلاد الفرنجة وتمكن من احتلال مدينة برشلونة وما حولها وهي المقاطعة التي تدعى الآن مقاطعة كتالونيا ولم تكن وقتها تابعة لأسبانيا بل تابعة لفرنسا.

وفي هذه المرحلة من الفتوحات وبعد أن لم يبق في الأندلس بلدا إلا فتح وبعد أن غزا العرب جنوبي فرنسا وتوغلوا فيها مسافات بعيدة استبطأ الخليفة الأموى الوليد رسوله مغيث الرومي الذي أرسله لاستدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق فأرسل رسولاً آخر .

وعليه فقد خرج موسى من إحدى أعمال جليقية وأتاه طارق في الطرق أتيا من سرقسطة فسار الإثنان معا يرافقهما كل من اختار العودة إلى دمشق أما من فضل البقاء والإقامة في الأندلس فقد كان له أن يختار ذلك كما أحب وأن يستوطن البلاد ويختط لنفسه فيها المسكن الملائم . ووصل موسى إلى إشبيلية التي كان ينوى العودة منها بحرا إلى الشاطئ المغربي،ثم متابعة طريقه برأ إلى مصر ثم إلى دمشق وقد استخلف ابنه عبد العزيز على الاندلس

لقد بقى موسى في الأندلس مجاهدا وجامعا للأموال ومرتبا للأمور خلال نهايات عام ٩٣ هـ وطوال عام ٩٤ هـ وأشهرا من عام ٩٥ هـ ثم استخلف على الأندلس أبنه عبد العزيز وطلب منه أن يجعل عاصمته إشبيلية نظرا لقربها من مكان جواز المسلمين إلى المغرب وترك معه حبيب بن عقبة بن نافع الفهري مساندا له كما ترك معه من الجند ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد والثغور وجهاد العدو .

وقد وصل موسى بن نصير في يوم جمعة فتوجه إلى المسجد الأموى حيث كان الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك إماما فيه في خطبة الجمعة وكان موسى قد أوعز لبعض كبار الأسرى أن يلبس كل منهم ملابس الإمارة الذي كان يرتديه سابقا وأن يدخلوا معه المسجد بعد ذلك فوضع ثلاثون رجلاً منهم ثلاثين تاجا كانت لهم فيما سبق حتى ظهروا بمظهر الملوك وكذلك فعل زعماء البربر وأبناء ملوك الجزر المفتوحة وقادة الروم وعندما رأى الخليفة ذلك أعطاه خمسين ألف دينار وأعطى أموالاً لأولاده ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوما إلى أن توفي الوليد في ٩٦ هـ .

ولكن معاملة الخليفة اللاحق وهو سليمان بن عبد الملك كانت متوترة بينه وبين موسى ابن نصير قبل قدومه إلى دمشق يستحثه على عدم المجئ بسرعة مثلما طلب منه الخليفة الوليد حتى يستأثر بالأموال والجواهر والسبايا التي مع موسى بن نصير وعندما لم ينفذ موسى طلب سليمان كان مصيره الحبس والتغريم غير أن يزيد بن

المهلب دفع عنه لسليمان مبلغا كبيرا يقدر بألف ألف دينار وانتهت القضية بأن أدى فريضة الحج مع الخليفة سليمان وقد توفي أثناء حجته عام ٩٨ هـ .

مصادرو مراجع الفصل

الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار

.ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج/٢ .

المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج١

مؤلف مجهول :اخبار مجموعة

ابن الابار :الحلة السيراء

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ج٤

الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة

٢-عصر الولاة في الاندلس

٩٧-١٣٨هـ

محاور الفصل :

-السمات السياسية لعصر الولاة

-السمات الحضارية لعصر الولاة

-أهم الولاة واعمالهم

ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير :

ترك موسى بن نصير ابنه عبد العزيز واليا على الاندلس قبل رحيله الى دمشقبغدما استدعاه الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ومعه طارق بن زياد وعدد من كبار القواد والصحابة التابعين الذين كانوا في حملة الفتوحات

وفي اول ولاية عبد العزيز بن موسى تزوج ارملة لذريق وكانت تعرف في المصادر العربية باسم ام عاصم وقد اتخذ عبد العزيز احد الاديرةالقديمة مقر اقامة وكان يشرف على مروج اشبيلية ثم قام ببناء مسجد بالقرب منه ويذكر المقري انه كان رجلا خيرا فاضلا بل وتعتبر من خيرة الولاة وانه اهتم بثغولر الاندلس وضبط بلادها وافتتح العديد من المدن التي لم تكن قد فتحتفي عهد ابيه

وتذكر المصادر العربيى فتح عبد العزيز لمدينة مرسية او تدمير عام ٩٤هـ فيوعلى الرغم من مدح المصادر العربية الشخصي عبد العزيز بن موسى الا انهالم تقصح لنا ماهي اهم انجازاته الملموسة في الاندلساثناء فترة ولايته عليها ،ولعل فترة ولايته القصيرة كانت وراء ذلك والتي انتهت بمقتله .

وقد اختلفت الروايات التاريخية حول سبب التآمر لمقتله منها الرغبة في التودد من الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك الذي نكل بابيه عند عودته الى الشرق ،فتله اميو الاندلس او الموالين للدولة الاموية تقربا للخليفة كما فعلوا مع اخيه عبد الله الوالي منقبل ابيه على المغرب ،وورويات اخرى مفادها انصياعه التام لزوجته المسيحية

وعليه بدأت خطة الخليفة الاموي بان كتب الى بعض رجاله الموجودين في المغرب تحت امرة عبد الله بن موسى اخو عبد العزيز ومنهم حبيبي بن ابي عبدة وزياد ن

النابغة وغيرهم كتب الى كل منهم كتابا يعلمه بما بلغه من الحديث على لسان عبد العزيز بن موسى ورغبته في خلع الطاعة وطلب منهم ان يتوجهوا بناء على ذلك الى الاندلس وان يتظاهروا بانهم قد قدموا كإغاثة ومدد للقوات العربية التي تجاهد هناك حتى يأمن عبد العزيز اليهم ومن ثم يتم التمكن من تنفيذ خطة قتله وعلى الجانب الاخر ارسل الخليفة الاموي رسالة الى اهل الاندلس يأملرهم فيها بطاعة هؤلاء القواد ويساعدوهم في تنفيذ خطتهم كما اخبر الخليفة هؤلاء القواد بانه سيرسل كتابا الى والي افريقية والمغرب عبد الله بن موسى اخي عبد العزيزيطلب فيه توجيه اولئك الرجال الذين تحت قيادته الى الاندلس بدعوى حاجة الاندلس لامدادات عسكرية في الصراع الذي يدور على ارضه .

وبافعل توجه هؤلاء القواد الى الاندلس فقام عبد العزيز بن موسى ب نصيؤ بالترحيب بهم واكرامهم وقد عرض عليهم ان يختاروا النواحي والثغور التي يرغبون بها ليوجههم اليها ولكنهم أجابوا بالرغبة في ان يظلوا بإشبيلية نفسها والسبب معروف هو الرغبة في التخلس منه سريعا .

وفكر القواد في الاتال بشخص يطلعونه على ما اتفقوا علية على ان يولوه امر الاندلس اذا ما نجحت خطتهم فأجمعوا على ايوب بن حبيب اللخمي وهو ابن اخت موسى بن نصير وعندما علم اوب بما نواه هؤلاء وافق على عرضهم واخذ يعمل معهم على تنفيذ مؤامرتهم .

وبعرض العوامل السابقة التي ادت الى مقتل عبد العزيز بن موسى نجد ان بعض المؤرخين يستبعدون وضع الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك لخطة تهدف الى قتل عبد العزيز والتخلص منه وترجع تنفيذ الخطة الى هؤلاء القادة وتتفرق الروايات التاريخية ما بين عدم عم الخليفة بما انتهت اليه حياة الوالي عبد اعزيز الا عندما ارسلت راسه الى مقر الخلاف في دمشق ومابيت تدبير هذة الخطة من قبل هؤلاء

القادة وموافقة سليمان عليها بعدما استشوه في تنفيذها فلم يعارضهم ولكن على كل الاحوال فان العلاقات بين سليمان وعبد العزيز كان يسودها التوتر والاستياء نظرا للمعاملة المهينة التي لقيها موسى بن نصير –والد عبد العزيز – من الخليفة الاموي وبعض المظاهر التي استحدثها عبد العزيز والتي كانت احدى العوامل التي اثارت حنق المحيطين عليه .

وتمت مؤامرة مقتلة حيث اذن المؤذن لصلاة الفجر قبل موعدها وخرج عبد العزيز لامامة الناس وما ان بدأ صلاته حتى فاجاة احد المتامرين بضربة سيف وتمكن عبد العزيز من الهرب واختبأ بحديقة لكن زياد بن النابغة احد المتآمري والمخططين لمقتله عرف مكانه واجهز عليه وقطع راسه ،كان هذا في رجب عام ٩٧هـ.

وعندما وصلت راس عبد العزيز الى الخليفة الاموي في دمشق اخذها والده ورحل وتيقن الخليفة من عدم صحة م تهم به عبد العزيز ،فغضب على هءلاء المتآمرين وامرهم بالخروج من حضرته ورفض ان ينظر في شيء من مطالبهم كما كف عن ملاحقة موسى بن نصير بالاموال التي كان يطالبه بها .

وقد بقي الاندلس فترة دون وال ورفض الاندلسيون كتل الخلفة بان يتولى احد من قتلة عبد العزيز ولاية الاندلس حتى اجتمعت الاراء على تولية ايقب بن حبيب اللخمي .

ولاية ايوب بن حبيب اللخمي :

قام الاندلسيون بتولية ايوب وهو على عكس المعروف في ولاة الدولة الاموية التي كانت ترسل مرسوما من مقر الخلافة بتولية احد رجالها او عمالها ولعل ذلك سببه – وهو ما اتفقت عليه كثير من الروايات التاريخية ان الاندلس ظل شهورا بلا والى مما

دعا اهل الاندلس يتولية رجل يعرفونه ،واهم ما تم من اعمال ادارية وتنظيمية في عهد ايوب هو نقل مقر الحكم من اشبيلية الى قرطبة.

الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٨ -١٠٠هـ)

قدم الى الاندلس واليا عليها من قبل والي افريقية محمد بن يزيد واستمرت ولايته سنتان وثمانية اشهر حتى استبدله الخلفة عمر بن عبد العزيز بالسمح بن مالك الخولاني ،من اهم اعماله اقامته للبلاط الذي عرف باسمه بلاط الحر في قرطبة .

السمح بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ):

وصل السمح بن مالك الخولاني الى الاندلس في رمضان عام ١٠٠هوقد عينه الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)وكانت امانته سببا في ذلك [١]

وقد قام السمح بن مالك بعدة اعمال ادارية وعسكرية ببلاد لاندلس اثناء فترة توليه فمن اهم اعماله الادارية التنظيمية التي افادت الاندلس هو تخميس او مسح الاراضي الاندلسية بناء على امر الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ،وك١ك بناء القنطرة على نهر الوادي الكبير بقرطبة ومن اعمالعه العسكري حملاته العسكرية نحو الشمال ،فبالنسبة لتخميس الاراضي الاندلسي فقد قام السمح بتمييز الارض التي فتحت عنوة عن تلك التي فتحت صلحا ،وقد اعتبر التخميس اول اساس تنظيمي اداري مهم ساعد فيما بعد على استقرار العرب في الاندلس .

وفيما يخص الاعمال العسكرية يذكر المؤرخون انه واصل حركة الجهاد شمال الاندلس واستشهد في ارض الفرنجة عام ١٠٢هـ حيث يذكر ابن عذاري انه قتل بطرسونة ويذكر ابن خلدون انه غادر فقرطبة على را سجيش كبير نحو الشمال فوصل جبال البرنييه واجتازها الى بلاد الفرنجة ووصل الى اربونة ثم تابع سيره الى

بلاد الغال (فرنسا حاليا) حتى وصل الى مقاطعة اكيتانياوقد غنم الجيش الاسلامي غنائما كثيرة من اكيتانيا واستمروا في السير حتى وصلوا الى تولوز غير ان دوق اكيتانيا (الدوق اودو) قد واجه هذا الجيش بجيش كبير من الجرمان والفرنجة انهزم فيها المسلمون رغم انتصاراتهم في بداية المعركة واستشهد لسمح في ٩ ذي الحجة ١٠٢هـ /١٠ يونية ٧٢١م ففضل الجيش العودة الى اربونة لتنظيم الصفوف من جديد وعادوا مع قائدهم الجديد عبد الرحمن الغافقي الذي تولى أر الاندلس بعد مقتل السمح .

* ولاية السمح بن مالك الخولاني :

وصل السمح بن مالك إلى الأندلس في رمضان عام ١٠٠ هـ / ٧١٩م وقد عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز مباشرة في ذلك المنصب وكانت أمانته سببا في تعيين الخليفة له وظروف توليته لهذا المنصب كما ترويها المصادر التاريخية تقول أن جبايات الأمصار كانت تأتي إلى الخلفاء مع عشرة رجال من وجوه الناس وقوادهم فلا تدخل هذه الجبايات بيت المال إلا بعد أن يقسم هؤلاء الرجال على أن هذه الأموال قد أخذت بالحق وأن توزيع الأموال قد تم بالعدل والحق قبل أن تجبي هذه الأموال وتحول إلى بيت المال وقد حدث أن أتى وفد أفريقية على الخليفة عمر بن عبد العزيز بخراج إفريقية فأمره بحلف اليمين فأجاب ثمانية منهم وامتنع إثنان هما إسماعيل بن عبد الله والسمح بن مالك الخولاني فأعجب عمر بن عبد العزيز من حرصها وأمانتها وقربهما إليه وبعد فترة اختبار لهما أمر بتعيينهما الأول على إفريقية والثاني على الأندلس مكافأة لهما

وقد قام السمح بن مالك الخولاني بعدة أعمال داخلية وعسكرية ببلاد الأندلس أثناء فترة ولايته فمن أعماله الداخلية : تخميس أراضي الأندلس ، وبناء القنطرة على نهر الوادي الكبير بقرطبة ومن أعماله العسكرية حملاته العسكرية نحو الشمال .

فبالنسبة لتخميس أراضي الأندلس فيرجع تنظيمها إلى بدايات دخول السمح بلاد الأندلس حيث دخل معه جيش من العرب الذين أرادوا النزول مع الأولين ومشاركتهم رباعهم وأموالهم فذهب مجموعة منهم إلى عمر بن عبد العزيز وأخبروه بما فعله موسى بن نصير عندما قسم الأرض بعد إخراج الخمس وموافقة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بنفسه فأقرهم عمر بن عبد العزيز على ما أقرهم عليه الوليد بن عبد الملك وكتب إلى السمح بن مالك بإقراره لهؤلاء على ذلك وكتب إليه بإعطاء الجند الذين دخلوا معه من الأخماس .

وعليه قام السمح بن مالك بتمييز أرض العنوة عن أرض الصلح ليكون التخميس صحيحا ودقيقاً وحتى يتمكن من تحديد حصة الدولة بالدقة من كلا النوعين وقد قام بتخميس قرطبة وما حولها كما أرسل البعوث لتخميس بقية الأراضي التي كانت بحاجة إلى ذلك وأخرجت البطحاء المعروفة بالريض بجنوبي قرطبة في الخمس فأمر الخليفة عمر أن تتخذ مقبرة للمسلمين فلما أكمل السمح ما طلب منه الخليفة من حيث التخميس أخبره بما فعله في أرض العنوة وأرض الشمل وهي الأرض التي فتحت صلحا وصولح أهلها على الجزية مع أجزاء من الأرض منها مثالثة ومنها مرابعة بحسب جودة الأرض وما تأتى به من نحلة كما فعل رسول الله في خيبر وقد اعتبر التخميس على يد السمح بن مالك أول أساس تنظيمي إدارى هام ساعد فيما بعد على استقرار العرب في الأندلس ساعد في ذلك ما منحه الخليفة الأموى للسمح من استقلال تام عن والى إفريقية حيث تبعه في الرئاسة مباشرة مما أعطى الفرصة للسمح بأن يعمل بحرية تامة جعلته أول وال مستقل عمليا ورسمياً إضافة إلى أنه كان أول منظم لشئون الإدارة والملكية بالأندلس .

يلي ذلك التنظيم بناء السمح بن مالك للقنطرة الواقعة على نهر الوادي الكبير في قرطبة وقد استعان في بنائها من حجارة السور القديم المحيط بقرطبة نظرا لبعد المدينة عن مناطق الحجارة

ونص ابن عذاري يصف بناء هذه القنطرة فيقول : «وكان المسلمون إذ فتحوا قرطبة وجدوا بها أثار قنطرة فوق نهرها على حنايا وثاق الأركان من تأسيس الأمم الدائرة قد هدمها مدود النهر على من الأزمان فتقدم إلى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز عندما اتصل بها خبرها فأمر السمح بابتنائها فصنعت على أتم وأعظم ما بني عليه جسر من حجارة سور المدينة.

وفيما يخص الأعمال العسكرية يذكر المؤرخون في عجالة ما كان للسمح بن مالك من غزوات فيذكر ابن بشكوال أنه استشهد بأرض الفرنجة عام ١٠٢ هـ في حين يذكر ابن عذارى أنه قتل بطرسونه ويشارك في هذه الإشارات المتعجلة ابن خلدون على أن السمح غادر قرطبة على رأس جيش كبير نحو الشمال فوصل جبال البيرنيه واجتازها إلى بلاد الفرنجة التي كان العرب يسمونها «الأرض الكبيرة، ووصل إلى أربونة حيث قام هناك بتنظيم جيشه والتزود بما يلزم من المؤن وغيرها ثم تابع سيرة مخترقا بلاد الغال (فرنسا الحالية) حتى وصل إلى مقاطعة اكيتانيا التي كانت تحت إمرة الدوق أودو Eudes التي استقل بإمارة هذه المقاطعة بعدما دب الضعف في الأسرة الميروفنحية التي كانت فحكم فرنسا في ذلك الوقت وقد غنم المسلمون الكثير من الغنائم عند وصولهم إلى اكيتانيا واستمروا في السير نحو عاصمتها تولوز Toulouse لاحتلالها غير أن الدوق أودو الذي قاد جيشا كبيرا من الجرمان والفرنجة قد دخلوا في معركة مع العرب كان النصر منها في الجانب الإسلامي في أول الأمر ثم تحول إلى الجانب المسيحي وقتل السمح في ٤ ذي الحجة ١٠٢ هـ / ١٠ يونية ٧٢١م ففضل الجيش الإسلامي العودة إلى أربونة لتنظيم صفوفهم من

جديد ورجعوا تحت قيادة عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي التي تولى أمر الأندلس بعد مقتل السمح .

* ولاية عبد الرحمن الغافقي : (الولاية الأولى)

بعد أن نجح عبد الرحمن الغافقي في قيادة الجيش الإسلامي بسلام في طريق العودة أقره أهل الأندلس واليا عليهم حتى لا يضيع الوقت في انتظار من يخلف السمح ابن مالك خاصة وأن السمح قد ولي من قبل الخليفة مباشرة وانتظار من يوليه الخليفة على الأندلس سوف يأخذ وقتا طويلا والأندلس في مصادمتها في تلك الفترة في غنى عن الاضطراب الذي سوف ينتج من انتظار هذا الوالي وعبد الرحمن الغافقي كان من أحدى الشخصيات التي اتصل بهان مدبروا مقتل عبد العزيز بن موسى غير أنه رفض الانضمام إليهم ونصحهم بالعدول من هذه الخطة .

والولاية الأولى لعبد الرحمن لم تستغرق الشهرين وهي فترة لم تتح له القيام بأية أعمال إدارية أو عسكرية تذكر

وفي الوقت الذي توفي فيه السمح بن مالك توفى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز وتولى بعده الخليفة يزيد بن عبد الملك فقام الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك بعزل أبي المهاجر إسماعيل بن عبد الله عن ولاية افريقية وعين مكانه يزيد بن أبي مسلم وأطلق يده في ولاية الأندلس .

وسار يزيد إلى إفريقية يصحبه عبد الله بن موسى بن نصير الذي كان وقتها بالمشرق وحينما وصلا إلى أفريقية طلب يزيد بن أبي مسلم بن عبد الله بن موسى أن ينصرف إلى منزله وألحقه بإحدى رسله حيث طالبه بدفع عطاء الجند من ماله الخاص عن خمس سنوات مضت وما أجاب عبد الله بأنه لا يمتلك ما يكفي من

الأموال لذلك اضطهده يزيد بن أبي مسلم وأخذ أموال عبد الله من البربر فوشم أيديهم وجعلهم أخماساً وأحصى أموالهم وأولادهم وجعل منهم حراسه وبطانته .

وكان أول ما فعله يزيد بن أبي مسلم بعد وصوله إلى افريقية هو تعيين وال جديد

للأندلس هو عنبسة بن سحيم الكلبي وما لبث يزيد بن أبي مسلم أن قتل بالسم فقام الخليفة بتعيين بشر بن صفوان الكلبي واليا على إفريقية مكان يزيد بن أبي مسلم فأقر الوالي الجديد بولاية عنبسة بن سحيم على الأندلس

وكان مصير عبد الله بن موسى القتل لاعتقاد الناس بعلاقته بمقتل يزيد وقتل عبد الله في اليوم الذي أتي من الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك عفوا عنه فقد عجل قتلته بذلك وهو خالد بن أبي حبيب ومحمد بن أبي صفوان رغم محاولة بشر بن صفوان بالتأخير في قتله وكان لتدخل أخت عبد الله – ابنه موسى بن نصير – دور كبير في التعجيل بإحضار عفو الخليفة عن عبد الله حيث كانت متزوجة من صاحب خاتم يزيد والذي نجح في الحصول على موافقة الخليفة بالعفو عنه وأرسلت أخت عبد الله رسولاً وعدته بمكافأة ثلاثة آلاف دينار إلى إفريقية إن هو نجح في الوصول في الوقت المناسب ولكن بشر كما سبق الذكر لم يتريث نظراً لالحاح المحيطين به بالتخلص من عبد الله فوصل الرسول متأخرا في نفس الوقت اليوم الذي تم فيه قتله .

* ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي :

كان وصول عنبسة بن سحيم إلى الأندلس في عام١٠٢هـ / ٧٣١م أو بعدها بقليل وقد عرف عن هذا الوالي تصميمه على الجهاد والغزو والتوسع في شمال البلاد أي في المناطق المتاخمة لبلاد الفرنجة وفي بلاد الفرنجة نفسها فقد ذكرت المصادر أن عنبسة توجه على رأس قوة عسكرية إلى منطقة جليقية في الشمال الغربي من شبه

الجزيرة وقام بتوطيد سلطة الدولة في تلك الأنحاء وقضى على مظاهر المقاومة ولكن بعض الأهالي اجتمعوا حول زعيم من زعمائهم يدعى بلاي أو بلايو وهو ابن أحد النبلاء القوطيين ويدعى Fafila ورفضوا أن يلقوا أسلحتهم ولجأوا إلى غار في الجبال يصعب تسلقه فاعتصموا فيه فترة من الزمن والقوات العربية تحاصرهم في هذه المغارة التي عرفت فيما بعد باسم مغارة شنتمرية Santa Maria وكان عددهم يناهز الثلاثمائة فلم يزل العرب حسبما يروى صاحب أخبار مجموعة – يقاتلون بلاي وأعوانه حتى مات أصحابه جوعا وأخذت أعدادهم في النقصان إلى أن وصل عددهم ثلاثين رجلا لذا استهان بهم المسلمون وتركوهم لشأنهم .

ويعتبر هذا ما وصل إليه ابنه عنيسة من غزوات في المقاطعات الشمالية للأندلس أما من حيث غزواته في بلاد الفرنجة فقد اتبع عنيسة نفس خط السير تقريباً الذي اتبعه قبله السمح في الوصول إلى أربونه وقام بفرض الحصار على مدينة قرقشونة Carcasonne الواقعة على نهر الأود وتمكن بعد معارك عنيفة وطويلة أن يستولي على المدينة فدخلها واستراح فيها بعض الوقت ثم ترك فيها حامية من الجند العرب وتابع طريقة متوغلاً نحو شمال البلاد ففتح مدينة نيمش Nimes دون مقاومة وقام باستلام بعض الأهالي كرهائن منها ضمانا لبقائهم على طاعة المسلمين وتم نقلهم إلى مدينة برشلونة .

ومن مدينة نيش تابع عنيسة سيرة حتى وصل إلى نهر ردونه (الرون) فسار بمحاذاته دون أن يلقى أية مقاومة إلى أن وصل نهر «السون» وتمكن من التوغل في منطقة بورجونيه Baurgogne والاستيلاء على مدينة أوتون Autin التي غنم الجند العرب كل ما فيها وذلك في أواخر ١٠٦هـ / ٧٢٥م . ولم تقف الجيوش الإسلامية عند ذلك الحد بل تابعت سيرها إلى هذه المنطقة بجيوشه إلى قرطبة ويبدو

أنه استشهد في بعض المصادمات في طريق العودة وذلك في شهر شعبان عام ١٠٧هـ / ٧٢٦م فكانت مدة ولايته أربع سنوات وثمانية أشهر .

وتوالى الولاة على الأندلس فكان من أهمهم :

(١) عذرة بن عبد الله الفهري وهو الذي استولى على طليطلة وكان من صلحاء وفرسان الجيش الإسلامي

(٢) يحيى بن سلمة الكلى : قدم إلى الأندلس في شوال ١٠٧هـ / ٧٢٦م وأقام في ولايته

مدة سنتين وستة أشهر

(٢) حذيفة بن الأحوص القيسي ولاء على الأندلس عبيدة بن عبد الرحمن السلمي عامل إفريقية من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك في عام ١١٠هـ / ٧٢٨م فكانت ولايته أقل من سنة (ستة أشهر) .

(٤) عثمان بن أبي مسعة الخثعمي) قدم إلى الأندلس في ١١٠هـ / ٧٢٨م ودامت ولايته خمسة أشهر أو سنة ثم عزل بعدها وانصرف إلى القيروان حيث عاش وتوفى بها

(٥) الهيثم بن عبيد الكلابي : قدم الأندلس في بدايات عام ١١١هـ / ٧٢٩م وكانت ولايته حوالي عشرة أشهر ثم يليه محمد بن عبد الله الأشجعي الذي قدمه أهل الأندلس على أنفسهم ولم تطل فترة ولايته أكثر من شهرين ثم ما لبث أن عين والى إفريقية عبيد الله بن الحبحاب مكانه عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فتولى مقاليد الأمور في عام ١١٣هـ / ٧٣١ .

* ولاية عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى الثانية :

ارتبط اسم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي بموقعة من أهم المعارك والمواقع التي دخلها المسلمون على أرض الأندلس والتي انتهت بنتائج شكلت مظهر الغزوات الإسلامية

فيما بعد ولو لوقت قصير وهذه المعركة هي معركة بلاط الشهداء أو معركة توروبواتييه والتي

وقعت ما بين عامي ١١٤هـ ، ١١٥هـ . فعلى الجانب المسيحي اعتبرت هذه المعركة ذات أهمية حاسمة في تاريخ العلاقات العسكرية بين الشرق والغرب فأضفت على قائد الجانب المسيحي وهو شارل مارتل هالة من البطولة والمجد واعتبرته منقذ أوربا من غزو المسلمين

وعلى الجانب الإسلامي كانت النتيجة التي انتهت بها هذه المعركة وهي الهزيمة الفادحة للمسلمين هي وقف التوسع الإسلامي نحو الشمال الأوربي وبدء انحسار التقدم العربي نحو الشمال وجعلته مقتصرا على الأندلس والمناطق الجنوبية من بلاد الفرنجة والتي استطاع العرب أن يحافظوا عليها بضعة عشرات من السنين بعد معركة بلاط الشهداء واضطروا للتخلى عنها بعد ذلك .

فلنبدأ تفاصيل هذه المعركة عندما قام منوزا وهو أحد الحكام الذين عاهدوا العرب على أن يتولى إدارة المناطق الشمالية المتاخمة لبلاد الفرنجة لحساب العرب وأن يظل خاضعاً لسلطتهم ولكنه سرعان ما خرج على سلطة العرب وأعلن الثورة وتزوج من ابنة دوق اكيتانيا أحد الأمراء الفرنجة المعادين للعرب ومن ثم أرسل عبد الرحمن الغافقي حملة لمقاتلته تمكنت من القضاء عليه وعلى جيشه بعد مقاومة شديدة ومطاردة طويلة فقتل نفسه وأسرت زوجته ابنه دوق اكتيانيا وأرسلت إلى دمشق وقام

الخليفة هشام بن عبد الملك بتزويجها من إحدى الشخصيات العربية المقربة إليه . منوزا مدافعا

وقد أجمعت الروايات التاريخية على أن عبد الرحمن الغافقي قد قام باستعدادات عظيمة في غزوته نحو بلاد الفرنجة وقدر جيشه باختلاف هذه الروايات ما بين أربعمائة ألف وبين ومائة ألف وقد تمت هذه الاستعدادات العسكرية في مدينة بنبلونة Pannplone لقربها من حدود بلاد الفرنجة وتم الانتهاء من هذه الاستعدادات في عام ١١٤هـ / ٧٣٢م وسار نحو الشمال مخترقا ممر رونسفال Roncesvalles باتجاه مدينة بوردو Bordeaux

هنا حاول أودو دوق اكيتانيا اعتراض زحفهم والتصدي لهم فالتقى الفريقان على نهر الدردون وهزم الدوق ومن معه وقتل من جيشه أعداد كبيرة وقام عبد الرحمن الغافقي بمطاردة جيش الدوق حتى عاصمته بوردو واستولى عليها بعد حصار قصير وفر الدوق في عدد من أصحابه نحو الشمال وسقطت مقاطعة أكيتانيا كلها بين الجيوش العربية وتابعت هذه الجيوش بعد ذلك زحفها نحو الشمال مجتاحة كل ما هو أمامها حتى أمتلأت أيدى الجند بالثروات والمغائم من كل الحصون التي افتتحوها والقصور التي دخلوها والأديرة التي كانت تصادفهم في طريقهم إلى أن وصلوا إلى مدينة بواتييه Poitiers فاحتلوها واتجهوا إلى مدينة أخرى قريبة منها هي مدينة تور Tour التي كانت تعتبر من أهم مدن بلاد الفرنجة وكانت تتمتع بمركز ديني خاص لأنها كانت تضم رفات القديس مارتين San Martin .

أما الدوق «أودو» الذي فر بعد هزيمته مع عدد من جنده فلم يجد مفرا من الاستنجاد بعد ذلك بخصمه شارل مارتل Charles Martel (المعروف أن شارل لم يلقب بمارتل وهي تعنى المطرقة إلا بعد هزيمة المسلمين في معركة بواتييه وذلك لما أظهره من شجاعة وبسالة فيها) وكان يشغل محافظ البلاد للأسرة الميروفنجية

الحاكمة في بلاد الفرنجة موضحاً له مدى الخطر التي تتعرض له البلاد بأسرها إذا هو لم يقبل نجدته والتصدي للجيوش الإسلامية .

فما كان من شارل إلا أن حشد كل ما استطاع من الإمكانات البشرية والمادية للتصدى للمسلمين فجمع في جيشه بين قبائل الفرنجة والقبائل الجرمانية التي تسكن فيما وراء الراين وهي قبائل بربرية كذلك ضم إلى جيشه جموع كبيرة من الجنود المرتزقة واتجه بهذا الجيش نحو مدينة تور ،وكانت طلائع الجيوش الإسلامية قد وصلت إلى ضفاف نهر اللوار وقام بتخريب

جزء من مدينة تور وحدث الصدام الأول بين الجيشين على ضفاف نهر اللوار فلم يسفر عن أية نتيجة ورأى عبد الرحمن الغافقي أن يرتد نحو الجنوب وتحديداً في السهل الممتل بين «تور وبواتييه» لينظم صفوفه هناك وبعد عدته للقاء العدو مرة أخرى

ولا يخفى أن الجيش الإسلامي بوصوله إلى منطقة نهر اللوار كان يؤكد على أن الجند قد انهكم السير الطويل ابتداء بالخروج من قرطبة علاوة على نقصان عدده بسبب ترك عبد الرحمن الغافقي لبعض الحاميات مضطرا في المدن المفتوحة كما أن الجنود الذين وصلوا إلى منطقة اللوار كانت أيديهم قد امتلأت بالغنائم والثروات فحملوها معهم ولم يقبلوا التخلي عنها أبدا وقد كان هذا العامل الأخير سببا في هزيمة المسلمين فعلى الرغم من محاولة عبد الرحمن المتكررة لجنوده لترك هذه الغنائم حتى لا تعوق سيرهم إلا أنهم رفضوا ذلك .

وقد بدأت المعركة الحاسمة في سهل تور أو بواتييه في شهر شعبان ١١٤هـ / أكتوبر ٧٣٢م واستمر الصدام حوالي سبعة أو ثمانية أيام أحدث الفرنجة ثغرة في صفوف الجيش العربي واقتربوا من معسكر الغنائم فارتدت قوة كبيرة من الفرسان

العرب من قلب المعركة إلى الوراء لحماية الغنائم فدب الخلل بين صفوف الجيش الإسلامي وقتل الكثير منهم بما فيهم قائد الجيش عبد الرحمن الغافقي ومع ذلك ظل الجند العرب على صمودهم ودفاعهم حتى خيم الليل فافترق الجيشان وانسحب كل منهما إلى معسكره استعدادا للقتال في اليوم التالي .

وفي خلال الليل تشاور القادة العرب فيما بينهم ورأوا أن الانسحاب أفضل من تنظيم الصفوف لاستئناف القتال في اليوم التالي ، فقرروا الانسحاب تحت جنح الظلام دون أن يأخذوا معهم معسكراتهم حتى لا يحدثوا جلبة تسترعي انتباه العدو وباتجاه مقاطعة سبتمانيا في الجنوب .

وفي صباح اليوم التالي استعد الفرنجة للقتال وانتظروا خروج العرب من معسكراتهم التي كانت لا تزال قائمة أمامهم فلما اكتشفوا حقيقة انسحابهم اعتبروه نصرا عليهم

ومن حيث نتائج المعركة فعلى الرغم من أن بعض المؤرخين قد اعتبرها فاصلاً بالنسبة لتقدم العرب في القارة الأوربية فإن البعض الآخر لم يعطيها أهمية كبيرة من الناحية العسكرية لأن العرب لم يتوقفوا عند هذه المعركة ولكنهم أغاروا بعد مضى سنتين على معركة بلاط الشهداء أي من عام ١١٦هـ / ٧٣٤م فوصلوا من جديد إلى أفينيون كما تمكنوا بعد مضى تسع سنوات من الوصول إلى مدينة ليون والاستيلاء على كل ما فيها وكذلك احتلال ناريونة التي ظلت قاعدة استيراتيجية لعملياتهم العسكرية حتى عام ١٤٢هـ /٧٥٩م .

ومهما يكن شأن معركة بلاد الشهداء وأهميتها في التاريخ السياسي للطرفين الإسلامي والمسيحي فقد توغلت الجيوش الإسلامية أكثر من ألف ميل شمال جبل طارق ونجح المسلمون في المحافظة على ممتلكاتهم في جنوبي بلاد الفرنجة وعليه

لم تكن نتائج المعركة أو وقعها على غزوات المسلمين بهذا السوء الذي وصفه كثير من المؤرخين وخاصة المحدثين منهم من أمثال جوستاف لوبون.

* ولاية عبد الملك بن قطن الفهري : (الولاية الأولى)

تسلم عبد الملك بن قطن شئون الأندلس في رمضان من عام ١١٤هـ / أكتوبر ٧٣٢م ويؤكد المؤرخون ومنهم ابن عذاري أن والى افريقية عبيدة بن عبد الرحمن قد عزل عبد الرحمن الغافقي وولى عبد الملك بدلاً منه وأنه عندما دخل الأندلس وجد عبد الرحمن قد استشهد . ويبدو من الروايات التاريخية أن عبد الملك كان جائرا وظالما في حكمه أما فيما يخص أعماله العسكرية فيروى المقرى أنه غزا أرض البشكنس في عام ١١٥هـ وعليه كانت فترة ولايته الأولى على الأندلس ممتدة لعامين فقط ، وقد عزله والى إفريقية الله بن الحبحاب الذي تولي ولاية إفريقية في عام ١١٥هـ / ٧٣٣م من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك . فقام بتولية عقبة بن الحجاج السلوى على الأندلس .

* ولاية عقبة بن الحجاج السلولى :

كان عقبة بن الحجاج تو سيرة حسنة خلال مدة ولايته التي استمرت خمس سنوات وكان شديد النكاية بالأعداء ، وكان له طريقة في الدعوة إلى الإسلام حيث إذا أما أسر الأسير لم يقتله وعرض عليه الاسلام ويقبح له عبادة الأصنام وهذه الطريقة قد جعلت أكثر من ألف رجل يدخلوا في دين الإسلام على يديه .

وقد أجمع المؤرخون على أنه كان مجاهدا مظفرا فتح مدن : ناربونة وجليقية وبنبلونة.

ومن أهم الأعمال العسكرية في عهد عقبة بن الحجاج هو ما قام به يوسف ابن عبد الرحمن الفهري حاكم مدينة أربونة بهجوم على المناطق الوسطى من فرنسا وتحديدا

منطقة نهر الرون وذلك بعد عامين فقط من حدوث معركة بواتييه في عام ١١٦هـ / ٧٣٤م فقد اجتاز يوسف بن عبد الرحمن نهر الرون وتمكن من الاستيلاء على مدينة أرل Arles ثم تمكن بعدها من إخضاع مدينة سان ريمى Saint – Remy في مقاطعة بروفانس ومرتفعات أفينيون Avignon واستمر بعد ذلك في سيره نحو الشمال عبر وادي الدورانس Durance.

وعندها قرر شارل مارتل أن يعترض الجيوش الإسلامية فدخل في معركة إلا أنه لم يتمكن من استرجاع مدينة ناربونة التي ظلت عربية حتى عام ١٣٣هـ / ٧٥١م وقد توفى عقبة في إحدى الغزوات في مدينة قرمونة Carmona وذلك في عام ١٢١هـ / ٧٣٩م .

* ولاية عبد الملك بن قطن الثانية :

تتميز فترة ولاية عبد الملك بن قطن الثانية وكذلك فترات الولايات التالية عليه بارتباط أحداثها بما يمت على أرض المغرب وذلك نظرا لا يعرف عن مدى ارتباط العمودي المغربية والعالمية بعضهما البعض فمن الطبيعي أن ينكر الأندلس بما يسع على أرض المغرب وسقى بعل واضحة على سير الأحداث فيه

قد كان المغرب بيد عبد الله بن الحبحاب الذي ولى عمر بن عبد الله المرادي على طنجة وما يتبعها من المغرب الأقصى وقام عمر بمعاملة البربر معاملة سيئة وخاصة فيما يتعلق بالأمور المالية حيث قام بتخميس البربر وزعم أنهم فييء للمسلمين وهو ما لم يقم به عامل على المغرب قبله وإنما كان الولاة يخمسون من لم يدخل الإسلام.

لذا قام البربر بالثورة على حكام إفريقية واستغلوا فرصة خروج معظم الجيش لغزو جزيرة صقلية وقد كان معظم القائمين بتلك الثورة يدينون بمذهب الخوارج بعضهم

على المذهب الخارجي الصفرى وبعضهم على المذهب الخارجي الإباضي وقد تزعمهم رجل منهم يدعى ميسرة المدغري ويلقبه ابن عذارى بالحقير .

وقد انضم إلى ميسرة أعداداً كثيفة من البرير وقاد الثورة ضد عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فدارت بين الطرفين معركة أسفرت عن انتصار ميسرة وجماعته ومقتل المرادي ودخل ميسرة وجماعته إلى طنجة فقتلوا الكثير من أهلها .

واستطاع ميسرة دخول منطقة السوس وقتل واليها وبذلك تمت له السيطرة على المغرب

من طنجة إلى السوس وتلقب بالخلافة وطلب من أتباعه أن يخاطبوه بأمير المؤمنين .

وكرد فعل من الوالي على إفريقية ابن الحبحاب قام بتجهيز جيش من عسكر إفريقية وأشرافهم ووجوههم واستدعى الجيش الموجود لغزو صقلية وجعل عليه خالد بن حبيب النهرى واتجه إلى طنجة .

والتقى الفريقان في منطقة وادي شلف وشعر ميسرة بالهزيمة فقرر الانسحاب إلى طنجة مما أثار حفيظة تابعيه الذين انقلبوا عليه وقتلوه وولوا بدلاً عنه خالد بن حميد الزناتي

والتقى الفريقان من جديد بزعامة القائد البربري خالد بن حميد الذي قام بحيلة عسكرية حيث قام بتطويق الجيش العربي من الخلف وانتهت هذه المعركة بهزيمة مفجعة للجيش العربي راح فيها أشراف العرب ووجوههم وقد سميت هذه المعركة أو الغزوة بغزوة الأشراف .

واحتلت الأمور على أثر ذلك على والى إفريقية عبيد الله بن الحبحاب فاجتمع الناس وعزلوه وبلغ ذلك الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك فقال : «والله لأغضين غضبة عربية ولأبعثن جيشاً أوله عندهم وآخره عندي ثم لا أتركن حصن بربري إلا وجعلت على جانبه خيمة قيسي أو يمنى .

ثم كتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالقدوم إليه فخرج متوجها إلى دمشق في عام ١٢٣هـ / ٧٤١م . وقد استغل عبد الملك بن قطن الفهري الفرصة في الأندلس فقام بعزل واليها عقبة بن الحجاج وأخذ مكانه متوليا الأندلس للمرة الثانية .

وفي تلك الأثناء قام الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك بإرسال كلثوم بن عياض القشيري إلى إفريقية بدلاً من ابن الحبحاب وقد أرسل معه جيشا كبيراً لأعادة الهدوء في إفريقية والقضاء على ثورة البربر وقائدهم خالد بن حميد الزناتي وكان قوام هذا الجيش لا يقل عن ثلاثين ألف منهم عشرة ألاف من صلب بني أمية وعشرين ألفا من العرب.

وقد جعلت القيادة في الجيش لكلثوم بن عياض على أن يليه في حالة قتله ابن أخيه بلج بن بشر القشيري على أن يليه ثعلبه بن سلامة العاملي وهؤلاء سوف نجدهم يتولون الأندلس فيما بعد .

واستطاع البربر أن يهزموا كلثوم بن عياض في حين انسحب القسم الثاني من الجيش العربي والذي تزعمه بلج بن بشر حتى دخل مدينة سبتة ومعه ثلث الجيش وقد قتل الثلث وأسير الثلث في معارك كلثوم مع البربر وقد فشل البربر أكثر من مرة – خمس أو ست مرات – في إيقاع الهزيمة بجيش بلح بن بشر فلجأوا إلى حيله إفساد وإتلاف كل شيء حول المدينة وبذلك تمنع الأقوات والإمدادات عن الجيش الموجود في مدينة سبتة

وانقطعت المؤن فعلاً عن المدينة ولم يعد بلج وأصحابه يجدون ما يقتاتون بهه حتى أكلوا دوابهم وأكلوا الكلاب وطبخوا الجلود وصاروا ينتظرون ظهور الأعشاب ليأكلوها وساءت حالتهم وهداهم تفكيرهم إلى طلب النجدة من إخوانهم بالأندلس وتحديدا من عبد الملك بن قطن الفهري حيث طلبوا فيه إرسال السفن لتأخذهم إلى العدوة الأندلسية .

لكن المقربين إليه نصحوه بعدم إجابة العرب في سبتة خوفا في أن ينقلبوا عليه إن هم وصلوا إلى الأندلس و الفعل ماطل عبد الملك في إرسال السفن أو إرسال معونات غذائية وعندما قام أحد القواد عنده وهو زياد بن عمرو اللخمي بإرسال سفينتين محملتين بالغذاء بالمغرب عاقبه بالجلد والقتل .

وعندما وصلت الأخبار إلى برير الأندلس تقيد بانتصار بربر أفريقية على العرب قاموا بثورة جامحه على عرب الأندلس وخاصة هؤلاء العرب الذين سكنوا معهم في المناطقة الشمالية من الأندلس وبالفعل بدأت الحرب بين العرب والبربر استطاع البربر أن يطردوا العرب من المناطق التي كانوا يعيشون فيها ومنها منا لمق جليقية واسترقة Astorga .

ووضع عبد الملك بين قطن في نفس الموقف الذي فيه بلج بن بشر حيث طلب منه النجدة ووافق بعد مماطلة وهذه الموافقة أقرتها ظروف الأندلس الذي يعاني من ثورة البربر ولكنه اشترط على بلج أن تكون إقامته بالأندلس لمدة عام فقط وأن يأخذ من جيشه رهائن يضعهم في الجزيرة الخضراء وحين الانتهاء من الحرب يعيدهم إلى إفريقية ولم يكن أمام بلج وقواده إلا الموافقة على هذه الشروط . عندما وصل بلج وأصحابه إلى الأندلس أخذ عبد الملك بن قطن الرهائن منهم وعاملهم بعد ذلك معاملة حسنة كما أحسن إليهم عرب الأندلس والمساعدات

أنقذتهم من الجهد والجوع الذين عانوا من إقامتهم والتقى الجيش العربي أمام البرير الذين اجتمعوا بشلونة وحشدوا جموعهم جليقية واسترقة وماردة وقورية وطلبيرة وأقيلوا في أعداد تحصى حتى جازوا تاجه Tajo عند طليطلة الجمعان بوادي سليط من أحواز طليطلة واقتتلوا شديدا تم النصر على البرير وذلك بفضل الطالعة واستيسالها ورجع العربي إلى وعندما تم لعبد الملك بن قطن ما أراد أراد أن يفي وأصحابه بالشروط يعودوا إلى إفريقية غير أنهم رفضوا ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوا عبد الملك من بقرطبة وبايعوا ليلج بن بشر فذهب ابن قطن إلى داره التي تعرف بدار وقد طلب جند بلج بن بالانتقام من عبد الملك بن قطن لما بالرهائن الجزيرة الخضراء حيث صاحبها بإساءة معاملة الرهائن ولأن يلج وعبد الملك العرب الحضرية فقد استاء هؤلاء الجند بمحاولة بلج من الانتظار الحقيقة أنهم القبائل اليمنية ولا يخفى العداء ما بين واليمنية وخاصة في الخلافة الأموية وخوفا من فساد الجند وتفرق إنصاع بلج بن بشر لرغبة جنده فأخرجوا عبد الملك بن قطن إلى القنطرة بقرطبة وصلبوه عن الطريق وصلبوا عن يمينه وصليوا عن يساره كلباً فأقام على ذلك يوما أو أكثر وعندما الخليفة هشام بن عبد الملك بعقتل كلثوم بن عياض رأى أن يعطى المغرب لحنظلة صفوان الكلبي وهو مصر ابتداء من ١١٩هـ / ٧٣٧فأصبح حنظلة والياً مصر والمغرب وقد حنظلة في ثلاثين ألف رجل فوصل القيروان في ١٢٤هـ / ٧٤٢م ثم أمده هشام فيما بعشرين فأصبح عدد خمسين ألفا عدا من انضم إليه من أهل إفريقية وكانت الفتن انتشرت في كل مكان إفريقية والمغرب بعد مقتل وظهرت شورمان جديدتان يمكن اعتبارهما تابعتين لثورة ميسرة الدموي وخالد بن حميد الزناتي كان يرأس احداهما عكاشة بن أيوب الفزاري المعروف بعكاشة الصفرى ويرأس الأخرى عبد الواحد بن يزيد الهواري والإثنان من الخوارج وبعد معارك طويلة بمنطقة إفريقية والمغرب الأوسط استطاع حنظلة بن صفوان أن يهزم البرير وأن يقضى على هاتين الثورتين ويذكر المؤرخون أن عدد من قتل في تلك المعارك من البرير كان

مائة وثمانين ألفا وكلهم من الخوارج الصفرية ومن أهم تلك المعارك التي تمت بين العرب والبربر في هذه الأثناء معركتي القرن والأصنام وفي الأولى قتل عكاشة بن أيوب وهزمه تابعيه وفي الثانية قتل عبد الواحد وهزم أصحابه

* ولاية بلج بن بشر : (دخل الاندلس ١٢٣ هـ) :

بعد مقتل عبد الملك بن قطن حشد ابناء أمية وقطن كل ما استطاعا من البربر الناقمين على بلج وأصحابه حتى انضم إليهما أعداد كبيرة كما انضم إليهما عبد الرحمن ابن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند في جيش بلج والذي استاء مما فعله بلج مع عبد الملك فانضم إلى ابنى عبد الملك وأقبلت هذه القوات نحو قرطبة في جيش قوامه المائة ألف ولم يستطع بلج جمع سوى اثنى عشر ألفا والتقى الفريقان بخارج قرطبة وأظهر جند الطالعة البلجية استبسالا وانتهت المعركة لصالحه ويذكر أن عدد القتلى في تلك المعركة بلغ في الجانب الفهري إحدى عشر ألفا وفي الجانب البلجي حوالي الألف وعاد بلج ومن معه إلى قرطبة ومات متأثرا بجراحه في عام ١٢٤هـ / ٧٤٢م فكانت مدة ولايته اثنى عشر شهرا

* ولاية ثعلبة بن سلامة العاملى :

تولى ثعلبة بن سلامة على أهل الشام بعد وفاة بلج بناء على ما أمر به الخليفة الأموي وفي عهد ولايته ظهرت العصبية اليمنية وقد ثار ضده أهل البلد من العرب والبربر بمدينة ماردة وأرسل ثعلبة بطلب النجدة من قرطبة ولكنه استطاع أن يتغلب على الثائرين ضده بسبب انشغالهم بالاحتفال بعيد الأضحى فخرج عليهم في صبيحة ذلك العيد فهزمهم هزيكة نكراء وأسر منهم ألف رجل وسبي أكثر من عشرة آلاف أقبل بهم إلى قرطبة حيث نزل بموضع المساره بيع السبي بأبخس الأثمان وعندما كتب أهل الأندلس إلى والى افريقية حنظلة بن صفوان بما يدور مع أرض الأندلس

فتن وثورات أرسل إليهم أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي واليا من قبل حنظلة بن صفوان .

* ولاية أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي :

أتي الخطار ومعه ثلاثون رجلاً إلى الأندلس فأمر بإطلاق الأسرى والسبي وكانت له الأندلس بعد أن جمع كلمة المسلمين بعد الفرقة ، وأمر بإخراج ثعلبة بن سلامة العاملي من الأندلس إلى طنجة وأعطى الأمان لابني عبد الملك بن قطن ثم قام بتوزيع جند الشام على قرطبة إلى كور الأندلس المختلفة

فكان توزيعهم كالتالي : أنزل جند حمص في كورتي ليلة وأشبيلية وأنزل جند دمشق في كوره البيرة وجند قنسرين في كورة جيان وجند الأردن في كورة رية وجند فلسطين في كورة شئونة والجزيرة كما أبعد جند مصر فأنزل بعضهم في باجة وبعضهم في تدمير وكان أنزالهم على أموال أهل الذمة من العجم فبقى البلديون على أرزاقهم وأراضيهم لم ينتقصهم شيء فسروا بذلك كما سر بذلك فيما بعد جند الشام إذ وجدوا أنفسهم في بلاد تشبه بلادهم فاستقروا وتحسنت أحوالهم المعاشية .

وبعد هذه الاصلاحات التي هدأت من حدة النزاع بين البلديين والشاميين وبين المضرية واليمنية تعصب أبو الخطار لليمنية مما أوجد روح التذمر والفتنة التي لبت من جديد وكان سبب ذلك أن أحد القيسيين قتل أحد أصحابه وحدث أن أختلف أحد المصريين مع أحد اليمنيين فشكي اليمني إلى أبي الخطار فجار أبو الخطار في حكمه وتعصب لليمنى فلجأ المضرى إلى الصميل بن حاتم والملقب بذي الجوشن وكان زعيماً للقيسية في الأندلس وقد أهانه أبو الخطار عندما أتى لمعاتبته على ظلمه في الحكم بين المصرى واليمنى وسرعان ما دب الخلاف وأدت إلى معركة بالقرب من نهر شئونة والتي أنتهت بهزيمة أبي الخطار وتقييده مكبلاً بالأصفاد إلى

قرطبة وذلك في رجب ١٢٧هـ / ٧٤٥م بعد أن كان قد مضى على ولايته سنتان فقط ، وتولى بعده ثوابه بن سلامة الجذامي لمدة سنة واحدة وتوفى ليعود الخلاف بين العرب من جديد على السلطة واحتدم النزاع بين القيسية واليمنية مرة أخرى ليتولى بعده يوسف بن عبد الرحمن القهري

* ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري :

جاءت ولاية يوسف بن عبد الرحمن بعد أربعة أشهر من الفوضى والمنازعات القبلية بين عرب الأندلس ورضيت به القبائل القيشية واليمنية غير أن يحيى بن حريث الجذامي من جند الأردن قد دعا لنفسه ووافق على تولية يوسف للأندلس في مقابل ترك كورة دية ليحيى بن حريث ولف بعد فترة عزل يوسف بن عبد الرحمن يحيى عن كورة دية فما كان من الأخير سوى أن انضم لأبي الخطار ضد الصميل ويوسف الفهري فكانت الحرب بين العصبيتين اليمنية التي أرادت تقديم يحيى بن حريث على الأندلس وبين القيسية التي أرادت تقديم يوسف وهنا اشتعلت نار الحرب بين العصبيتين واصطدم الفريقان في شقندة جنوبي قرطبة . ولم يصل النصر إلى أي من الفريقين مما دعا الصميل إلى أن يفكر في الاستعانة بعامة قرطبة وغوغائها فأجابوا نداءه فأتوا في نحو أربعمائة رجل يحملون العصا والسيوف وخرج الجزارون بسكاكينهم وانتهى القتال بأن رجحت كفة المضرية وانهزم ابن حريث وأبو الخطار بمن معهما من اليمنية وأمعن أصحاب الصميل

في اليمنية بالقتل والأسر وكان من بين الأسرى أبو الخطار وابن حريث فاستقدمهما الصميل مع جموع الأسرى حيث قتل سبعين منهم وأصبح الصعيل بذلك هو الوالي الفعلى الأندلس فكانت له الرئاسة والتدبير بينما كانت الولاية اسميا ليوسف بن عبدالرحمن الفهرى .

وقد استطاع يوسف أن ينفرد بالسلطة بعد أن أبعد الصميل منها وظل الصراع بين يوسف والصميل وخرج إلى هذا الصراع أشخاص آخرين وظل الأندلس يعاني الصدام بين القيسية واليمنية حتى ظهور عبد الرحمن بن معاوية ووصوله إلى الأندلس في عام ١٣٦هـ / ٧٥٤م.

وهذا ويتسم عصر الولاة الذي دام أكثر أكثر من أربعين عاماً بعدة سمات ألقت بظلال واضحة على الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد الأندلس كما أنها كانت تداعيات لظروف سياسية لاحقة استطاع من خلالها الطموحين أن يعتلوا مكان السلطة بها ونقصد بهذا ما كان من الأمير المغامر عبد الرحمن بن معاوية الأموى فقد استبد بعض الولاة على الأندلس بالموالي في حين تعصبوا للعرب وغالوا في جمع أموالهم وسبي نسائهم مما أثار غضبهم واستيائهم وعليه نجد أنه سواء على أرض المغرب أو الأندلس قد امتلأت نفوس البربر بالحقد والضغينة حيال العرب وعمالهم وفي الوقت نفسه أنقسم العرب على أنفسهم إلى عصبيتين : القيسية واليمنية وفي أثناء ذلك كثر مجيئ الخوارج إلى بلاد المغرب وذلك لبعدها عن مركز الخلافة واندمجوا بين قبائل البربر وأخذوا ينشرون تعاليمهم بينهم مما أوجدت مجالاً خصبا لدى نفوس البربر الذين اقتنعوا واعتنقوا هذه التعاليم ومن ثم تألب البربر على عمالهم في المغرب وعليه تشجع برير الأندلس فتأليوا على حكامهم العرب بها .

وتجدر الإشارة إلى أن البربر كان يثورون في المناطق البعيدة عن مركز الإمارة وتحديدا تلك المناطق الواقعة في أطراف الأندلس مثل المناطق الشمالية في جليقية وأشتوريس وغرب الأندلس وهي المناطق التي يسكنها جمهور البربر حيث يؤلفون هناك أغلبية السكان .

ثم تبدلت هذه السمة من النزاع بين العرب والبربر إلى نزاع بين العرب أنفسهم ما بين قيسية ويعنية فمنذ مقتل عبد الملك بين قطن على أيدي القيسية فانضم البربر

من وقتها إلى العرب المقيمين بالأندلس ضد العرب القادمين من الشام ، لكن العامل على الأندلس «أبي الخطار، استطاع أن يجمع بين العرب البلديين وعرب الشام وخضعت له الأندلس بعد أن جمع كلمة المسلمين بعد فرقه طويلة

ولكي يدفع خطر النزاع بين العرب البلدين والعرب الشاميين قام بتوزيع جند الشام بعيدا عن قرطبة إلى كور الأندلس الأخرى ليقضى على عوامل الاضطراب فأنزل جند دمشق بالبيرة وأطلق عليها اسم دمشق وأنزل جند الأردن بكورة رية وجند فلسطين بشنونة وجند حمص بإشبيلية وجند قنسرين بجيان وجند مصر بياجة وتدمير ،

وكان أبو الخطار يمنيا متعصبا في حين تواجدت شخصية قيسية هي الصميل بن حاتم بن شمر والملقب بذي الجوشن وكان زعيماً للقيسية في الأندلس وتنازع الأثنان حتى تم التخلص من أبي الخطار وفي عام ١٢٩ هـ اجتمع أهل الأندلس على أحد أبناء عقبة بن نافع الفهري وهو يوسف ابن عبد الرحمن وكان كبيراً في السن ضعيف الإرادة مما حذا بالصميل أن يحركه وفق رغباته وقد حدث كثير من المنازعات بين القيسية واليمنية لحين وثوب عبد الرحمن بن معاوية على الحكم .

وكان من الطبيعي بعد انقسام العرب على أنفسهم وتواجد عوامل الخلاف والضعف بين صفوفهم أن يستغل القوط هذه الفرصة فأخذوا يحتلون الأراضي التي تركها البربر ورا مهم وقويت بذلك شوكة نصارى إسبانيا في الشمال وتكاثرت أعدادهم ودخل القوط مع المسلمين في معركة كان القائد فيها على الجانب الإسلامي هو ابن علقمة اللخمي في كوفا تونجا Covadonga وانهزمت جيوش المسلمين وقتل ابن علقمة ونجح بلايو قائد الجيش الأسباني في تأسيس مملكة أشتوريس الصغيرة التي كانت بداية مولد الإمارات والممالك المسيحية في شمال الأندلس واتسعت مملكة أشتوريس الصغيرة وضعت كل المناطق الواسعة التي تركها المسلمون أثناء نزاع

العرب مع البربر في كل من ليون وشنت وآيلة وغيرها من المناطق وقد تم ذلك على يد الملك أنفونسو الأول .

***عناصر السكان بالاندلس بعد الفتح الإسلامي :**

شهد الأندلس في العصر الذي تلى الفتح الإسلامي مباشرة تنوعا في العناصر السكانية التي ضمها مجتمعه يختلفون من حيث الجنس والعقيدة والثقافة وكانت هذه العناصر السكانية ثلاثة هي المسلمون الذين منهم العرب والبربر والموالى والمسالمة والمولدون والعنصر الثاني هم العجم أو المستعربون والعنصر الثالث هم اليهود

١ – المسلمون :

وأولهم العرب الذين دخلوا الأندلس في شكل موجات متتابعة أو طوالع بالإضافة إلى من هاجر إليها من أهل الشام وغيرهم من العرب على أثر انتصار طارق بن زياد على القوط في موقعة وادي لكة

وأول هذه الطوالع طالعة موسى بن نصير في شهر رجب سنة ٩٣هـ وكانت تتألف من ثمانية عشر ألفا من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ثم طالعة الحر بن عبد

الرحمن الثقفي في ذي الحجة سنة ٩٧ هـ حيث قدم واليا على الأندلس ومعه أربعمائة رجل من إفريقية وكان أغلب عرب هاتين الطالعتين من اليمنيين وسموا البلديين أو أهل البلد لأنهم استقروا في بلاد الأندلس واعتبروا أنفسهم من أهلها وأصحابها .

بعدها جاءت طالعة بلج بشر بن عياض القشيري في سنة ١٢٤ هـ وأغلبهم من العرب القيسيين ممن تحصنوا بسبتة بعد هزيمة البربر لهم في موقعة الأشراف واضطر والى الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري إلى الاستعانة بهم على إخماد ثورة البربر في الأندلس فعبروا إلى الأندلس وكان عدد جنود هذه الطالعة قريبا من عشرة آلاف ، ألفان من الموالي وثمانية آلاف من العرب وقد سمى عرب هذه الطالعة بالشاميين تمييزا لهم عن البلديين وما لبث أن دب النزاع بين الشاميين والبلديين منذ أن أتم الشاميون مهمتهم في الأندلس وأرادوا الاستقرار فيها ثم تحول هذا النزاع إلى صراع بين العصبية اليمن والعصبية القيسية .

ثم وفدت على الأندلس الطالعة الثانية من الشاميين وهم ثلاثون رجلاً في صحبة أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي

وكانت جماعات اليمنية تفوق جماعات العدنانية في الأندلس عددا وقوة كما أن المنازل التي نزلها العرب في سائر أنحاء الأندلس كانت تتميز بأنها أخصب مناطق البلاد وأطيبها فقد نزلوا في مدن السهول وخصوصا في سهول وديان نهر الوادي الكبير مثل فحص إشبيلية وقرطبه واستجة وفي الفحوص الخضراء لوادي شنيل ووادي تاجة وفي مروج شرق الأندلس وفى السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية وكان العرب يعيشون كالسادة الرومان والقوط ويمتلكون إقطاعيات كبيرة يعهدون بزراعتها إلى المزارعين الاسبان أو المولدين من العامة .

أما **البربر** : فقد توالت هجراتهم حتى قيام دولة بني أمية واستكثر منهم خلفاء بني أمية واعتمدوا عليهم في جيوشهم ونزلوا في المناطق الجبلية لأن العرب اختصوا بأكثر الجهات خصوبة لأنفسهم فكان هذا سببا في النزاع الدائم بين العرب والبربر وقد استقرت جماعات من البربر منذ عصر بني أمية في الغرب وفي المناطق الجبلية والمناطق المرتفعة وقد لعب البربر دورا هاما في تاريخ الأندلس وخاصة في مجال نشر العقيدة الإسلامية .

أما **الموالي** : فقد دخل عدد كبير منهم في طالعه بلج بن بشر بلغ عددهم ألفي مولى ومنذ ذلك الحين مثلوا قوة في الأندلس وأغلب هؤلاء الموالي من أهل المغرب الذين دخلوا في ولاء بني أمية أو عمالهم وبقيتهم من المشرق دمشقيون وأردنيون وعراقيون وفرس وازداد عددهم بعد سقوط دولة بني أمية في الشرق (١٣٢ هـ) وقرار عدد كبير منهم إلى إفريقية والأندلس بحيث صاروا بدخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس ومحالفته اليمنية قوة كبرى غلبت قوة أهل الشام والمضرية كلها وبذلك نجحوا بفضل اتحادهم في تأسيس دولة بني أمية بالأندلس .

وتقلدوا في دولة بني أمية أهم مناصب الدولة فكان منهم الوزراء والكتاب والقواد والقضاة

يضاف إلى عنصر المسلمين المسالمة وهم الأسبان الذين دخلوا الإسلام أما المولدون فهم نتاج زواج المسلمين العرب البربر الفاتحين بالأسبانيات وكان عبد العزيز بن موسى أول من تزوج بإسبانية في إيخيلونا Egilona أرملة لذريق وحذا حذوه كثير من رجال العرب ، وقد احتفظ كثير من المولدين بأسمائهم القديمة مثل بنو مردنيش وبنو غرسية ورغم أنهم كانوا يعتنقون الإسلام لكنهم لم يفقدوا شخصيتهم على اعتبار أنهم إسبانيو الأصل وكانت طليطلة وإشبيلية من أهم مناطق تمركزهم

وكانوا يشكلون فيهما عددا كبيرا من أبناء المجتمع وكانوا يعلمون بالتجارة والإدارة وفي بعض الأحيان كان يدفعهم تعصبهم إلى الانضمام إلى الجانب المسيحي .

٢ – العجم أو المستعربون :

وهم نصاري إسبانيا الذين وجدوا في المجتمع الأندلسي يحتفظون بديانتهم المسيحية ويتكلمون اللغة العربية وكان العرب يطلقون عليهم عجم الذمة أما من كان لهم عهد منهم فقد سموا بالمعاهدين وكانوا يؤلفون نسبة كبيرة في عدد السكان في السنوات التي تلت الفتح ولكن عددهم أخذ في التناقص بينما تزايدت أعداد المسالمة ثم صار المستعربون بمرور الزمن أقلية في الأندلس بالنسبة للمسالمين والمولدين وقد عومل هؤلاء المستعربون منذ الفتح معاملة طيبة فتمتعوا بحرية كبيرة في إقامة شعائرهم الدينية وأقرهم موسى بن نصير على أموالهم ودينهم بشرط دفع الجزية وبذلك عاش النصارى مع المسلمين في أحياء خاصة بهم وكان لهم رئيس في كل مدينة يعرف بالقومس كما كان لهم قاض نصراني يفصل في منازعاتهم يعرف بقاضي العجم وإذا كان المتخاصمون مسلمين ومسيحيين فإن القاضي الذي يفصل بينهم كان قاضيا مسلما يعرف بقاضي الجند ثم سمى فيما بعد بقاضي الجماعة وعليه كان يتعين على القاضي المسلم أن يكون على دراية كبيرة بالقانون القوطي والشريعة الإسلامية وبذلك اتبع المسلمون سياسة التسامح الديني على أهل الذمة مع تركهم يمارسون شعائرهم الدينية في حرية تامة ولم يحد المسلمون من هذه السياسة ولم يضطهدوا المسلمين إلا بعد أن اتسعت حركة الاسترداد المسيحية La Reconquista وخاصة في عصر المرابطين وازداد اضطهاد الموحدين لهم فنفوهم إلى بلاد المغرب حتى يكونوا بعدين عن مناصرة الممالك المسيحية في الشمال الإسباني ولا ينسى دور هؤلاء المستعربين فيما قاموا به من ترجمة كثير من الكتب القشتالية إلى العربية لمعرفتهم باللغتين وكانوا بذلك حلقة الاتصال بين الثقافتين العربية والأوربية .

٣ – اليهود :

كان اليهود يعانون من اضطهاد القوط والرومان لهم حيث قرر المجتمع الطليطلي الثامن ضرورة تعميدهم وحرموا عليهم إقامة شعائرهم الدينية وأرغموهم في بعض الفترات على التنصر واعتبرهم القوط أرقاء يوزعون على المسيحيين وعملوا على فصل أولادهم عنهم وتنصيرهم لذا يعتقد الكثير من المؤرخين أن ليهود الأندلس فضل في اتصالهم بيهود المغرب حيث طلبوا منهم أن يقوموا بإغراء العرب المسلمين بفتح الأندلس رغبة في إنهاء هذا الاضطهاد الذين يعانونه من القوط وعندما دخل المسلمون الأندلس عاملهم العرب معاملة حسنة وكانوا يثقون فيهم ويعهدون إليهم بحراسة المدن المفتوحة مع العرب –

وكانت غرناطة تحظى بأكبر تجمع يهودي بالأندلس ولذلك سميت بغرناطة اليهود وقد لعب اليهود دورا مهما في العلوم العربية في الأندلس فترجموا الكتب العربية إلى العبرية واللاتينية ونبغ منهم كثيرون في مجالات متعددة كالطب والفلسفة والفلك والكيمياء أمثال حسداى بن شفروط طبيب عبد الرحمن الناصر وموسى بن ميمون الفيلسوف وإبراهيم ابن سهل الإسرائيلي الشاعر .

مصادر ومراجع الفصل :

-ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢

- جوستاف لوبون: حضارة العرب

- المقرى : نفح الطيب ، ج/١ .

- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج/٢٢.

- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس .

- عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس

الدولة الأموية بالاندلس

(١٣٨-٤٢٢هـ)

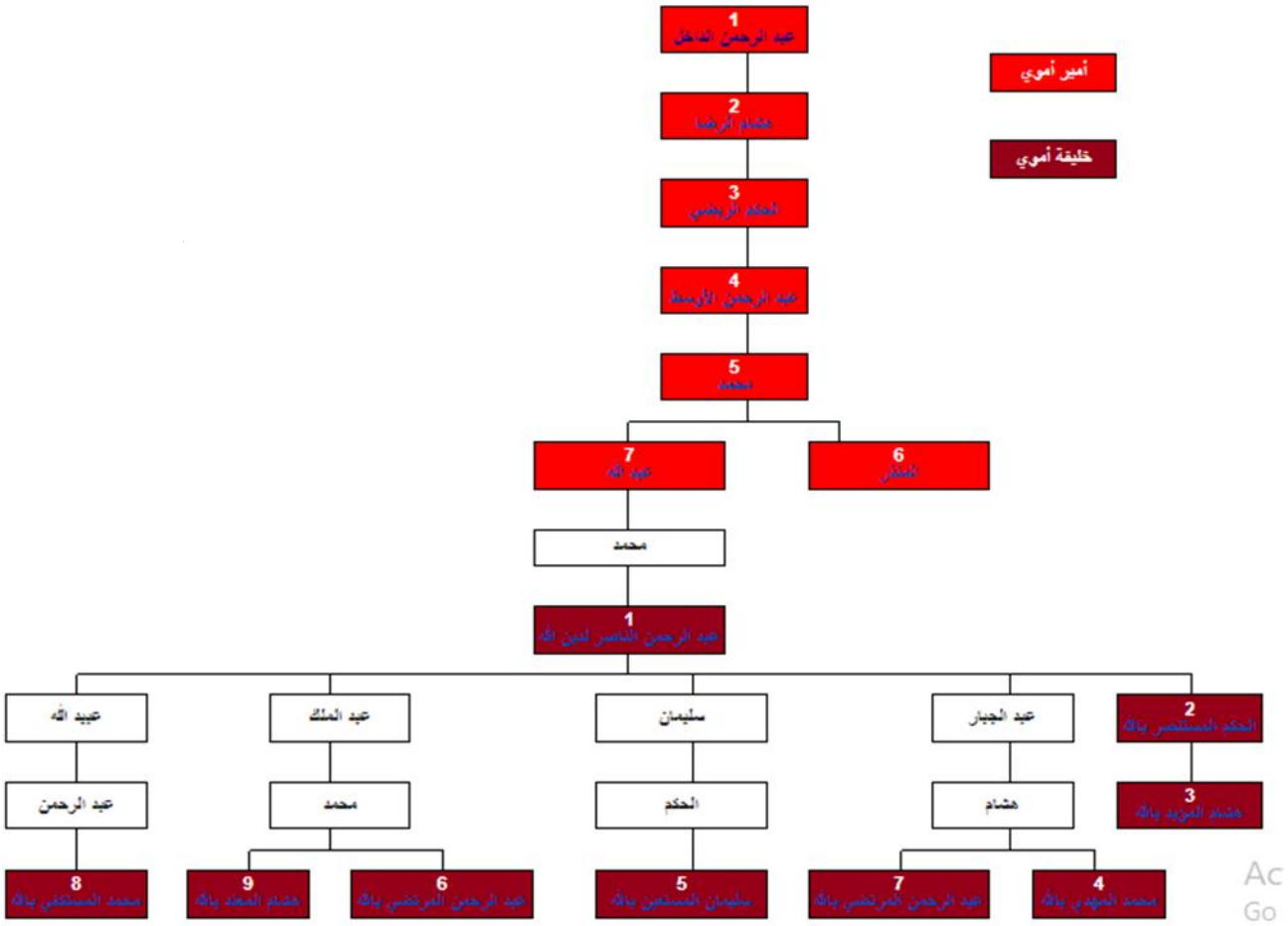

المصدر :ويكيبيديا –الدولة الاموية في الاندلس

الدولة الأموية بالاندلس

اولا : عصر الإمارة الاموية :

كان قيام الدولة الأموية بالأندلس هو بداية لها من جديد في الغرب الإسلامي بعدما انتهت في المشرق على أيدي العباسيين في وتحديدا عام ١٣٢هـ م حيث انتصرت الدعوة العباسية وأرست دعائم دولة استمرت أكثر من خمسة قرون ونتعرض لنبذة قصيرة عن قيام الدعوة العباسية وكيف أنهت حكم الأمويين تمهيدا لمعرفة كيف قامت هذه الدولة من جديد في بلاد الأندلس .كانت الدعوة العباسية والتي استمرت حوالي ثلث قرن تقريبا قبل إعلانها قد ضمت بين مؤيديها كل العناصر المعادية للدولة الأموية ، وتنتسب هذه الدعوة للعباسابن عبد المطلب عم الرسول ، وقد ظهر طموح بني العباس للخلافة على يد محمدابن على ابن عبد الله ابن العباس الذي قام بالدعوة للرضا من آل محمد دون أن يذكر من هؤلاء المقصودين بالدعوة : العلويون أم العباسيون ؟

والحقيقة أن العباسيين استغلوا فرصة الخلاف بين الأمويين والعلويين ولكي لا يبقوا منفردين عملوا على الانضمام إلى العلويين الذين تربطهم بهم صلة النسب وعليه فقد تعاونوا مع العلويين بادئ ذي بدء في الدعوة لآل البيت وقد حرصوا على عدم إظهار أطماعهم في الخلافة بعدما توفى محمد بن الحنفية بن على أبي طالب – كرم الله وجهه دون أبناء فقام العباسيون بترويج رواية تفيد بأن محمد ابن الحنفية – أبو هاشم – قد سلم الدعوة في حياته إلى العباسيين .

ولكن العباسيون حرصوا على تكتم هذا وظلوا يأخذون البيعة للرضا من آل محمد دون تسمية أو تحديد من المقصود بالدعوة ، وأخذوا ينظمون دعوتهم على مرحلتين

المرحلة الأولى : تتميز بالسرية ابتداء من محمد بن على بن عبد الله بن العباس والذي يعتبر أول الساعين من العباسيين للوصول إلى الخلافة ، فقد بدأ بتنظيم الدعوة تنظيما سريا دقيقا وذلك بإرسال النقباء والدعاة والعمال في ستر وكتمان إلى

الجهات البعيدة التي يكثر فيها أعداء الدولة الأموية ، فكانت منطقة خراسان هي الأرض المناسبة لوضع أساس الدعوة والدولة العباسية

وقد توفى محمد بن علي في عام ١٢٤ هـ/٧٤٢م فعهد بالإمامة إلى ابنه إبراهيم الذي عرف بالإمام معتمدا على شخصين هما : بكير بن ماهان وأبو سلمة الخلال الذي عرف بوزير آل محمد وكان كثير التنقل بين خراسان والحميمة (مركز وجود الإمام إبراهيم) يحاول جاهدا في نشر الدعوة العباسية .

ثم اعتمد إبراهيم الإمام بعدهما على شخصية كان لها أكبر الأثر في ترسيخ دعائم الدعوة العباسية وهو أبو مسلم الخراساني وهو الذي حمل على عاتقه إظهار الدعوة العباسية إلى النور لتبدأ المرحلة الثانية من الدعوة وهي مرحلة العلنية وذلك ابتداء من عام ١٢٩هـ/٧٤٧م على أن تكون الطاعة لبني العباس دون العلويين .

وقد اعتمد العباسيون على أبي مسلم الخراساني (لقب بأمين آل محمد) الذي استطاع أن ينجح في أن يعلن عبد الله أبو العباس خلافتهفي عام ١٣٢هـ/٧٤٩م ولقب بالسفاح *

لمروان بن محمد فما أن وصل فلسطين حتى نادي بالأمان في بني أمية ودعاهم لحضور مادية فأمن أكثر من سبعين رجلاً من وجوه الأمويين، غير أن العباسيين غدروا بهم وقتلوهم عن أخرهم

وكان من بين الناجين من هذه المادية حيث لم يحضرها توجسا من نية العباسيين كثير من الأمويين ومن بينهم الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي شاء القدر أن يعيد إحياء الدولة الأموية في منطقة أخرى غربي البحر المتوسط بعد أن ظلت ما يقرب من قرن في بلاد المشرق

وقصة فرار عبد الرحمن بن معاوية إلى المغرب قصة تفوق الخيال وهو ما جعلها تشبه الأساطير وتوردها المصادر التاريخية فيما يشبه ذلك وتتخلص قصة هروبه في أنه عندما بلغه ما فعله السفاح بالأمويين هرب من قريته من «دير حنا» في مقاطعة قنسرين بالشام ثم هرب إلى الفرات ولكن العباسيون دخلوا المنطقة عندها هرب عبد الرحمن مع أخيه يحيى حتى وصل شاطئ الفرات فألقى بنفسه هو وأخاه في مياه النهر في الوقت الذي وصلت فيه خيل العباسيين فأخذ الجند ينادونهما ويطلبون إليهما العودة في مقابل إعطائهم الأمان ولكن عبد الرحمن كان متمكنا من السباحة وتابع إجتياز النهر في الوقت الذي فشل فيه أخوه من متابعة السباحة وصدق وعود العباسيين له وعاد إليهم ولكن العباسيين قاموا بضرب عنقه فور خروجه من الماء وكان سنه وقتها١٣ سنة

وبعد أن اجتاز عبد الرحمن النهر اختبأ في بستان كثيف الشجر ثم خرج وتابع السير نحو الجنوب فوصل إلى فلسطين ثم مصر ثم برقة ولحق به خادمه بدر ومعه بعض الأموال والجواهر لكي يستعين بها في نفقته في رحلة الهروب وبعد وصوله إلى برقة توجه إلى طرابلس ثم إلى القيروان حتى وصل المغرب

الأقصى ونزل هناك عند قبائل وأخذ لعبور البحر أثناء استقراره قوم قبائل زناتة مضيق جبل طارق الرحمن بن يجهز مولاه بدر لإرساله الأندلس كي يستطلع أخبارها ويتصل بأهلها ويعرف موقفهم منه إذا ما أراد العبور إليهم وكان الرحمن معاوية يعتمد على أمية الموجودين في الأندلس ومواليهم وشيعتهم هناك وخاصة على شخصيتين هما أبو عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد بدر المضيق بأبي عثمان عبيد وأعطاه رسالة الرحمن معاوية يذكره بني بالسلطة هشام الملك وطلب منه أن يعهد له لكي يدخل الأندلس واعدا إياه بالمكافأة على ذلك على أن ذلك والكتمان اليمنيين ضد وقد اتفق أبو عثمان وعبد خالد على نصرة الرحمن بن

معاوية على يعرضوا الأمر زعيم المضرية الذي وافق خاصة تخلى الفهري مساعدته أثناء حصاره في سرقسطة وقرر الصميل أن ينضم إلى عبد الرحمن وطلب إلى أبي عثمان وعبد الله بن خالد أن يكتبوا إليه يشجعونه على العبور إلى الأندلس قاموا بإرسال أناس ثقاة إلى مختلف المقاطعات الأندلسية لتأييد عبد الرحمن ابن معاوية عثمان الله) يعتمدا على وافتوهما تأييد عبد الرحمن واشترى مؤيدو عبد الرحمن وجهوها إلى المغرب متنها المولى بدر مع أحد عشر رجلا ومعهم خمسمائة دينار للنفقات لاستقدام عبد الرحمن

واستقل عبد الرحمن بن معاوية المركب حتى وصلوا ساحل البيرة في جهة المنكب على الساحل الشرقي للأندلس وذلك في ربيع الآخر ١٣٨ هـ / ٧٥٦م واستقبلاه أبو عثمان وخالد ونزل بقرية طرش .

وفيما يخص يوسف الفهري فقد فوجئ بنزول عبد الرحمن بن معاوية على أرض الأندلس وكان يأمل في أن يعدل عبد الرحمن عن رأيه ويعود من حيث أتى وأرسل يوسف بكتاب وهدايا إلى عبد الرحمن لمصاهرته واتقاء خطره وخاصة بعدما انفض عنه الجند . غير أن الأمور تطورت إلى شبه منازعة بين عبد الرحمن الذي يلقى الدعم من قبل الأموية واليمنية ويوسف الفهري الذي يلقى الدعم والمساندة من قبل المضرية

وسار عبد الرحمن نحو قرطبة بينما اقتصر يوسف على الخروج من المدينة دون أن يتوجه بعيدا في إتجاه عبد الرحمن ولم يكن موقف يوسف الفهري قويا حيث أنه كان بتصرفاته التي أوغرت صدور الكثيرين منه قد جعلت الكثيرين ينفضون من حوله كذلك انتشرت المجاعة في أنحاء بلاد الأندلس مدة ستة أعوام متتالية حتى أن الجند الذين كانوا يسيرون إلى القتال لم يكونوا يجدون لطعامهم غير الفول الأخضر الذي نبت آنذاك في ربيع ١٣٨هـ/٧٥٥م٢) . وهذا لا يعني أن الجند الموالين لعبد الرحمن

كانوا يجدون أقواتهم وغذائهم ولكن المسألة سوف تتحول إلى عوامل أخرى منها : شخصية كل من المتنازعين ومدى تصميم كل منهما على القتال . وقد تم اللقاء بين المتنازعين في موضع قريب من قرطبة يعرف بالمسارة Sagrojas وقرر عبد الرحمن بعد ذلك أن يسارع إلى قرطبة ويحتلها في حين يبقى يوسف في مكانه على شاطئ نهر الوادي الكبير دون أن يشعر بتحركات عبد الرحمن وخاصة أن عددا كبيرا من الأمويين يعيشون في قرطبة وسوف يقومون بنصرته حين وصوله إلى المدينة

وتحرك عبد الرحمن في الليل نحو مدينة قرطبة وكان بعيدا عنها بمسافة خمسة وأربعين ميلا ولكن بمجرد مسيره لمسافة ميل واحد علم يوسف بخطته وأسرع هو بالتوجه نحو قرطبة ورجع عبد الرحمن عند المسيارة والذي ستحدث فيه المعركة التي سميت فيما بعد باسم المكان كما عسكر يوسف في الجهة المقابلة له.

وتتفق الروايات التاريخية على أن الفريقين قد عسكرا في المسارة يوم الاثنين ٦ ذي الحجة ٣٨هـ/٧٥٥م فأقاما هناك ثلاثة أيام والنهر يفصل بينهما حتى يوم الخميس حيث انحسر ماء النهر وأصبح عبوره ممكنا وعبر عبد الرحمن النهر في هذا اليوم مع مواليه دون أن يتعرض يوسف الفهري لعبورهم حتى إذا ما عبروا أرسل يوسف إليهم الرسل لمفاوضتهم في الصلح من جديد وكان الصلح أن يتم بين جماعة بني أمية ورسل يوسف الفهري .

وأقام الفريقان يتشاوران في إمكانية الصلح دون أن يتوصلا إلى نتيجة نهائية فلما جاء يوم الجمعة وتبدد الأمل في الوصول إلى الصلح تقابل الفريقان واقتتلا قتالاً شديداً حتى مغيب الشمس واستطاع عبد الرحمن دخول قرطبة واحتلال القصر غير أنه منع الناس من سرقة محتوياته وانتهاك حرمة أملاك يوسف الفهري فغضب

اليمنيون وفكروا في تدبير الحيل عليه بعدها ، وقد فر يوسف والصميل أحدهما إلى مدينة ماردة والثاني إلى ناحية جيان .

واستولى عبد الرحمن على الإمارة وتمت له البيعة العامة في قرطبة ليبدأ عهد إمارته في ١٣٨هـ .

(١)عبد الرحمن بن معاوية

(١٣٨ – ١٧٢ هـ / ٧٥٥ – ٧٨٨م)

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم يكنى بأبي مطرف وكانت أمه بربرية من سبايا المغرب وتسمى «راح» وقد ولد عام

١١٣هـ/٧٣١م في قرية دير حنا التابعة لقنسرين في بلاد الشام وقد مات أبوه في أيام جده هشام سنة ١١٨هـ / ٧٣٦م فكفله جده مع إخوته.

وقد بويع عبد الرحمن بالإمارة في الأندلس في يوم الأضحى عام ١٣٨هـ وكان عمره وقتها خمس وعشرون عاما وتوفي في عام ١٧٢هـ فكانت مدة إمارته تزيد على ثلاثة وثلاثين عاما

ويصفه المؤرخون بأنه كان طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان ، أعور ويصفه المقرى بقوله :

«كان عبد الرحمن راجح الحلم واسح العلم ، ثاقب الفهم كثير الحزم ، نافذ العزم، بريئا عن العجز ، سريع النهضة ، متصل الحركة لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة ولا يكل الأمور إلى غيره ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه ، شجاعا ، مقداما ، شديد الحدة، قليل الطمأنينة ، بليغا ، مفوها ، شاعرا ، محسنا ، سمحا ، سخيا ، طلق اللسان» .

وقد اعتمد عبد الرحمن بن معاوية في حكمه على الرجال الذين رافقوه وأيدوه وساندوه حتى وصل إلى الحكم والسلطة فقام بتعيينهم في المناصب الهامة في الحجابة والوزارة والكتابة والقضاء .

لقد عرف عبد الرحمن بن معاوية باسم عبد الرحمن الأول لأنه أول أمير أموى حكم الأندلس بهذا الإسم وعرف عبد الرحمن الداخل لأنه أول من دخل من ملوك بني مروان إلى الأندلس وعرف باسم صقر قريش لأن الخليفة العباس أبو جعفر المنصور لقبه بذلك

ورغم ذلك لم يتلقب عبد الرحمن بالقاب الخلافة ولكنه اكتفى بلقب الإمارة هو وبنوه من بعده حتى مجئ عبد الرحمن الثالث المعروف عبد الرحمن الناصر وذلك كما

يجمع المؤرخون بسبب تأديه في حق الخلافة ويبدو أن عبد الرحمن كان لا يرى إغضاب الناس من حوله إذا ما اتخذ ألقاب الخلافة خاصة وأن الخلافة العباسية كانت في أقوى عصورها وأن الإمارة الأموية مازالت إمارة ناشئة.

وقد وجد عبد الرحمن بن معاوية أن عليه بعدما وطد حكمه في قرطبة أن يتفرغ للقضاء على الفهريين بقايدة كل من الصميل ويوسف الفهري .

وعندما علم كل منهما بقوة عبد الرحمن قبلا أن يتخليا له عن الأمر على شرط أن يأمنهما على الأموال والمنازل وأن يسمح لهما بسكني مدينة قرطبة فوافق عبد الرحمن على تلك المطالب بشروط منها: أن يتردد يوسف الفهري يوميا على عبد الرحمن في قصره لضمان ولائه وأن يمكث ولدى يوسف : عبد الرحمن ومحمد عند عبد الرحمن بن معاوية كرهائن لزيادة ضمان ولائه.

واستطاع عبد الرحمن أن يأمن شر كل من الصميل ويوسف ويبدو أن هذا لم يعجب المقربين من عبد الرحمن وخاصة اليمنية الذين يرون في هذين الرجلين أنهما زعيمي المضرية أعداءهم وتمت الوشاية من قبل اليمنية والتي جعلت يوسف الفهري يخرج عن طاعة عبد الرحمن حينما طالبه بعض اليمنية بأملاك لهم عنده فهرب يوسف من قرطبة عام ١٤١هـ/٧٥٨م بعدما رفض المضرية وعلى رأسهم الصميل أن ينضموا إليه في الثورة ضد عبد الرحمن بن معاوية ، لذا فإن قرار يوسف الفهري قد حدث بناء على تدهور العلاقة بينه وبين عبد الرحمن للوشايات التي تمت بين الرجلين أصحاب يوسف على الثورة ضد الرحمن وعليه سار يوسف إلى مدينة ماردة وعندما علم عبد الرحمن بنبأ قراره أمرالقبض على الصميل بن حاتم وعلى ولدى يوسف عبد وأحضرهم جميعا أمامه باستجوابهم عن وجهة ولكنهم انكروا معرفة عبد الرحمن بحبسهم وخرج عبد الرحمن بن معاوية لقتال يوسف الذي وصل طليطلة وقد يوسف في هذه الأثناء من قبل الموالين له وقد سار الموالين ويدعى عبد الله بن

بعد ذلك إلى قرطبة وهو يحمل رأس الفهري فلما بلغ الأمر الرحمن أمر تضرب عنق الرحمن بن يوسف ورفع كل الرأسين على قناة فوق قرطبة ،ولكن قتلة ومنهم عبد الله بن عمر لم ينالوا جزاء حسنا من عبد الرحمن معاوية الذي أخذ خيانتهم لزعيمهم بضرب أعناقهم وبذلك الفهريين على يد الرحمن الداخل الصميل مشابهة حيث تم خنقه وهو السجن. ويذكر المقرى الصمويل مسموما

***الحركات الثورية في عصر الرحمن الداخل**

تعرضت فترة حكم الرحمن الداخل للعديد الفتن والثورات كان أهمها

-ثورة العلاء مغيث اليحصبي

قامت الثورة في عام هـ/٧٦٣وكان العلاء مغيث صاحب هذه الثورة على اتصال بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) الذي أمده بالأموال في لقنت فأخرج العلم الأسود (شعار العباسيين) الناس إلى طاعة الخليفة العباسي فأجابه عدد كبير من بينهم جند مصر وانضم كثير من وجهاء القوم منهم بين مغيث وأمية بن قطن الفهري، وعندما تم للعلاء جمع حشود الموالين لدعوته انتقل إلى باجة فاستولى على جميع المقاطعات المجاورة لها أما الأمر عبد الرحمن الداخل فقد خرج بن مغيث ليتم محاصرة الأمير فيها وذلك نظرا لعدم الاستعداد العسكري الكافي من قبل عبد الرحمن الداخل وبالفعل قام العلاء العلاء ملوا طول الحصار وشاعت الفوضى بيتهم ورغبوا في رفع الحصار وعلم عبد الرحمن بتلك الظروف بجمع رجاله وعددهم يزيد عن سبعمائة رجل فأخذوا سيوفهم بأيديهم وخرجوا المدينة وهاجموا محاصريهم بعنف فدارت معركة كبيرة النصر فيها الأمير عبد الرحمن وقتل العلاء مع سبعة آلاف أصحابه وأنهزم الباقون من الملتفين حوله وزيادة في التنكيل بالقائمين بهذه الثورة عبد الداخل أن تقطع روس العلاء مغيث وبعض أنصاره جمعها وأرفقت

صكوك بأسمائهم ووضعت في أوعية ووجهها عبد الرحمن إلى القيروان وألقيت الأسواق ليلا الناس عن أمر هؤلاء الثوار وعرفوا نهايته المفجعة

وتذكر بعض الروايات التاريخية الأخرى الداخل لم يكتف بذلك بن مغيث القيروان إلى أثناء موسم الحج وكان الخليفة العباسي يؤدي الفريضة هذا العام وقد أرسلها الداخل مع كتاب المنصور الذي يشجع الثائر دعوته ويدعمه ويسانده بها وكذلك أرفق مع الرأس الأسود شعار الدولة العباسية ، وقد ألقيت أمام سرادق الخليفة وعندما رأى الخليفة ذلك إرتاع وقال: «ما هذا إلا شيطان ، الحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر» .

- ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري (الصقلبي) :

قامت هذه الثورة أيضا بدعم من الدولة العباسية ، وذلك في عام ١٦٣هـ/٧٧٩م في عصر الخليفة المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩ هـ) ولم يكن عبد الرحمن بن حبيب هذا هو والى إفريقية ولكنه رجل آخر يحمل نفس الإسم وقد بدأت هذه الثورة في تدمير على الساحل الأندلسي قبل إعلان الثورة بعامين حيث أظهر دعوته للعباسيين ودعا الناس إليه فأيده عدد كبير كانت الغالبية العظمى منهم من البربر .

وأسرع الأمير عبد الرحمن الداخل إلى مهاجمته غير أنه فر إلى ، بلنسية معتصما فيه ، ولكن الأمير اجتاح منطقة تدمير الموالية للثائر وتقدم إلى بلنسية حيث قام بإحراق السفن الموجودة أمام الشاطئ والتي يمكن أن يهرب فيها الصقلبي إلى الساحل المغربي وعرض مكافأة قدرها ألف دينار لمن يأتي برأس ابن حبيب وبالفعل تم إغتياله على يد أحد أصحابه من البربر ويدعو مشكار وحملت رأسه إلى الأمير عبد الرحمن الذي عاد إلى مقر حكمه في قرطبه بعد قضائه على هذه الثورة.

– ثورة شقيا البربري :

قام بهذه الثورة شقيا بن عبد الواحد الذي دعا إلى إقامة دولة شيعية فاطمية في الأندلس ، وكان شقيا بن عبد الواحد بربريا من قبيلة مكناسة ويسكن في شرق الأندلس وكان يقوم بتعليم الأطفال الصغار وقد إدعى أنه من سلالة الحسين بن على وأطلق على نفسه اسم عبد الله بن محمد ودعا الناس إلى تأييد الدعوة الفاطمية والتصدي لحكم الدولة الأموية وبدأت هذه الثورة في عام ١٥٢هـ/٧٦٩م .

وقد انضم إليه أنصار كثيرون كان الغالبية منهم من بربر الأندلس الذين يناصبون العداء والكراهية للعرب حيث وجدوا في هذه الثورة فرصتهم للتخلص منهم وتوجه شقيا إلى مدينة شئتمرية فاحتلها وقتل واليها من قبل عبد الرحمن الداخل ،

وقام عبد الرحمن الداخل بتوجيه جيش لقتاله ولكن شقيا فضل ألا يقاتل الجيش الأموى وجها لوجه حيث أن طريقته في القتال كانت تقوم على الفرار إلى الجبال عندما لا يستطيع مواجهة الجيش ثم يعود مرة أخرى إلى المدينة عندما ينسحب الجيش واستمرت محاولات الأمير عبد الرحمن في التصدي لشقيا وأتباعه ولكن دون جدوى

وفي عام ١٥٥هـ/٧٧٢م وبعد ثلاث سنوات من اندلاع الثورة قرر عبد الرحمن أن يسير إليه حملة في مقر ثورته – مدينة شنتمرية – حيث لجأ إلى خطة جديدة تقوم على تولية زعيم بربري وتعيينه حاكما على المناطق التي يستولى عليها شقيا البربري وبالفعل نجحت هذه الخطة حيث انفض كثير من البرير من حول شقيا وانضموا إلى الزعيم الجديد ، عندها خرج شقيا من مكان نفوذه نحو الشمال واستمر في ثورته حتى عام ١٥٩هـ/٧٧٦م.

حيث أرسل الأمير عبد الرحمن جيشا لغزو المنطقة ومهاجمتها فقتل كثير من أتباعه وتكرر هذا الغزو في العام التالي أي في سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م .

وأخيرا نجح عبد الرحمن الداخل في القضاء على هذه الثورة التي دامت أكثر من عشر سنوات ، فقد قتل شقيا البربري في قرية وادي العيون الواجهة في إقليم شنتمرية على يد اثنين من أتباعه ولم تكن هذه هي كل الثورات التي قامت في عهد الداخل فقامت فتن في كل من ربيلية وطليطلة والجزيرة الخضراء وجيان وغيرها من المدن.

وبذلك قضى عبد الرحمن الداخل معظم فترات حكمه في مقاومة الثائرين والتصدي لهم وقد كانت أحوال الأندلس غاية في الاضطراب والفوضي وقد تعود الناس عامتهم وخاصتهم على هذه الفوضى وضعف الإدارة المركزية لذا لم يقبلوا بسهولة الخضوع لحاكم أتى إليهم من الشرق فحاول كثير منهم أن يستقل بمنطقة ما ويعلن ثورته على الحاكم الجديد ولكن الداخل حرص كل الحرص على تأسيس دولة وكانت لديه القدرة في ذلك حيث كان ينتمي إلى دولة عريقة في الحكم الإسلامي فقام بمجهودات مضنية للمحافظة على الدولة دون ضياع أو استقلال بعض منها ونجح في ذلك حيث أخضع كل الثورات التي قامت عليه وتمكن من القيام بالغزو في أراضي الفرنجة ناحية الشمال ولكن ذلك لم يشغله عن أن يهتم بالبناء والعمران في الأندلس فكان صاحب الفكرة في بناء أو تجديد أعظم مسجد جامع في الأندلس وهو مسجد قرطبة

<u>علاقة الداخل بالفرنجة :</u>

تعرض عبد الرحمن الداخل للعديد من الثورات والفتن الداخلية والتي أحجمت

عمليات المسلمين العسكرية في أراضي الدويلات الأسبانية الشمالية أو أراضي دولة الفرنجة ، غير أن الأمير عبد الرحمن كان قد أرسل مولاه بدر في غزوة نحو الشمال في عام ١٥٠هـ/٧٦٧م استطاعت أن تحرز كثير من النجاح مما اضطر حاكم المنطقة أن يقدم خضوعه للمسلمين ويقبل دفع الجزية لهم وهي تبلغ سنويا إحدى عشرة ألف أوقية من الذهب وعشرة آلاف أوقية من الفضة علاوة على أعداد وفيرة

من الدواب . أما الغزوة الثانية فكانت غزوة عبد الرحمن للمناطق الشمالية أيضا حيث اخترق بلاد البشكنس Bascos واجتاح ولاية شرطانية وأرغم أميرها على تقديم الطاعة وأداء الجزية.

أما الأحداث ذات الأهمية الخطيرة فيما يخص العلاقة بين الأمويين والفرنجة هو ما حدث من قرار شارلمان ملك الفرنجة بإجتياز جبال البرانس والوصول إلى مدينة سرقسطة واحتلالها حيث أعد حملة كبيرة في عام ١٦١هـ/٧٧٨م سار على رأسها فعبر مضيق رونسفال وحاول احتلال مدينة سرقسطة وحاصرها فترة طويلة من الزمن غير أنه فشل في الإستيلاء عليها وعند عودة شارلمان فاجأء جيش عربى استطاع أن يقضى

على مؤخرة جيشه ولم ينج أحد من جنده(١) .

وبعدها حدث نوع من المهادنة بين الطرفين فلم تذكر المصادر التاريخية أية محاولة لعبد الرحمن الداخل لغزو أراضي الفرنجة كما أن شارلمان لم يعد يتدخل في شئون الأندلس ولو أن المصادر العربية تتحدث عن اتصال شارلمان بهارون الرشيد على اعتبار أن الدولة الأموية بالأندلس هي العدو المشترك لدولة الفرنجة وللدولة العباسية في بغداد .

المظاهر الحضارية في عصر عبد الرحمن الداخل :

رغم الثورات الكثيرة التي تعرض لها حكم عبد الرحمن الداخل إلا أن هناك الكثير من المظاهر الحضارية في عهده أولها في مجال العمران : بنائه للمسجد الجامع والقصر في قرطبة حيث أنفق في سبيل ذلك ثمانين ألف دينار وقد زادت العمارة في المسجد في عهد الأمراء اللاحقين على عصره وخاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر والحاجب المنصور بن أبي عامر.

كذلك قام عبد الرحمن ببناء قصر للإمارة بقرطبة ، ويذكر أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور كان من أشد الناس تقديرا لعبد الرحمن بن معاوية فيقول فيه : والحمد لله الذي جعل بيني وبينه البحر، على أثر مشاهدته لرأس العلاء بن مغيث الحضرمى أحد الثوار أثناء وجود الخليفة العباسى بموسم الحج بعد أن قتله عبد الرحمن بن معاوية .

كما يروى على لسان أبي جعفر المنصور أنه قال يوما لبعض جلسائه :

أخبروني من مقر قيرش من الملوك ؟، قالوا: «ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك وسكن الزلازل واياد الأعداء وحسم الأدواء ، قال : ما قلتم شيئا ، قالوا : «لمعاوية» قال لا قالوا عبد الملك بن مروان قال : ما قلتم شيئا قالوا : فمن يا أمير المؤمنين قال : من عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه لمصير الأمصار وجند الأجناد واون الدواوين وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشده شكيمته، « إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه وعبد الملك ببيعة أبرم عقدها وأمير المؤمنين بطلب عترته واجتماع شيعته وعبد الرحمن منفرد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب لعزمه ، وطد الخلافة بالأندلس وافتتح الثغور وقتل المارقين وأذل الجبابرة الثائرين فقال الجميع : صدقت والله يا أمير المؤمنين ،وقد عرف عن عبد الرحمن الداخل بلاغته وفصاحته الأدبية ، وتجدر الإشارة إلى أنه لما استقامت الأمور لعبد الرحمن وتوطدت أركان دولته بلغه عن بعض من أعانوه أنه قال «لولانا ما توصل لهذا الملك، وعن آخر أنه قال : سعده أعانه لا عقله ولا تدبيره فدفعه ذلك إلى نظم الأبيات التالية:

لايلفت ممتن علينا قائل الولاى ماملك الأنام الداخل

سعدي وحزمي والمهند والقنا ومقادر بلغت وحال حائل

إن الملوك مع الزمان كواكب نجم يطالعنا ونجم أفل

والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا أيروم تدبير البرية غافل

ويقول قوم سعده لاعقله خير السعادة ما حماها العاقل

أبنى أمية قد جبرنا صدعكم بالغرب رغما والسعود قبائل

مادام من نسلى إمام قائم فالملك فيكم ثابت متواصل

كذلك نظم بعض الأبيات الشعرية التي يشتاق فيها إلى وطنه بالشام قائلاً :

أيها الركب الميم أرضى اقر من بعضى السلام لبعضي

إن جسمى كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفونى غمضى

قد قضى الله بالفراق علينا فعسى بإجتماعنا سوف يقضى

وهذه الأبيات الشعرية تدل على براعة عبد الرحمن الداخل الأدبية وهذا ما حذا بأمير الشعراء أحمد شوقي أن يكتب فيه قصيدته «صقر قريش، قائلاً في بعض منها :

أيها اليائس مت قبل الممات أو إذا شئت حياة فالرجا

لا يضق ذرعك عند الأزمات إن هي اشتدت وأقل فرجا

ذلك الداخل لاقى مظلمات لم يكن يأمل منها مخرجا

قد تولى عزه وانصرما فمضي من عزه لم ييأس

رام بالمغرب ملكا فرمى أبعد الغمر وأقصى اليبس

(٢) الأمير هشام عبد الرحمن

(١٧٢ – ١٨٠ هـ / ٧٨٨ – ٧٩٦ م)

بويع الأمير هشام بعد وفاة أبيه يوم الأحد الأول من جمادى الأولى ١٧٢هـ/٧٨٨م وعمره ثلاثة وثلاثون عاما وكانت أمه أم ولد تدعى حلل أو حوراء ويكنى بأبي الوليد وقد لقب فيما بعد بالرضى نظرا لحسن سمعته وأخلاقه ولتمسكه بتعاليم الدين وعن صفاته الجسمانية يروى ابن عذارى أنه كان نو لون أبيض مشربا بحمرة وأنه كان بعينيه حول ويعتبر هشام من روايات المؤرخين ومن بينهم ابن عذاري من أفضل أمراء بني أمية الذين حكموا الأندلس ويفيضون في الحديث عن عدله واستقامته وحسن سيرته في الرعية ومثابرته على غزو أرض العدو فيصفونه بأنه كان : «كريما عدلاً فاضلاً متواضعا عاقلاً لم تعرف عنه هفوة في حداثته ولا زلة في أيام سياه» .

وفيم يخص حكمه الداخلي فقد اتسم بالهدوء والأمن النسبي خلال السنوات الثماني حكم فيها وقد تميز في بعض تصرفاته الاجتماعية والمتعلقة بحكمه الداخلي بعدد الصفات المشابهة لصفات أبيه مثل حضور الجنائز وعيادة المرضى والاختلاط س والتواضع لهم كما كان في الوقت نفسه قاسيا على المتسلطين من عماله وموظفيه حرص على تخليص كل من استطاع تخليصه من الأسر أو السبي بأية وسيلة كانت لو بتأدية المال عنهم ، كما أنه لم يقتل أحد من جنده في أحد الثغور أو في المعارك ق أولاده في ديوان أرزاقه وأجرى عليهم الأعطيات(٢) . اعتنى بالعمارة والبناء فبنى المسجد المقابل لباب الجنان من أكوام التراب التي أسرى الذين وقعوا بين يديه في إحدى الغزوات كما قام بتجديد القنطرة المبنية فوق نهر الوادي الكبير بقرطبة والتي أنشأها السمح بن مالك الخولاني كما قام باستكمال الجامع الذي شرع أبوه في بنائه في مدينة قرطبة.

وقد شهد عهد هشام العديد من الفتن والثورات من أهمها ثورة أخويه سليمان وعبد الله ، فنظرا لأن سليمان كان هو الابن الأكبر للأمير عبد الرحمن الداخل فأغضبه أن يخلف أباه في الحكم أخوه الأصغر هشام وكان سليمان أنذاك في طليطلة فلما اتصل به خبر وفاة أبيه وتولى أخيه أعلن الثورة في ١٧٣هـ ، وحشد الحشود وثم سار يريد الاستيلاء على قرطبة فما كان من هشام إلا أن أعد جيشا كبيرا توجه على رأسه للقاء أخيه وحدثت معركة بين الأخوين في منطقة جيان كان الانتصار فيها للأمير هشام فتراجع سليمان إلى طليطلة وعاد هشام إلى قرطبة

وبعد مرور عدة أشهر انضم عبد الله بن عبد الرحمن الابن الثالث للأمير الداخل إلى الأخ الثائر سليمان فرأى هشام أن يسير لقتالهما فتوجه على رأس جيش نحو طليطلة ، فلما بلغها فكر سليمان في أن يقوم بخطة معاكسة وهي الإسراع إلى احتلال قرطبة في غياب الأمير وبالفعل خرج سليمان من طليطلة مع عدد من الجند وكانت المفاجأة من أهل قرطبة الذين خرجوا بأنفسهم ليدافعوا عن مدينتهم مما اضطر سليمان إلى تغيير وجهته إلى المنطقة وبلغ البحر دون أن يستطيع القضاء عليه نهائيا حيث فر سليمان إلى جبال بلنسية فاعتصم بها وتجدر الإشارة أن عبد الله بن عبد الرحمن كان قد سلم نفسه لأخيه في بداية عام ١٧٤هـ/٧٩٠م فعامله هشام معاملة حسنة وهذا ما أدى إلى إضعاف قوة وثورة سليمان .

وعندما تيقن سليمان أنه لا قبل له في التصدى لأخيه الأمير وأنه لا يستطيع الاستيلاء على الإمارة بالقوة قرر تسليم نفسه لهشام الذي عفا عنه بدوره مقابل خروجه من الأندلس على أن يزوده الأمير بستين ألف دينار كثمن للجزء الذي يخصه من تركة ابيه ،وبالفعل ترك سليمان الأندلس وركب مع أهله ولده مركبا إلى الشمال الأفريقي وبالمثل فعل الأخ الثالث عبد الله وأرسل هشام ابنه الحكم إلى مدينة طليطلة واليا عليها ،

وقد قامت ثورات في سرقسطة وفي برشلونه وفي مدينة تاكرنا Takoronna التابعة لإقليم رندة واستطاع هشام إخمادها وبذلك تكون عدد الثورات التي قامت في عهده أربع ثورات وهي قليلة بالقياس بالثورات التي قامت في عهد أبيه أو ابنه الحكم وهذه الثورات قامت كلها في السنوات الثلاث الأولى من حكمه

وبعد أن تخلص هشام من هذه الثورات تفرغ للغروات الخارجية فأرسل حملات عسكرية إلى نطقة ألبة والقلاع وجليقية وذلك في عام ١٧٥هـ/٧٩١م وفي حملته على منطقة جليقية التقى المسلمون بنصارى إسبانيا بقائدة الملك برمودو الأول فاشتبك الطرفان في معركة من أشد المعارك كان النصر فيها للجيوش العربية وقتل فيها من الطرف الآخر حوالي عشرة آلاف.

ومن أشهر الحملات في عهد هشام كانت في عام ١٧٩ هـ/٧٩٥م حيث أرسل قائده عبد الكريم بن مغيث إلى جليقية وكان القائد على الجانب الآخر هو الملك الفونسو الذي تدعوه الروايات العربية ملك الجلالقة أو أذفونش ورغم أن نهاية هذه الحملة لم تحسم لأي من الطرفين غير أن الجيوش العربية استطاعت الصمود أمام الفرنجة والرجوع بغنائم لا بأس بها. مون ها و سمر ده عمرا عاما

(٣) إمارة الحكم الأول بن هشام بن عبد الرحمن

(١٨٠ – ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ – ٨٢٢ م)

بويع بعد وفاة أبيه هشام في صفر ١٨٠هـ/أبريل ٧٩٦م وعمره وقتها ستة وعشرون عاما ، أمه أم ولد اسمها زحرف ويكنى بأبي العاصي ويوصف بأنه شديد السمرة طويلاً نحيفا وكان من أهل الخير والصلاح ، كثير الغزو والجهاد .

وقد تميز عهد الحكم بثلاثة أمور رئيسة وهي كثرة الفتن في كما حدث في عهد جده عبد الرحمن الداخل واهتمامه بالغزو والجهاد أكثر من سابقيه من أمراء بني أمية وعدم اهتمامه برجال الدين والفقهاء مما أدى إلى إثارة غضبهم وإعلان معارضتهم له . وقد وجه الحكم اهتماما كبيرا بشئون القضاء وكذلك اهتم بالشئون العسكرية من إعداد الجيوش والقيام بالغزو والقتال في معظم سنوات حكمه وقد جلب المماليك إلى جيشه بما يزيد عددهم عن خمسة آلاف فعرف عنه أنه «أول من جند بالأندلس الأجناد والمرتزقة وجمع الأسلحة والعدد واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم». ومن أهم الثورات في عصر الحكم الأول ثورة الربض الأولى وثورة الربض الثانية.

<u>* ثورة الربض الاولى ١٨٩ هـ/٨٠٥م :</u>

قام رجال الدين والفقهاء بهذه الثورة ضد الحكم في قرطبة وأدت إلى صلب اثنين وسبعين من زعمائها وتتجمع أسباب هذه الثورات في ثلاثة أسباب رئيسية هي :

(١) عدم سير الحكم على سياسة أبيه هشام في الاعتماد على الفقهاء ورجال الدين ومشاركتهم في تقرير أمور الدولة فقد كان هشام يميل إلى الزهد والقيام بفرائض الدين على أكمل وجه ويدعو الفقهاء باستمرار إلى مجلسه بينما لم يتابع الحكم السير قواعد هذه السياسة ، فلم يعتمد على رأي الفقهاء في تدبير شئون الحكم مما أثار على حنقهم .

(٢) ما عرف عن الحكم من إدمانه لشرب الخمر والإنهماك في الملذات وقد يولغ في وصفه بتلك الأفعال مع أنها اعتبرت أمورا عادية في عهد غيره ولم تسبب قيام أية ثورة وإنما اتخذ ذلك ذريعة لمهاجمته وإثارة الناس ضده .

(٣) ما عرف عنه من القسوة في تصرفاته وفي أحكامه مما جعل له عددا كبيرا من الأعداء وخافه الناس فانضم عدد منهم إلى دعاة الثورة من الفقهاء ورجال الدين في محاولة للتخلص منه .

وبدايات هذه الثورة اجتماع عدد من الفقهاء في اجتماعات سرية فيما بينهم ومنهم يحيى بن مضر القيسي ومالك بن يزيد التجيبي وأبو كعب بن عبد البر وعدد من غير الفقهاء من وجهاء المدينة مثل مصرور الخادم وصاحب السوق وفي خلال عام ١٨٩هـ/٨٠٥م عقد المتأمرون من الفقهاء ومن يؤيدهم سلسلة من الاجتماعات لتدبير خططهم ولاختيار رئيس لهم وقد اتصلوا بمحمد بن القاسم أحد أبناء عم الأمير الحكم فأطلعوه على أمرهم وطلبوا منه الانضمام إليهم فتظاهر بالإجابة غير أنه أسرع إلى الأمير الحكم يخبره بتلك المؤامرة فما كان من الحكم إلا أن طلب تقديم دليل على ذلك قبل أن يبطش بهؤلاء المتأمرين واتفق محمد بن القاسم مع الحكم على أن يجتمع معهم مرة ثانية في وجود بعض رجال الحكم الثقاة وهم مختبئون في بعض مواضع المنزل ليتأكد الحكم من تلك المؤامرة .

وبالفعل حضر المتأمرون إلى بيت محمد بن القاسم يدعونه إلى تزعم حركتهم فطلب منهم تعداد أسماء رفاقهم الآخرين حتى يكون مطمئنا لهم فذكروا له كل من كان مشتركا معهم في الأمر فوعدهم بأنه سيحاول وضع المؤامرة موضع التنفيذ يوم الجمعة التالي حينما يخرج المصلون من المسجد بعد الصلاة وبعد ذلك اتجه محمد بن القاسم مع رجال الحكم إلى قصر الإمارة يخبرونه بأسماء المتأمرين فأمر الحكم

بالقبض عليهم في نفس الليلة فلم يتمكن من الهرب سوى عدد قليل أما الذين سيقوا إلى السجن فقد أعدموا بعد عدة أيام وصلبوا وكان عددهم اثنين وسبعين رجلاً .

وكانت تلك الإجراءات القاسية كفيلة بأن تحمد الحركة ولكن بصورة مؤقتة حيث انضم أقرباء وعائلات القتلى إلى هؤلاء الراغبين في التخلص من الأمير الحكم والذين لم يستطع الحكم القبض عليهم أو يعرف أسماءهم ونتيجة لهذه المؤامرة عمل الحكم على تحصين مدينة قرطبة وترميم أسوارها وحفر الخنادق حولها وأكثر الحراس أمام القصر وذلك عندما شعر بعدم الثقة في أهل العاصمة

ولكن في عام ١٩٠هـ/٨٠٦م انتهز أهل قرطبة خروج الحكم للغزو وغيابه عن العاصمة فحملوا السلاح وحاولوا قلب الحكم وعندما علم الحكم بذلك عاد مسرعا إلى العاصمة فدخل قرطبة بعد ثلاثة أيام حيث تمكن من القبض على رأس الحركة وهو أحد تجار المدينة فأمر بإعدامه مع عدد من أنصاره

*** ثورة الربض الثانية ٢٠٢ هـ/٨١٨م :**

مضت الأعوام الفاصلة بين تحركات الربض الأولى في قرطبة والتحركات الثانية وعددها اثني عشر عاما بهدوء وسكون غير أن سكان حي الربض الحي الثائر في قرطبة ينتظرون أي سبب لإعلان سخطهم وعصيانهم من جديد كما كان الفقهاء ولازالوا ينقمون على الحكم نفس الأشياء التي كانوا ينقمونها عليه من قبل وقويت صفوفهم بانضمام الفقيه يحيى بن يحيى الليثى وأخوه طالوت بن عبد الجبار وغيرهما .

وكان لهذه الثورة أسبابا نجدها جميعا بعيدة عن الحكم وإدارته وإرادته فقد ذهب أحد المماليك إلى أحد الصياقلة ليشحذ له سيفه وعندما تأخر الصيقلى بعض الوقت عن تنفيذ المطلوب نشب نقاش بين المملوك والصيقلي أدى إلى الاشتباك بالأيدي فما

كان من المملوك إلا أن سحب سيفه فطعن به الصيقلى فقتله مما أدى إلى هياج الشعب وإعلان العصيان .

وحدث أنذاك وربما في نفس اليوم الذي وقعت فيه حادثة الصيقلى أن كان الحكم خارجا للصيد ، فلما كان في طريق عودته إلى القصر اعترضه بعض الناس واسمعوه كلاما بذيئا فأمر بالقبض على عشرة من رؤساء سفهائهم ثم صلبهم فأدى ذلك إلى زيادة هياج العامة ضده .

وكان أول من ثار أهل الربض القبلي ثم اجتمع إليهم أهل الأرباض الأخرى بالسلاح بينما وصلت أخبار الهياج إلى القصر فاجتمع الجند والأمويون والعبيد وأخذوا يستعدون للدفاع عن أنفسهم فوزع الحكم عليهم السلاح ووزعهم في شكل كتائب على الأماكن المختلفة .. وما لبث الثائرون أن اشتبكوا مع جند الأمير في كل مكان وتمكنوا من التغلب عليهم وجعلوا وجهتهم القصر فأحاطوا به من كل مكان ولبس الحكم سلاحه وأخذ يحرض الناس على القتال .

وعندما رأى الحكم الخطر يحدق به من كل جانب قرر المقاومة حتى الموت ودعا أحد فتيانه وطلب إليه أن يأتى له بزجاجة عطر فاندهش الفتى وقال له «أهذا سيدى» فرد عليه الحكم : «انت به ويحك ! وإلا فمن أين يعرف رأس الحكم من غيره من الرؤوس إذا لم يكن مضمخا بالغالية (زجاجة العطر) ؟!. يوم طيب يا

وتكاثر أهل قرطبة المسلحون فأصبح القصر نفسه مهددا بالسقوط في أيديهم ورأى قواد الحكم أن يقوموا بخطة حربية هي الالتفاف حول الثائرين من الوراء وحصارهم بين قوتين : قوة المدافعين ضدهم من الأمام والقوة التي ستلتف حولهم وتحاول إحراق وبالفعل تم تنفيذ الخطة فأحرقت منازل الثائرين وما إن رأوا ذلك بدأ الثائرين منازلهم ، يتخلون عن القتال لإنقاذ منازلهم فأحاط بهم الجند من الأمام ومن الوراء وأثخنوا

فيهم القتل فهزموا وسقط عدد منهم من القتلى لا حصر له ،وقد استمرت ملاحقة الثائرين وقتلهم مدة ثلاثة أيام كاملة قبض خلالها على عدد كبير من روس الفتنة فأمر الحكم باختيار ثلاثمائة منهم وصلبهم أمام القصر فصلبوا على الوادي صفا واحدا من المرج إلى المسارة ورؤوسهم منكسة وبعد أن استمر القتل والنهب والحريق في أرباض قرطبة ثلاثة أيام استشار الحكم قواده في الكف عنهم أو في متابعة الانتقام منهم فمنهم من أشار عليه بذلك أو أشار عليه بتلك ، فقرر الحكم الأخذ برأي بعض قواده بالعفو وإعطائهم الأمان على شرط أن يرحل المشتركون في الثورة عن قرطبة مع أهلهم وأولادهم وأعطاهم مهلة ثلاثة أيام وإلا بعدها يباح دمهم ، قصار الناس يخرجون جماعات من قرطبة وقرر الحكم بعد ذلك هدم الربض وتفرق أهل الربض في جميع أنحاء الأندلس ومنهم من جاز المضيق إلى شمال إفريقية فسكن عدد منهم في مدينة فاس وسكن آخرون في مناطق أخرى بينما استقل عدد كبير منهم السفن إلى الإسكندرية ولكنهم طردوا منها بعد مدة فتوجهوا إلى جزيرة إقريطش (كريت) بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر البلوطى فافتتحوها ونزلوا فيها عام ٢١٢هـ/٩٦١م إلى أن استعادهاالبيزنطيون .

وقد عاش الحكم بعد «موقعة الربض» ما يقرب من أربع سنوات لم تظهر خلالها في قرطبة أية بادرة للخروج عليه حتى أن خلفاءه فيما بعد أبقوا المكان خاليا بدون بناء فظل على ذلك زمنا ولم يعمر إلا بعد ما يقرب من قرنين .

<u>* علاقة الدولة الاموية مع الفرنجة في عهد الحكم الربضي :</u>

تجمعت لدى شارلمان ملك الفرنجة العديد من العوامل التي تشجعه وتدفعه إلى التدخل في شئون الدولة الأموية بالأندلس فقرر تسيير حملة إلى برشلونة لانتزاعها من أبدى العرب وضمها إلى بلاد الفرنجة في ١٨٥هـ/٨٠١م حيث لم يستطع

حاكمها سعدون الرعيني الصمود أمام القوات الفرنجية فيتم تسليم المدينة في التاريخ المذكور .

ولم يحاول الحكم أن يرسل الجيوش لاسترداد هذه المدينة إلا في عام ١٩٩هـ/٨١٥م ورغم أن الجيش الذي كان بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسي ابن عم الحكم استطاع الالتحام مع الفرنجة أمام المدينة وقتل عدد كبير منهم إلا أنهم لم يستطيعوا استرداد المدينة من الفرنجة .

(٤) إمارة عبد الرحمن «الثاني» بن الحكم
(٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٦٢ م)

بويع بالإمارة في عام ٢٠٦هـ/٨٢٢م وسنه وقتها ثلاثون عاما وأمه تدعى حلاوة ويكنى بأبي المطرف وصفاته الجسمانية : طويل ، أسمر أكحل عظيم اللحية ويذكره المؤرخون باسم الأمير عبد الرحمن الأوسط نظرا لأن الأول كان عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر. ومن العمري وقد قيل في شخصيته أنه من كان ذا همة عالية «وأن أيامه كانت أيام هدوء وسكون»

وأنه كان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة» . ويعتبر عهد الأمير عبد الرحمن الثاني ذروة عصر الإمارة في الأندلس فقد كثرت الأموال في زمنه ووصلت أموال الجباية إلى مليون دينار في السنة وكانت لا تزيد على ستمائة ألف قبل ذلك .

كل هذا جعل بعض المؤرخين يسمون عهد الأمير عبد الرحمن بأيام العروس ويعتبرونها من أسعد الأيام التي عاشها أهل الأندلس في ظل الدولة الأموية وهذا ما جعل المؤرخ الأندلسي ابن الخطيب يصف عهده بقوله : «وفي أيامه احتفلت دولة

بني أمية بالأندلس وعظمت الألقاب وشيدت القصور وجلبت ليها المياه وجلبت إليه من المشرق بعد أن عانت الفتنة في قصور الأمير وخزائن بغداد لأخيرة الرفيعة» .

ويقصد ابن الخطيب بفتنة الشرق الفتنة بين الأمين والمأمون في الدولة العباسية وكان عبد الرحمن كريما متسامحا وكلفا بالنساء فقد حظيت جاريته طروب بمكانة يرة عنده جعلتها تتمتع بقدر كبير من السلطة خاصة عندما أنجبت له ولده عبد الله وقد حدث ذات مرة خلافا بينهما فصدت عنه الجارية ولم تعد إليه إلا بعد أن قدم لها مبلغا من المال وعقدا نفيسا من الجوهر غالي الثمن وكان عبد الرحمن ميالاً لرجال العلم والأدب مثل عباس بن فرناس وللموسيقيين وعلى رأسهم على بن نافع الملقب بزرياب . وكغيره من الأمراء قامت ثورات عديدة في عهد عبد الرحمن إلا أن أهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهده هي :

د مهاجمة النورمانديين للاندلس :

أطلق عدد من المؤرخين المحدثين على قراصنة الشمال اسم النورمان أو لنورمانديين وقد بدأ ترويعهم للشواطئ الأوربية الجنوبية في أواسط القرن ٣هـ/٩م بدأوا في مهاجمة السواحل الفرنسية ثم انتقلوا منها إلى السواحل الإسبانية . وكان من عادة هؤلاء ألا يسيروا إلا في جماعات كثيرة كي يتمكنوا من الدفاع عن فسهم عند الحاجة كما كان من عادتهم أن يرفعوا الأشرعة السوداء في الوقت الذي وم مجموعة منهم بمهاجمة المدن والقرى الساحلية ويتوغلون فيها بينما يظل دائما جموعة منهم على الشاطئ لحماية خطوط عودة أولئك الذين يقومون بالتوغل بعيدا عن شاطئ وللمحافظة على سفنهم من أن يقوم أحد بمهاجمتها .

الهجوم النورماندي الاول :

وكان أول ظهور النورمانديين في سواحل الأندلس في ذي الحجة ٢٢٩هـ/أغسطس

.....

حدث ذات مرة خلافا بينهما فصدت عنه الجارية ولم تعد إليه إلا بعد أن قدم لها مبلغا من المال وعقدا نفيسا من الجوهر غالي الثمن وكان عبد الرحمن ميالاً لرجال العلم والأدب مثل عباس بن فرناس وللموسيقيين وعلى رأسهم على بن نافع الملقب بزرياب. وكغيره من الأمراء قامت ثورات عديدة في عهد عبد الرحمن إلا أن أهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهده هي :

د مهاجمة النورمانديين للاندلس :

أطلق عدد من المؤرخين المحدثين على قراصنة الشمال اسم النورمان أو لنورمانديين وقد بدأ ترويعهم للشواطئ الأوربية الجنوبية في أواسط القرن ٣هـ/٩م بدأوا في مهاجمة السواحل الفرنسية ثم انتقلوا منها إلى السواحل الإسبانية . وكان من عادة هؤلاء ألا يسيروا إلا في جماعات كثيرة كي يتمكنوا من الدفاع عن فسهم عند الحاجة كما كان من عادتهم أن يرفعوا الأشرعة السوداء في الوقت الذي وم مجموعة منهم بمهاجمة المدن والقرى الساحلية ويتوغلون فيها بينما يظل دائما جموعة منهم على الشاطئ لحماية خطوط عودة أولئك الذين يقومون بالتوغل بعيدا عن شاطئ وللمحافظة على سفنهم من أن يقوم أحد بمهاجمتها

الهجوم النورماندي الاول :

وكان أول ظهور النورمانديين في سواحل الأندلس في ذي الحجة ٢٢٩هـ/أغسطس ٨٨٤م عند مدينة لشبونه في عدد من السفن تزيد على ٨٠ سفينة وقد تركوا لشبونة فقاموا بأعمال النهب والسلب وقاوم أهل المدينة وأرسل حاكمها إلى عبد الرحمن بطلب المساعدة فكتب الأمير عبد الرحمن إلى ولاته على المقاطعات الساحلية

خاصة بأن يقوموا بإرسال المساعدات إلى عامل لشبونة وقد ظلت لشبونة هدفا لغاراتهم لمدة ثلاثة عشر يوما ثم تركوها إلى قواعد جنوبية مثل قادس وشذونة وغيرها من المدن .

وقد حاولت بعض السفن العربية إعتراض طريقهم ولكن دون جدوى حيث هزمت وتابع النورمانديين طريقهم فنزلوا إشبيلية واحتلوها وأعملوا فيها السلب والنهب في حين كانت مقاومة الأهالي ضعيفة كما في معظم الأهالي إلى الجبال القريبة من المدينة وقام القراصنة بقتل الشيوخ وسبي النساء والأطفال وملئت مراكبهم بكل أنواع الغنائم والأطعمة والثياب علاوة على الأسرى وقد حدثت كل هذه الأحداث في أقل من شهر بعدها استطاع عبد الرحمن مواجهة هذا الخطر بالاستعداد الحربية وتنظيم الفرق العسكرية وتوزيعها وبدأت المواجهة بمناوشات عسكرية قرب إشبيلية ولكن المعركة الحاسمة حدثت قرب قرية طلياطة Tablada في ٢٥ صفر ٢٣٠هـ/١١ نوفمبر ٨٤٤م وقرية طلياطة تقع على بعد ميلين من إشبيلية وكان النصر حليف المسلمين في هذه المعركة وقتل عدد كبير من النورمان كما ألقى القبض على ما لا يقل عن أربعمائة منهم ما لبثوا أن أعدموا ونصبت لهم الأخشاب على ضفة النهر أمام أعين رفاقهم من الغزاة الذين كانوا يسرعون نحو مراكبهم ليبتعدوا بها عن المنطقة بعد أن تغلبت عليهم القوات العربية ، وقد انسحب النورمانديون بعد ذلك حتى رجعوا إلى مدينة لشبونة ومنها رحلوا عن البلاد .

وحرص الأمير عبد الرحمن بعد ذلك أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة مثل هذا الغزو مرة أخرى فأمر ببناء سور إشبيلية كما أمر بإقامة دار لصناعة السفن فيها .

وتجدر الإشارة إلى أن النورمانديين عندما تأكدوا من قوة المسلمين رأوا ضرورة التفاوض معهم وتحسين علاقاتهم بهم فأرسلوا سفارة إلى قرطبة بهدف توثيق

العلاقات ومع هذه السفارة رسالة وهدية وقام الأمير عبد الرحمن بالرد على ذلك بإرسال سفارة

المستمرون القمر ورمار وان اسوم بها رجال الدين الالترا الشتائم في الدين الاسلامي وانا ان اواما التمرين الذين يعلمون في السيارة بتحلمون به ركز مادى راستام چود يمارسون جميع أنواع العمل الحر ويحتلون عددا من وظائف الدولة الادارة واهم شروان ، فروا في أي وضمهم ولد العلم الكثيرين منهم بأصول اللغة المره وادارها وانتوا أنفاس الفني والموها وقام كثير منهم بتعريب الكتابات اللاتينية وترجم كثير من الم العربية القديمة إلى اللغة اللاتينية الأروا الحضارة العربية والأوربية

عدد وقد كان حركة النصر هام في فرماية رجلان من رجال الدين هما : أولوجيو والقارو فيدا بيثان أفكارهما بين المستعربين ويدفعاتهم إلى التلفظ بشتائم ضد الإسلام قصدا وأمام القاضي حتى يحكم عليهم بالإعدام وينالوا الاستشهاد فاقدم فعلاً منهم على ذلك وحكم عليهم بالموت حتى أن عددهم بلغ أحد عشر رجلاً خلال شهرين ومن أشهر هؤلاء فتاة تدعى فلورا وكانت من أن مسلم وأم مسيحية فلما مات أبوها وهي صغيرة نشأت على الدين المسيحي وقد شجعها أوارجيو على موقفها البغيض من الدين الإسلامي حتى حكم عليها بالإعدام واعتبرها المستعربون من الشهداء ولكن السلطة الإسلامية في قرطبة رأت أن أفضل ما يمكن عمله هو دعوة كبار رجال الدين المسيحي إلى عقد مجمع كنسى هام يناقش تلك الحركة ويصدر حكمه عليها خاصة وأن الغالبية

وأروع المصادر الأجثيرة أمال هذا التعصيب إلى أن يم لا مسيحيا تقوم بالفات ثانية حيال الدين الاسلامي إثر مشاجرة بينه وبين اثنين من المسلمين لما كان من قاضي المدينة – مدينة قرماية – إلا أن حكم عليه بالإعدام .

مماثلة ترافق الوفد النورماندي في عودته إلى بلاده على رأسها الأديب والشاعر يحيى ابن حكم العزال .

*** موجة التعصب الديني :**

تميز عهد الأمير عبد الرحمن بموجة من التعصب الديني قام بها عدد من المستعربين المقيمين بقرطبة وعلى رأسهم بعض رجال الدين فأطلقوا الشتائم ضد الدين الإسلامي ولقد كان أولئك المستعربون الذين يعيشون في قرطبة يتمتعون بمركز مادى واجتماعي جيد فيمارسون جميع أنواع العمل الحر ويحتلون عددا من وظائف الدولة الإدارية وتتجمع ثروات مغرية في أيدي بعضهم وقد اهتم الكثيرون منهم بأصول اللغة العربية وبآدابها واقتنوا أنفس الكتب وطالعوها وقام كثير منهم بتعريب الكتابات اللاتينية وترجم كثير من الكتب العربية القيمة إلى اللغة اللاتينية فأثروا الحضارة العربية والأوربية في ذات الوقت .

وترجع المصادر الأجنبية أصل هذا التعصب إلى أن رجلاً مسيحيا تفوه بألفاظ نابية حيال الدين الإسلامي إثر مشاجرة بينه وبين اثنين من المسلمين فما كان من قاضي المدينة – مدينة قرطبة – إلا أن حكم عليه بالإعدام .

عدد وقد قاد حركة التعصب هذه في قرطبة رجلان من رجال الدين هما : أولوجيو والفارو فبدأ يبثان أفكارهما بين المستعربين ويدفعانهم إلى التلفظ بشتائم ضد الإسلام قصدا وأمام القاضي حتى يحكم عليهم بالإعدام وينالوا الاستشهاد فأقدم فعلاً منهم على ذلك وحكم عليهم بالموت حتى أن عددهم بلغ أحد عشر رجلاً خلال شهرين ومن أشهر هؤلاء فتاة تدعى فلورا وكانت من أب مسلم وأم مسيحية فلما مات أبوها وهي صغيرة نشأت على الدين المسيحي وقد شجعها أولوچيو على موقفها البغيض من الدين الإسلامي حتى حكم عليها بالإعدام واعتبرها المستعربون من الشهداء

ولكن السلطة الإسلامية في قرطبة رأت أن أفضل ما يمكن عمله هو دعوة كبار رجال الدين المسيحي إلى عقد مجمع كنسي هام يناقش تلك الحركة ويصدر حكمه عليها خاصة وأن الغالبية العظمى من المسيحيين لم تكن موافقة عليها ومؤيدة لها بل كانت تعبرها مضرة بمصالحها .

وانعقد المجمع الكنسي ومثل الحكومة فيه أحد كبار الموظفين المسيحيين ويدعى جومت بن أنطونيو الذي عرف بوقوفه ضد التعصب الديني وكذلك رئيس قساوسة إشبيلية ويدعى ريكافريدو ورئيس المجمع وبعد مناقشات دامت بضعة أيام توصل أعضاء المجمع إلى اتخاذ قرار بحظر الإقدام على مثل تلك الأعمال والتلفظ بأى أقوال نابية في حق الإسلام واعتبار من يقوم بها مسئولاً عن عمله ومخالفا لتعاليم الكنيسة .

وبذلك خمدت تلك الحركة مع مرور الزمن وعادت الأمور إلى طبيعتها وعاد التعاون بين المستعربين والسلطات الحاكمة في قرطبة إلى ما كان عليه من قبل وقد عرف عن عبد الرحمن تشجيعه لرجال العلم والفكر والفن وأهم هؤلاء العالم الرياضي عباس بن فرناس ورائد الموسيقى الأندلسية على بن نافع الملقب بزرياب والسياسي الكبير والشاعر يحيى بن حكم الملقب بالغزال .

أما عباس بن فرناس فقد كان عالما مرموقا ولقب بحكيم الأندلس وكان من أهم أعماله استنباطه صناعة الزجاج من حجارة خاصة انتشر وجودها بالأندلس كما كان أول من فك في تلك البلاد كتاب العروض للخليل بن أحمد وقام بصنع الآلة المعروفة بالمنقالة أو النقالة لمعرفة الأوقات ولكن المجال الذي ذاعت فيه شهرته هو مجال دراسة طيران الطير ومحاولة تقليده في إرتفاعه وهبوطه وكانت له محاولة في الطيران استطاع فيها بعد أن كسا نفسه بالريش الطيران لمدة بسيطة ثم وقع بتأثير الجاذبية الأرضية ولم يكرر المحاولة ثانية .

وقد اهتم عباس بن فرناس بالفلك كما كان شاعراً أما زرياب فقد كان أميرا للطرب والغناء في المشرق والمغرب عاش القسم الأول من حياته في بغداد مولى للخليفة العباسي المهدي ثم انتقل إلى كنف الخليفة الرشيد قبل أن يرحل نهائيا إلى الأندلس ويقضى فيها بقية حياته .

وقد درس زرياب الموسيقى والغناء على يد أستاذه إسحق الموصلي في بغداد حتى تفوق عليه ويقال أن إسحق توعده وهدده إن لم يترك المشرق وبالفعل ذهب إلى المغرب ثم إلى الأندلس وهناك قربه الأمير عبد الرحمن إليه وأمر له براتب شهرى مانتا دينار وأن يعطى أولاده الأربعة عشرون دينارا كل شهر وأن يعطى ثلاثة آلاف دينار في كل عام علاوة على الطعام والدور والضياع بقرطبة وبساتينها .

وقد أدخل زرياب في الأندلس بعض التحسينات على العود فزاد عدد أوتاره من أربعة إلى خمسة وقد أثر زرياب في المجتمع الأندلسي تأثيرا كبيرا فطوره من حيث التقاليد والعادات والملبس والطعام فمن ذلك أنه أوجد طرقا لتصفيف الشعر بالنسبة للرجال والنساء وأخذ الناس عنه تفضيل أواني الزجاج الرفيع على أواني الذهب والفضة وتفضيله فرش الجلد الناعم على ملاحف الكتان وارتداءه في كل فصل من فصول السنة نوعا مختلفا من الملابس فكان يرتدي الزي الأبيض في فصل الصيف ثم يرتدي الملابس الملونة في الأشهر الأخرى من السنة،وكان له طريقة في ترتيب الطعام على الموائد

أما عن الأمير عبد الرحمن فقد نجا من محاولة لقتله بطريق دس السم له في دواء من قبل جاريته طروب التي أرادت تولية ابنها عبد الله للعهد ولكنه نجا من هذه المؤامرة وتولى بعده ابنه محمد وكانت وفاة الأمير عبد الرحمن في ٤ ربيع الآخر ٢٣٨هـ عن عمر يناهز اثنان وستون عاما وقد اختار ابنه محمد من بين أبنائه الذكور ليخلفه في الإمارة .

*** الهجوم النورمانى الثاني ٢٤٥ هـ/٨٥٩م :**

عاد النورمان إلى مهاجمة الأندلس في اثنين وستين مركبا وأبحروا حول الجزيرة الأندلسية حتى وصلوا إلى الجزيرة الخضراء وأحرقوا مسجدها الجامع ثم دخلوا مياه البحر المتوسط وهاجموا مدينة نكور في الشمال الإفريقي ثم عادوا إلى شواطئ الأندلس الشرقية ثم عبروا مضيق جبل طارق تجاه الساحل الغربي وفي هذا الهجوم خسر النورمان ما يزيد على أربعين مركبا وعدد كثير من رجالهم وقد استفاد الأندلسيون بهجوم النورمان الأول لذا عندما حاولوا تكرار الهجوم وجدوا الوضع كما يصفه بن عذارى:"وجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين معدة تجرى من حائط إفرنجة إلى حائطجليقية في الغرب الأقصى»

***الهجوم النورماني الثالث :**

كان في عام ٤٧هـ/٨٦١م وفيه لم يهاجم النورمان ساحل الأندلس الغربي بل انحدروا نحو الجزيرة الخضراء وردوا هناك وبعد هذا الهجوم توقف النورمان عن غزو السواحل الأندلسية حتى كان هجوم في عصر الخليفة الحكم المستنصر في سنوات ٣٥٥، ٣٦٠ ، ٣٦١هـ.

(٥) إمارة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
(٢٣٨ – ٢٧٣ هـ / ٨٦٢ – ٨٨٦ م)

هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، يكنى أبو عبد الله وأمه أم ولد اسمها بهير وهو الخامس من أفراد بني أمية بالأندلس وتولى الإمارة في ٥ ربيع الآخر عام ٢٣٨هـ/

٢٣ سبتمبر ٨٦٢م وكانت مدة حكمه حوالي خمسة وثلاثين سنة وتوفي في ٢٧٣هـ عن عمر يناهزخمسة وستين عاما

ووصف بأنه كان أبيضا مشريا بحمرة ربع القامة كثيف اللحية علاوة على ذكائه وفطنته بالأمور محبا لعلوم الحديث والأدب .

وقد كان من أهم الأحداث في أول عهده إعلان ابن أفلح صاحب تاهرت في شمال إفريقية تأييده للأمر محمد فأصبح لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته إلا عن رأيه وأمره . وكذلك وضع بنو مدرار بسجلماسة أنفسهم وإمكانياتهم تحت تصرفه .

أما ملك الفرنجة فصار يهاديه ويتودد إليه وبذلك يكون الأمير محمد قد افتتح عهده بضمان خضوع عدد من جيرانه الأقوياء له فأمن بذلك شرهم وتمكن من أن يلتفت إلى الدويلات الشمالية التي كانت لابد أن تظل معادية له

وقد كانت من أوائل أعمال الأمير محمد أيضا إعفاؤه الناس من الخروج الإجباري في الصوائف التي كان يرسلها غازيا إلى بلاد العدو ، فلقد كان معتادا حتى ذلك الوقت أن كل من تستدعيه الدولة للقتال عليه أن يلبي نداء الواجب ولكن الأمير محمد رأى أن يقوم بعمل يزيد من حب الناس له فترك أمر الخروج للجهاد لمن يريد أن يتطوع لذلك بمحض إرادته دون إجبار فسر الناس بذلك التشريع دون أن تضعف قوة الدولة العسكرية لأن عدد المتطوعين ظل كافيا .

وقد واجهت الأمير محمد العديد من الاضطرابات في عهده في كثير من المدن منها طليطلة ثم ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي وسعدون السرنباقي بعادة وهما من المولدين ثم ثورة بني لب في سرقسطة علاوة على ثورات أخرى متفرقة في رندة ووشقة والجزيرة الخضراء على أن أهم الثورات هي ثورة عمر بن حفصون :

*** ثورة عمر بن حفصون :**

(اسمه عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان ابن فرغلوش بن اذفونش) كان عمر بن حفصون من المولدين الذين دخل أسلافهم في الإسلام وعاشوا في ظل الدولة العربية في الأندلس وكان أبوه فلاحا بسيطا وقد حدث أن تشاجر في صباه مع شخص من جيرانه فقتله فتبرأ أبوه منه وعندها فر عمر إلى مكان آخر خوفا من العقوبة ثم تعرف على بعض الشباب الماجنين الذين ساعدوه في بعض أعمال السطو والسرقة فقام عامل مدينة رية Reyya بالقبض عليه وقام بضربه بالسياط ، بعدها توجه عمر بن حفصون إلى شمال إفريقية واستقر بعض الوقت في مدينة تاهرت ووجد عملاً عند رجل من الخياطين كان أصله من الأندلس ومن مدينة رية بالتحديد .

وكان عمر بن حفصون طموحا فقرر العودة إلى الأندلس واتصل بعمه الذي ساعده في جمع نحو أربعين رجلاً حوله ليعلن الثورة على الإمارة الأموية في جبل ببشتر وكان ذلك في عام ٢٦٧هـ/٨٨١م

وقد تمكن من السيطرة على ذلك الجبل وذاع صيته في تلك الأنحاء وقد حاول عامل رية عامر بن عامر أن يخمد ثورة ابن حفصون ولكن قواته هزمت في المعركة مما دعا الكثيرين من أنصار الشر والفساد أن يجتمعوا إليه ويؤيدوه وقد عمد الأمير محمد إلى عزل العامل عامر بن عامر عن كورة رية على إثر هزيمته وعين مكانه عبد العزيز بن عباس فهدأت الثورة في عهده ولكن عندما عزل عبد العزيز عاد ابن حفصون إلى التحرك والثورة رأى الأمير محمد أن الأمر قد استفحل فقرر في عام ٢٧٠هـ/٨٨٣ م أن يسير إليه جيشنا بقيادة قائده المفضل هاشم بن عبد العزيز الذي سار إلى حصار ابن حفصون فى بيشتر ونجح في أن يجعله يطلب الصلح والأمان فأعطى له ذلك الصلح وخرج من حصته وعاد الجميع برفقة هاشم إلى قرطبة حيث أعطى ابن حفصون دارا للسكن وأعطيت له أرزاقا يتعيش منها.

وقد انضم عمر بن حفصون إلى الجيش الأندلسي وعندما ظهرت مهارته الحربية قرر الثورة مرة أخرى ففر من قرطبة وعاد إلى مركز ثورته ليعلنها من جديد فقام بطرد عامل الإمارة على منطقة بيشتر واشتد أمره وسلطانه حتى ملك ما بين الجزيرة الخضراء وتدمير فكان على الأمويين أن يعودوا لحربه بأقصى سرعة ممكنة .

وقد توجه لقتاله هذه المرة المنذر بن الأمير محمد فتوحه إليه في عام ٢٧٣هـ/٨٨٩م وفرض عليه حصارا شديدا دام فترة من الزمن ولكن أثناء الحصار توفى أبوه الأمير محمد في ٢٨ صفر / ٤ أغسطس من نفس العام فرأى ضرورة رفع الحصار والعودة إلى قرطبة وبذلك توفى أول أمير من الأمراء الذين عاصروا ثورة ابن حفصون دون أن يستطيعوا إخمادها نهائيا ولم يتمكن من ذلك سوى الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر .

ثورة عمر بن حفصون في عهد الأمير المنذر بن محمد :

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن يكنى أبو الحكم وأمه تسمى أيل ، عرف بأنه كان أسمرا طويلاً ، جعد الشعر كثيف اللحية لم يحكم سوى سنتين تقريبا ومات وهو في ريعان شبابه ولم يخلفه أحد من أولاده في الحكم بل خلفه أخوه عبد الله.

ونعود لعمر بن حفصون الذي ما إن سمع بوفاة الأمير محمد وانصراف جيوش المنذر بعيدة عنه حتى قام بالثورة وكان يحاول أن يخدع الناس بأهدافه وأسباب ثورته فيقول لهم أنه قام ليحررهم من عبوديتهم ويأخذ بثأرهم

وقد استجاب له الكثيرون فقد كان يحظى بالعديد من الصفات التي جعلتهم يلتفون حوله فقد كان يتودد لأصحابه ويتواضع لهم وكان شديد الغيرة حافظا للحرية ويذكر أن المرأة في أيامه أصبحت تسافر بالمال والمتاع من بلد إلى بلد بمفردها فلا يقدر أو يجرؤ أحد على اعتراضها لأن عقوبة المعتدى كانت السيف رجلا كان أم إمرأة أم

صبيا وكان ابن حفصون لا يطلب شهودا على ذلك بل يكتفي بالشكوى على أن تكون منطقية معقولة وكان يأخذ الحق حتى من أولاده ويبر الرجال ويكرم الشجعان ويعفو عنهم عند المقدرة.

كل هذه الأمور كانت عونا معنويا كبيرا لابن حفصون مكنية من أن يحتل مساحات شاسعة من الأندلس حتى ربما كان أملاكه أوسع من أملاك أمراء قرطبة .

وفي عام ٢٧٤هـ/٨٨٧م خرج الأمير المنذر بجيوشه نحو عمر بن حفصون فافتتح الحصون التي كانت بيده في منطقة ريه وفي منطقة قبرة ثم توجه إلى مدينته الرئيسية بربشتر فحاصره فيها ودمر ما حولها وضيق عليه الخناق ثم انتقل إلى أرشذونة وبها حليف عمر بن حفصون ويدعى عيشون فحاصر الأمير المنذر أرشذونة فترة طويلة من الزمن فقرر الأهالي أن يفاوضوا الأمير على أن يسلموه عيشون فقبل الأمير هذه المفاوضات ودخل المدينة وقبض على عيشون وأصحابه.

أما العام الأخير من إمارته وهو عام ٢٧٥هـ/٨٨٨م فقد قصد الأمير المنذر المقر الرئيسي لابن حفصون مباشرة وهو بربشتر وكان لابد له من المرور على أرشنونة التي سبق له أن أخضعها غير أنها عادت إلى الانحياز لابن حفصون فخرج رسل أهل المدينة وقدموا له الطاعة فقبل ذلك منهم وقام بفتح قصبة أرشنونة ثم توجه إلى بربشتر .

وطال حصار مدينة بريشتر وبدأ اليأس يدب في نفوس أهلها ففكر ابن حفصون في فكرة وهي طلب الطاعة من الأمير المنذر والنزول على إرادته على أن يجعله الأمير من خاصة قادته ويسكنه قرطبة مع جميع أفراد عائلته وأن يجرى عليه الأرزاق ، فقبل المنذر تلك الشروط وأعطاه الأمان وأمر بأن تحمل مائة من البغال بالثياب الطعام والمؤونة وأن ترسل إلى جماعته وأمر بأن يقودها إليه مائة وخمسون من

الفرسان إكراما له ودليلاً على حسن نيته بينما كان ابن حفصون إلى جانب الأمير في معسكره .

وأخذ الجيش بفك الحصار عن المدينة والاستعداد للرحيل وما إن خيم الليل حتى انتهز ابن حفصون الفرصة وهرب من معسكر الأمير وتبع البغال المرسلة إليه وحرسها فقاتل الحرس وأخذ منهم تلك الهدايا وعاد إلى الثورة مما أثار غضب المنذر فأقسم ألا يبرح المكان قبل أن يخضعه وألا يقبل منه الطاعة أو الاستسلام بعد ذلك وشدد الحصار على مدينة بريشتر حتى قاسى كلا الطرفين من هذا الحصار ولكن المنية وافت الأمير المنذر وهو يحاصر مدينة الثائر عمر بن حفصون ليستكمل التصدي له.

الأمير عبد الله بن محمد أخو الأمير المنذر

استمرار ثورة عمر بن حفصون في عهد الامير عبد الله بن محمد :

هو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم يكنى أبو محمد وأمه أم ولد تسمى بهار أو عشار ويعتبر السابع من أمراء بني أمية وقد بويع بالإمارة في نفس اليوم الذي توفى فيه أخوه المنذر وهو يحاصر بريشتر أي في منتصف شهر صفر ٢٧٥هـ/٨٨٨م

وقد وصف بأنه كان أبيضا مشربا بحمرة أزرق العينين ربع القامة وكان شديد التقوى والورع ومداوما على إقامة الصلاة مبتعدا عن الشراب والملذات فاقتدى به معظم الخاصة والعامة

وقد تابع عمر بن حفصون ثورته ضد حكومة قرطبة في عهده بل أن شركته قويت في عهد الأمير عبد الله لأنه كان ثالث أمير أموى أندلسي يعاصره ابن حفصون لحن أن تستطيع الجيوش الرسمية القضاء على ثورته .

وتجدر الإشارة إلى أن عمر بن حفصون كان إنتهازيا ولم يكن ينادي في ثورته هذه بمبادئ معينة أو أهداف معينة ولكنه كان طموحا يبغى الحصول على شيئ من السلطة والجاه والمال ولم يعلن ثورته لتحرير رقعة من الأرض مثلاً أو تحقيق مبدأ يؤمن به ولذلك فإنه لم يتأخر عن الاتصال والاتفاق مع أية جهة كان يعتقد أنه يمكن أن تعود إليه بالمنفعة فقد قام بمراسلة ابن الأغلب صاحب إفريقية وأظهر ابن حفصون بعد ذلك الدعوة العباسية ودعى للعباسيين على منابر مساجد المنطقة التي كانت تقع تحت حكمه ثم عندما رأى أن الاتصال بالأغالبة في إفريقية والعباسيين في المشرق لم يفده اتصل بملك جليقية وعرض عليه ولاءه مقابل دعمه ضد حكومة قرطبة بل وصل به الأمر إلى أكثر من ذلك فأعلن تركه للإسلام واعتناق النصرانية كي يثبت إخلاصه لملك جليقية .

ثم عندما تغلب الفاطميون على الشمال الإفريقي واحتلوا القيروان وانتزعوها من يد الأغالبة أرسل ابن حفصون طاعته إلى الفاطميين ودعا لعبيد الله الفاطمي وبعد بضع سنوات وصل عبد الرحمن الناصر إلى إمارة الأندلس وأعلن الخلافة وأظهر الكثير من القوة والحزم فأعلن ابن حفصون عودته إلى طاعة بني أمية بالأندلس لكن الناصر لم ينخدع بأفعاله تلك وتمكن من القضاء عليه وعلى ثورته .

وتوالت في عهد الأمير عبد الله إرسال القوات إلى حصار ابن حفصون ولكن دون أن تتحقق في أي جانب كان الانتصار أو الهزيمة حتى عام ٢٨٦هـ/٨٩٩م حدث أن أعلن ابن حفصون اعتناقه للنصرانية وأمر ببناء الكنائس في منطقته وتقوية صلته بملك جليقية.

ولكن إعلان ابن حفصون لاعتناقه النصرانية أضره ولم يفده من الناحيتين السياسية والعسكرية فإذا كان حكام شمال إفريقية من الأغالبة أو الفاطميين قد تعاطفوا مع قضيته كثيرا أو قليلاً فقد كفوا عن ذلك عند تركه الإسلام واعتبره الجميع خارجا عن الدين يجب قتاله بل يجب إعلان الجهاد ضده حتى أنه وجود في شمال إفريقية كثير من الناس اجتازوا الأندلس لحربه لأنهم اعتبروا خطوته هذه نوعا من التحدى .

وفي السنوات التالية ابتداء من ٢٩١هـ/٩٠٤م تكررت انتصارات القوات الرسمية على ابن حفصون ولمدة عشر سنوات بعدها حيث توفى الأمير عبد الله في عام ٣٠٠هـ/٩١٣ م حيث كانت الهزيمة باستمرار من نصيب ابن حفصون حتى ضعفت قواته وتمكن عبد الرحمن الناصر من القضاء عليه نهائيا

وتجدر الإشارة أن الأمير عبد الله كان يفضل ابنه محمد على بقية أولاده حتى أنه فكر في أن يوليه الإمارة من بعده مما أثار حفيظة أخوه المنذر الذي دبر المكائد والدسائس لأخيه محمد عند أبيه عبد الله وقد تمكن المطرف من قتل أخيه والأمير عبد الله خارج قرطبة وقد سجنه أبوه قبلها لوشاية صنعها المطرف وعندما عاد عبد الله إلى قرطبة رأى أن يستقدم حفيده عبد الرحمن بن محمد ليرعاه ويربيه وهو ما سيكون بعد ذلك خليفة بني أمية بالأندلس ، عبد الرحمن الناصر وبعدها اجتمع وجهاء قرطبة على قتل المطرف بن عبد الله وكانت وفاة الأمير عبد الله في مستهل شهر ربيع الأول ٣٠٠هـ/٩١٢م بعد أن حكم أكثر من ربع قرن وبلغ الثانية والسبعين من عمره فتولى بعده حفيده عبد الرحمن بن محمد

ويجمع المؤرخون على القول بأن الأمير عبد الله كان آخر أمراء بني أمية في الأندلس لأن عبد الرحمن بن محمد كان أول الخلفاء .

فحكام بني أمية في الأندلس منذ عبد الرحمن الداخل حتى عبد الله بن محمد اكتفوا بلقب الأمير إلى أن جاء عبد الرحمن أو الناصر فقرر بعد ستة عشر عاما من وجوده في الحكم ولأسباب مختلفة قرر اتخاذ لقب الخليفة فبدأ بذلك عصر الخلافة في الأندلس الذي سيدوم حتى زوال سلطة بني أمية نهائيا في عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م حين تتجزأ الأندلس إلى ما يعرف بممالك الطوائف .

ثانيا : عصر الخلافة الأموية (٣١٦-٤٠٠هـ) :

عبد الرحمن الناصر

(٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م)

توفى الأمير عبد الله في عام ٣٠٠هـ/٩١٢م فتولى بعده حفيده عبد الرحمن بن محمد على الرغم من وجود أعمامه وأعمام أبيه ولعل الظروف السياسية التي مرت بها الدولة الأموية وقتها وطبيعة شخصية هذا الأمير الشاب هي التي أدت إلى أن يتولى الحكم ويتخطى أعمامه ليصل إلى عرش الإمارة .

وقد نشأ الأمير عبد الرحمن يتيما فرعاه جده الأمير عبد الله وتعلم العلوم والآداب وفنون الفروسية والسياسة حتى لفت أنظار الخاصة ، خاصة وأن جده كان يوكل إليه التصرف في بعض الأمور وينيبه عنه في كثير من المناسبات وهذا ما حذا بجده أن يوليه ولاية العهد من بعده كما تروى كثير من المصادر .

وعلى الجبهة الخارجية كانت القوى المعادية تنتظر الفرص وتتحينها للوثوب والإغارة على السلطة الأموية مما جعل كبار رجال الدولة ينصرفون إلى عبد الرحمن الذي أظهر نبوغا واستحقاقا لأن يكون خليفة بني أمية بالأندلس ، وعليه تمت له البيعة في نفس اليوم الذي توفي فيه جده ، ثم بايعه كبار الموظفين في الدولة وتمت له البيعة العامة في المسجد الجامع بقرطبة وأرسلت الرسل لأخذ البيعة من الكور وولاة الأقاليم ، وعندما اعتلى الأمير عبد الرحمن كرسي الإمارة أرسل ما يشبه المنشور إلى كافة أعمال الأندلس يؤكد فيه على اتخاذ موقف التسامح تجاه القوى المناوئة للسلطة إذا ما أعلنت ولائها للسلطة الأموية وإلا فإن السلطة الأموية قادرة على التصدي لهؤلاء المتمردين أو المتحالفين مع القوى الأجنبية ضد الدولة .

وعند تولى عبد الرحمن الإمارة عمل على إصلاح الشئون الإدارية والاهتمام بالقوات العسكرية وقام بمجهودات ضخمة حتى استطاع أن يكسب العديد من الزعماء المتمردين والخارجين عن الدولة واستخدامهم في ضرب القوى التي ظلت على الإغارة على ممتلكات الدولة وخاصة القوى الأجنبية .

لذا استطاع الأمير عبد الرحمن أن يقود حملة كانت أولى الحملات له واستغرقت ثلاثة أشهر في عام ٣٠٠هـ أسمتها المصادر العربية بحملة أو غزوة المنتلون استطا ع فيها تحرير أكثر من سبعين حصنا مهما إضافة إلى كثير من الأبراج والقصبات التي يفوق عددها ثلاثمائة.

ويظل ابن حفصون خطرا يهدد الدولة الأموية فعلى الرغم من أن هذه العمليات العسكرية التي قام بها عبد الرحمن قد نجحت في السيطرة على الحصون المتمردة غير أن حصن ابن حفصون في ببشتر ظل صامدا أمام السلطة الأموية وأيقن الأمير عبد الرحمن أنه لا سبيل إلى تحقيق وحدة الأندلس سياسيا سوى بالقضاء على زعيم العصاه عمر بن حفصون الذي مازال يسيطر على مناطق واسعة من البلاد تمتد ما بين كورة رية والجزيرة الخضراء من جهة والبيرة وأحواز قرطبة من جهة أخرى .

وعليه قاد الأمير قواته في شوال سنة ٣٠١هـ ودارت معركة حاسمة قرب قلعة طرش يث تمكنت قوات الدولة من تدمير القوة الرئيسة للعصاة وأجبرتهم على الارتداد ناحي رب وبذلك دخلت الجزيرة الخضراء وأعمالها تحت سيطرة قرطبة المركزية واستمرت العمليات العسكرية في اتجاهات مختلفة .

وكان ابن حفصون قد شعر قبل غيره بتهديد مركزه كزعيم للمتمردين فأعلـ سلامه بعد ثلاثين سنة من التمرد والعصيان في مقابل كتاب عهد له وللحصون الت ت تحت سيطرته وتم ذلك في ٣٠٣هـ وقد ظل ابن حفصون ملتزما بهذا العهد حتى وفاته سنة ٣٠٥هـ، أما أبناء ابن حفصون فقد كانوا يحكمون مدنا وحصونا بتفويض من والدهم وبموافقة الأمير عبد الرحمن المناطق لكن بن حفصون تمردوا على الأمير غير استطاع التخلص منهم استطاع التخلص مقاومات المتمردين الأندلس ونجح في ٣١٧دخلت الأمير شاطبة وطليطلة بعد طويل وكذلك وبطليوس ٣١٨بعد قتال شديد

وهكذا استطاع عبد الرحمن الناصر استعادة الوحدة الوطنية إلى الأندلس ونجحت السلطة المركزية السيادة البلاد

ويلي ذلك خطوة هامة قام بها عبد الرحمن هو اتخاذ ألقاب الخلافة التي استبعدها الأمراء الأمويون معللين الخلافة تكون لمن يملك الحرمين الشريفين وعليه كان امتناعهم عن اتخاذ الخلافة يرجع إلى عدم والخلافات الدينية والمذهبية في العالم الإسلامي

وكان من الطبيعي من دولتين متنافستين تطل كل منهما على مجرى واحد هو البحر المتوسط أن يهتم الناصر بالقوة البحرية وهذا لم يكن في عهد الناصر فقط ولكن هذا الاهتمام بدأ منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط عندما تعرضت بعض السواحل الأندلسية ومدنها إلى هجمات النورمان ومع بداية عصر عبد الرحمن الناصر وتزايد خطر الفاطميين بدأ الأمويون يحكمون سيطرتهم على سواحلهم ولا سيما منطقة جبل طارق وعمل الأسطول الأندلسي على منع الإمدادات التي كانت الدولة الفاطمية تزود بها المتمردين في الأندلس ومنهم زعيمهم عمر بن حفصون وتمكنت وفي مرات عديدة إغراق السفن الفاطمية ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بهذه الإجراءات بل هاجم أهم المدن المغربية المطلة على البحر المتوسط وضمها إلى دولته

ففي سنة ٣١٤ هـ استولى الأسطول الأندلسي على مدينة مليلة وطنجة وفي سنة ٣١٩هـ استولى على مدينة سبتة

لذا أصبحت المناطق التي سيطر عليها الأسطول الأندلسي قواعد للإنطلاق في بلاد المغرب وقوة حصينة لبلاد الأندلس تمنع أعداء الأمويين وخاصة الدولة الفاطمية من محاولة التفكير في الهجوم عليها .

وبعدما استقرت الأمور سياسيا للخليفة الناصر كان من الطبيعي أن تكون دولته على قدم المساواة مع الدولة الأخرى الإسلامية منها والأوربية وكان من الطبيعي أن تستمر أو تتواصل العلاقات مع هذه الدول من منطلق مبدأ الندية فكانت له علاقات طيبة مع الدولة البيزنطية والدولة الرومانية المقدسة وكذلك الممالك الإسبانية الشمالية

فبالنسبة للدولة البيزنطية عمل الناصر على توطيد العلاقات مع الدولة البيزنطية ذات العداء المشترك مع الخلافة العباسية وقد عاصر الخليفة الناصر امبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذي عرف عنه اهتمامه بالعلوم والثقافة وهي نفس اهتمامات الخليفة الناصر وبالنسبة للدول الرومانية المقدسة فقد أشار ابن عذارى وابن خلدون إلى وصول سفارة من قبل امبراطور الألمان أوتو الكبير في سنة ٣٤٢هـ وأرسل الناصر سفارة مماثلة إلى البلاط الألماني وعادت سفارة رومانية أخرى تجدد العلاقات بين الطرفين في أن تعقد الصداقة بين الطرفين الاتفاق على إيقاف غارات البحريين الأندلسيين على أملاك الامبراطورية الرومانية.

وبالنسبة للممالك الاسبانية الشمالية فقد عمل الخليفة الناصر على مهادنة هذه الممالك ومنها مملكة ليون فقد وصلت سفارة ملك ليون أردونيو الرابع لعقد معاهدة السلام بين الدولتين وذلك في سنة ٣٤٤هـ وفي سنة ٣٤٥هـ تمت المعاهدة مع أمير قشتالة وفي سنة ٣٤٧هـ وصلت إلى قرطبة ملكة نافار «طوطة» ومعها ولدها الأمير غرسية وعدد من كبار رجال الدولة وتم عقد معاهدة السلم بين الطرفين ثم سفارة ملك فرنسا لويس الرابع لتوطيد العلاقة بين البلدين.

وبعد أن وطد الناصر لحكمه في الداخل والخارج شهدت الأندلس في عهده ازدهارا اقتصاديا نتيجة حالة الهدوء السياسي والاستقرار والأمن الذي شهدتهم البلاد . فقد عرفت الأندلس في عهد الناصر بأنها أغنى دولة في العصور الوسطى نتيجة ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة وكثرة أموال الغنائم والأخماس .

فبالنسبة لمجال الزراعة : كان الخراج والجزية والأخماس من المصادر الرئيسية لخزينة الدولة وبدأت الزراعة بالازدهار نتيجة اهتمام الدولة بهذا المورد الهام فتم تحسين أحوال العمال الزراعيين وأسقطت بعض الضرائب عن المزارعين واشتهرت الأندلس بزراعة القمح والزيتون وأنواع الفاكهة المختلفة وكانت الثروة الخشية من أهم الثروات الزراعية علاوة على الثروة الحيوانية والسمكية.

واستطاع الأندلسيون استخراج المعادن المختلفة كالذهب والفضة والرصاص والحديد والزنبق والكبريت وكانت هذه المعادن تستتخدم في صناعة الأسلحة من سيوف ورماح ودروع إلى صناعات أخرى كالنسيج والملابس والأثاث والورق والزجاج والفخار .

أما في مجال التجارة فقد كانت موانئ المرية ومالقة من الموانى التي شهدت تبادلاً تجاريا مع الأقطار الأخرى ودخل الأندلس الكثير من التجار المغاربة والمشارقة حاملين بضاعة بلادهم وقد قام الخليفة الناصر في ٢١٦هـ بإنشاء دار السكة في عاصمة الخلافة قرطبة وكانت الدنانير تضرب من الذهب والدراهم من الفضة واستمرت هذه الدار في ضرب النقود حتى انتقال الناصر إلى مدينة الزهراء حيث أنشأ فيها دارا للسكة.

أما الجباية في الأندلس في عصر الخليفة الناصر فقد تعدت الملايين ، فالجباية من الكور والقرى كانت خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألف دينار ومن السوق سبعمائة وخمس وستين ألف دينار .

وكانت أموال الدولة مقسمة ثلاثة أقسام : الثلث الأول يتم صرفه على القوات العسكرية والثلث الثاني للعمارة والبناء والثلث الأخير يبقى في خزينة الدولة ومن

المعروف أن الخليفة الناصر قد ترك في خزائنه حوالي خمسة آلاف مليون دينار كما يروى المقرى .

وإذا كان الخليفة الناصر قد خصص للعمارة والبناء ثلث أموال الدولة فلابد أن تكون المنشآت المعمارية في عهده قد شهدت تقدما ظاهرا وجليا وهذا ما خلفته هذه الفترة من آثار عظيمة من عمائر دينية ومدنية ودفاعية واستمرت حتى وقتنا هذا وهذه المنشأت المعمارية العظيمة إن دلت على شئ فإنها تدل على الرخاء الاقتصادي الذي شهده الأندلس في تلك الفترة التاريخية الهامة .

وأول مظاهر الفخامة المعمارية هو مدينة قرطبة نفسها ، فقد كانت من أكبر وأجمل عواصم العالم فقد بلغ عدد سكانها أكثر من نصف مليون نسمة واشتملت على ما يربو من خمسمائة مسجد اشترك في بنائها الخاصة والعامة كما يروى المقرى ، ويعد المسجد الجامع أشهر وأكبر المساجد على الإطلاق ورائعة من روائع الفن في عصر دولة بن أمية بالأندلس وقد بلغ عدد الدور في قرطبة ما يقارب المائة ألف دار واشتهرت بحمامات فخمة بلغ عددها ثلاثمائة حمام علاوة على الفنادق والساحات والحدائق .

ومن أهم آثار الخليفة عبد الرحمن الناصر المعمارية هو مدينة الزهراء التي تم بناؤها على مسافة ثماني كيلومترات شمال غرب العاصمة قرطبة على سفح جبل العروس وكان لبناء هذه المدينة أسباب ودوافع من قبل الخليفة الناصر منها : أنه كان يريد أن يكون للخلافة مقرا جديدا غير مدينة قرطبة التي كانت قبل عهده دارا للإمارة أي أنه يريد عاصمة جديدة للخلافة الجديدة . كذلك شهدت المدينة قرطبة تزايدا سكانيا مطردا أدى إلى إزدحامها ازدحاما شديدا علاوة على ما عرف عن الناصر من اهتمامه وولعه ببناء القصور وتزيينها وصرف الأموال الوفيرة في هذا المجال وليس هناء من أثر يخلد ذكرى صاحبة أكثر من بناء مدينة بأكملها بدورها ومساجدها

وقصورها وأسواقها وعمائرها الإدارية لذا أراد الخليفة الناصر أن يخلد ذكراه كإحدى الصفات التي يتصف بها الخلفاء والسلاطين العظماء .

وعليه فقد بدأ بناء الزهراء في محرم سنة ٣٢٥هـ وقد عمل فيها جيش من العمال المهرة وقامت المدينة على مسطح من الأرض طوله من الشرق إلى الغرب ألفان سبعمائة ذراع وعرضه ألف وخمسمائة ذراع واستمر البناء فيها نحو أربعين سنة ، وبلغت نفقات كل سنة أكثر من ثلاثمائة ألف دينار وانتقل إليها الناصر بحاشيته وخواصه وخدمه في سنة ٣٣٦هـ.

وكان يشتغل في بنائها كل يوم من العمال والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب ألف وخمسمائة ويجلب لها من الصخر المنحوت نحو ست آلاف صخرة في اليوم .

وبني الناصر قصرا في الزهراء غاية في الروعة والفخامة كما أنشأ مسجدا عظيماً تم بناؤه في ثمانية وأربعين يوما وكان يعمل فيه كل يوم ألف من العمال والصناع والفنانين واستمر العمل في منشآت الزهراء طوال عبد الناصر وحتى وفاته في ٣٥٠هـ واستمر معظم عهد ابنه الحكم المستنصر واستغرق ذلك من عهد الخليفتين ما يقرب من أربعين سنة .

ولإنشاء مدينة الزهراء قصة وربما كانت أسطورة فتقول الروايات التاريخية أن الذي أوحى إلى الناصر ببناء هذه الضاحية الملكية هي جاريته الزهراء وأنه ورث من إحدى جواريه مالا كثيرا فأمر أن يخصص لافتداء الأسرى المسلمين ولكنه لم يجد من الأسرى من يفتدى فأوحت إليه الزهراء أن ينشئ بهذا المال الوفير مينة تسمى باسمها . ولكننا لا نرجح هذه الرواية خاصة إذا ما تعرفنا إلى الظروف السياسية والوضع المهيب للدولة الأموية في عهد الناصر مما يستدعى معه إنشاء مدينة وعاصمة جديدة بشكل ضرورى ولازم . ولكن الزهراء لم تعمر طولاً كقاعدة وعاصمة

للخلافة حيث استمرت كذلك فترة أربعين عاما فقط منذ نزول الناصر بها في عام ٣٢٩هـ حتى نهاية عهد ابنه الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ فقد استطاع الوزير محمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) أن يتغلب على الدولة وأن يقوم بالحجر على الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم ثم رأى أن ينقل قاعدة الحكم إلى منطقة جديدة أنشأها بجوار العاصمة قرطبة وذلك في سنة ٣٦٨هـ على نهر الواد الكبير وأطلق عليها اسم الزاهرة وقام الحاجب المنصور بنقل خزائن الأموال والأسلحة ودور النظم المختلفة في حين ظلت الزهراء مكانا للخليفة المحجور عليه هشام المؤيد غير أنها فقدت أهميتها السياسية .

وفي ربيع الأول سنة ٤٠١هـ/نوفمبر ١٠١٠م زحفت قوات البربر بقيادة سليمان المستعين زعيم الثورة الأموية على قرطبة لينتزعها من الخليفة هشام المؤيد واقتحم في طريقه مدينة الزهراء وفتكوا بحاميتها وسكانها وأحرقوا المسجد والقصر وتحولت هذه المدينة الزاخرة إلى أطلال.

وقد توفى الخليفة الناصر في رمضان سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م بعد حكم دام نصف قرن من الزمن قضاه في نضال مستمر على الجبهات الداخلية والخارجية وترك منجزات حضارية عظيمة على كافة المستويات الاقتصادية والإدارية والعمرانية جنى ثمارها من بعده خليفته وولده الحكم المستنصر .

العلاقات ين الفاطميين بالمغرب والامويين بالاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر :

وقد فكر الفاطميون منذ قيام دولتهم بالمغرب في غزو الأندلس ومهدوا لهذا الهدف بالدعاية الشيعية من جهة وبالجاسوسية من جهة أخرى لمعرفة أحوال تلك البلاد وكان من يقوم بهذه المهمة يتستر بحرفة أو بغرض لرحلته كالتجارة أو دراسة العلوم

أو القيام بجولة سياحية عبر بلدان العالم الإسلامي . وقد فطن الفاطميون إلى أهمية السيطرة واحتلال الأندلس في أنها سوف تجعل الغرب الإسلامي بدين لسيادتهم ، وقد بدا هذا الغرض واضحا منذ الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي .

وتجدر الإشارة إلى أن أحد الجواسيس الذين أرسلتهم الدولة الفاطمية إلى الأندلس هو الرحالة الشهير ابن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ) صاحب كتاب صورة الأرض وواضح من خلال مؤلفه عندما ذكر إقليم الأندلس أنه كان يظهر ما تمتع به الأندلس من ثروات زراعية ومعدنية وحيوانية علاوة على أنه شكك في مقدرة الأندلسيين القتالية في الدفاع عن الأندلس تحفيزا للفاطميين على الشروع في تنفيذ مخططهم نحو احتلال الأندلس .

وينبغي التأكيد على أن الدعاية الفاطمية لم تستطع اجتذاب أنصار بعدد كبير من الأندلس ويرجع ذلك إلى اختلاف مذهب الدعوة ، فالدعوة الفاطمية دعوة شيعية والأندلسيين يتبعون المذهب السني وخاصة مذهب الإمام مالك الذي تأصل في نفوسهم منذ البدايات الأولى للعصر الإسلامي على أرض الأندلس ، ولكن هذا لم يمنع من إجتذاب عناصر أندلسية إلى دعوتهم وكانت هذه العناصر مثار قلاقل وخلل في الدولة الأموية .

فعلى سبيل المثال : استطاع الفاطميون اجتذاب شخصية أندلسية مثل عمر بن حفصون الذي هدد الدولة الأموية ابتداء من عند الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٧٣-٢٣٨ هـ) ثم الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ) ثم الأمير عبد الله بن محمد (٣٠٠-٢٧٠هـ) وأخير الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي سيطر على هذه الثورة في عام ٣٠٣هـ .

ولكننا نجد أن عمر بن حفصون نفسه بعدما اعترف بزعامة الخليفة عبد الله المهدى الفاطمي وأمده الخليفة الفاطمي بما يحتاجه من ذخيرة وأسلحة نجده يتنكر لهذه الدعوة ويعيد داعيتين أرسلهما الخليفة الفاطمي لينشرا الدعوة الشيعية بالأندلس

كما نجد أيضا أن الدولة الأموية بالأندلس لم تقف موقف المتفرج من أطماع وأهداف الفاطميين في بلادهم أو في بلاد المغرب وما تحققه الدولة الفاطمية من توسعات على حساب أراضي القبائل البربرية في المغربين الأوسط والأقصى ، فقد استعمل نفس الخطة التي اتبعهه الفاطميون وهو الدعاية وإرسال الجواسيس وكان هؤلاء الجواسيس الأمويون يخبرون حكومتهم بكل ما يستجد من أحداث على أرض المغرب . كما حاولت الدولة الأموية في عصر الإمارة توطيد علاقاتها مع الدويلات المغربية المجاورة للعلويين مثل بنى رستم وبرغواطة وسجلماسة نكاية في الدولة الفاطمية

بالإضافة إلى ذلك كان للأندلسيين نشاط تجاري واسع النطاق في المغرب حيث أسست كثير من الجاليات الأندلسية على طول الساحل المغربي في أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي واستمر الأندلسيون يتدفقون على هذه المراكز للاستقرار وممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية وأولها : التجارة ، وكان لهذه الجاليات على أرض المغرب وإفريقية دور كبير في ترسيخ المذهب السني وخاصة المذهب المالكي ، فأهل المغرب والأندلس يتعصبون للمذهب المالكي .

وكان الفقهاء السنيون ، أكثر الفقهاء معارضة للفاطميين دائما ولاسيما الأندلسيين منهم فقد صاروا يؤلفون قوى راسخة للحرب ضد الفاطميين فأخذوا يذكون حماس الجماهير في الشوارع والمساجد وقت الصلوات وشجعوا الفرق الثائرة على الحكم الفاطمي وهو ما حدث في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) . ويتضح مما تقدم مدى السخط والغضب والرفض الذي أعلنه الفقهاء وعم غالبية

سكان الشمال الإفريقي ، وما وصل إليه الانقسام المذهبي الذي أحدثه الاحتلال الفاطمي لإفريقية والمغرب وهذه الأحداث بطبيعتها سوف تؤدى إلى تدعيم موقف الخليفة الأموى – السنى – عبد الرحمن الناصر وتمهد له الطريق للتدخل في بلاد المغرب تدخلاً مباشرا .

وعليه قام الخليفة الأموي بالقيام بعدة خطوات لمواجهة الفاطميين والحد من انتشار نفوذهم ، وهذه الخطوات هي:

(١) إعلان نفسه خليفة للمسلمين :

عندما استتب الأمر للأمير الأموى بالأندلس وانتهى من إخماد الفتن وخضعت له جميع أعمال الجزيرة الأندلسية بالطاعة أقدم على خطوة ، لم يجرؤ عليها أحد من أسلافه وهو تلقيب نفسه بالخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله وأرسل بذلك إلى كافة أقاليم الدولة يأمرهم بالدعاء له على المنابر باسم أمير المؤمنين الناصر لدين الله في كتاب نصه كالتالي

ــه الرحمن الرحيم وصلى الله وصلى الله على نبيه محمد الكريم ، أما بعد فإن أحق من استوفي حقه وأجدر من استكمل حظه وليس من كرامة الله تعالى ما ألبسه فنحن للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه وللذي أشاد في الأفاق من ذكرنا ، وأعلى في البلاد من أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا وأعاد من انحرافهم إلينا واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا – إن شاء الله – فالحمد لله ولى النعم بما أنعم به وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك ، إذ كان مدعو بهذا الإسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا ، من ذلك حق لنا أضعناه

،واسم ثابت أسقطناه فمر الخطيب بموضعك ، أن يقول به وأجر مخاطبتك لنا عليه إن شاءالله."

وقد اتخذ عبد الرحمن تلك الخطوة في أوائل شهر ذي الحجة عام ٣١٦هـ/٩٢٨م وكان الدافع الأساسي ، لهذه الخلافة السنية الجديدة في الأندلس ، هو تغير الأوضاع السياسية في المشرق والغرب الإسلامي فقد ضعفت الخلافة العباسية في بغداد وكان المحرك لهذه الدولة هم الأتراك،أما في إفريقية والمغرب ، فقد ظهرت الخلافة الفاطمية المعادية لبني أمية في الأندلس.

وقد أجاز الفقهاء السنيون بتعدد الخلافة ، مادام هناك مصلحة عامة للمسلمين واعترفوا بشرعية وجود إمامين يتوليان حكم المسلمين في وقت واحد على شرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة حتى لا يحدث نزاع بينهما

ونظام الخلافة في الأندلس يقوم على أساس التوريث ويستند إلى السياسة أولا . ثم الدين ثانيا ، وهو نظام يختلف عن النظام الذي اتبعه الخلفاء الراشدون إذ كانت خلافة هؤلاء تقوم على الشورى والانتخاب .

وبمقارنة نظام الخلافة الأموية في الأندلس وبين خلافة العباسيين في المشرق وخلافة الفاطميين في المغرب ، نجد أن الأمويين كانوا أكثر ديمقراطية ، فالخلافة العباسية كانت تقوم على نظرية التفويض الإلهي وهذا واضح من قول أبي جعفر المنصور : «إنما أنا سلطان الله في أرضه، وهذه النظرية استمدت أصولها من النظام الفارسي في الحكم ، أما الخليفة الفاطمي فقد كان يعتبر نفسه إماما معصوما من الخطأ،أما الخليفة الأموي فهو إنسان عادي قد يخطئ أو يصيب والناس أحرار في أن ينتقدوه وإن استطاعوا عزله عزلو.

(٢) اصطناع الناصر لامراء المغرب ورؤساء القبائل :

اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر ببلاد المغرب خاصة بعد أن امتدت يد الفاطميين إلى المغرب الأقصى الذي لا يفصله عن بلاده إلا مضيق جبل طارق ، فاتخذ سياسة اصطناع رؤساء القبائل المغربية وأولهم القبائل الزناتية ولاسيما قبيلة مغراوة التي أقلبت على الدعوة الأموية السنية إقبالا كبيرا وأيدت عبد الرحمن الناصر تأييدا كاملاً ، كما حاول أن يكسب تأييد بعض أمراء الدويلات القائمة في الشمال الإفريقي مثل الأدارسة وفروعهم ومنهم : بنو سليمان الذين استقروا بتلمسان وأمراء بني صالح أصحاب نكور ، فأرسل إليهم الكتب يدعوهم فيها إلى محالفته ويرسل إليهم ما يحتاجونه من مؤن

وعتاد ولم يقتصر عبد الرحمن الناصر على محالفة هذه الدول ، بل تعداها إلى ما وراءها حيث توجد قبائل البرير ولا سيما منها قبيلة زناتة التي بادر زعميها محمد بن خزر إلى مبايعته ، وصار الخليفة الناصر يرسل إليهم بالهدايا النفيسة والأموال ولكنه لم يقف عند الدعم السياسي والمادي لأصدقائه في المغرب بل عمد إلي جلب فرسان زناتة إلى الأندلس ليستعين بهم في حروبه ضد المناوئين والخارجين عليه.

(٣) احتلال الثغور المغربية المطلة على المضيق :

لم يكتف عبد الرحمن الناصر عند حد الدعاية والتدعيم السياسي والاقتصادي والعسكري للقبائل المغربية ضد الفاطميين فقط ، بل تعدى ذلك إلى احتلال بعض الثغور الواقعة على الساحل المغربي ، المواجهة للشاطئ الأندلسي الجنوبي فبعد الاستيلاء على مدينة مليلة بخمس سنوات فقط ، وجه عبد الرحمن الناصر أسطولاً بحريا فتسلم مدينة سبتة في أول ربيع الأول عام ٣١٩هـ/٩٣١م .

ومدينة سبتة هذه مغربية بموقعها ، أندلسية بتقاليدها ومواهبها وكثيرا ما كان تاريخها الإسلامي يصلها بالشاطئ الأندلسي القريب أكثر مما يصلها بأرض المغرب التي ترتكز عليها .

أما عن موقعها الجغرافي ، فإنها تقع على شبه جزيرة تحيط بها المياه من معظم جهاتها عدا جهة واحدة ومبانيها تطل على سفح الجبل المرتفع والمسمى حاليا بجبل «أخو» وبهذا الموقع الاستيراتيجي الهام ، تشرف إشرافا تاما على مضيق جبل طارق ،

وعلى الشاطئ الأندلسي الجنوبي القريب وتتحكم منهما هذا الوضع يكاد يعزلها عما وراها من سكان بلاد المغرب ويمنعها من الاتصال بهم إلا عن طريق البحر أو عن طريق برى شديد الوعورة من الغرب .

ويذكر المؤرخون أن احتلال مدينة سبتة جاء نتيجة لرغبة أهلها في طاعة عبد الرحمن الناصر لدين الله فأرسلت له حاميتها وفدا من كبار شيوخها ليقوم بتقديم الولاء له ويسأله الدخول في طاعته وقد أرسل عبد الرحمن عاملاً يتولى شئون المدينة ويزودهم بفرقة من الرماة تستقر فيها لتحميهم من الأخطار الخارجية وخاصة الأدارسة العلويين.

وكان يسكن مدينة «سبتة» قوم من العرب والبربر وجالية كبيرة من الأندلسيين من أهالي مدينة قلسانة Calsena الذين هاجروا إليها واستوطنوا فيها أيام القحط الذي اجتاح الأندلس ما بين سنتى ١٣١-١٣٦هـ /٧٤٨-٧٥٣م . وكان المذهب السائد لديهم ، هو المذهب المالكي ودليل ذلك ما ذكره ابن عذاري من أن أصحابها كانوا يحكمون برأى فقهاءالأندلس.

كما حاول الناصر الدين الله بعد فتح سبتة أن يستولى على جزيرة أرشقول وهي جزيرة تقع بالقرب من سواحل تلمسان ، وهي جزيرة عالية تحصن بها أحد أمراء الأدارسة ويدعى الحسن بن عيسى بن أبي العيش ، وقد حاصر الأسطول الأندلسي الجزيرة مدة طويلة حتى كاد أهلها أن يموتوا عطشا لنفاد المياه في جبابهم بسبب طول الحصار ولكن عبد الرحمن الناصر فشل في احتلال هذه الجزيرة ولكنه استطاع الاستيلاء عليها في ٣٢٥هـ/٩٣٧م وعند الفشل الأول للأسطول الأندلسي لاحتلال جزيرة أرشقول توجه الناصر لاحتلال قواعد أخرى في المغرب الأقصى سبتة وطنجة وأصيلا،حتى يسيطر على الملاحة في مضيق جبل طارق وحتى يتدخل في سياسة المغرب لإثارة قبائل البربر ضد النفوذ الفاطمي.

فبالنسبة لمدينة أصيلا ، فقد أرسلت في عام ٣١٩هـ بولائها للناصر بعد فتحه لمدينة سبتة ولكن أهلها نكثوا عهدهم مع الأمويين وخلعوا طاعتهم في عام ٣٢٢هـ/٩٣٧م فأرسل الناصر أسطوله في ذلك العام فدخل قائد الأسطول المدينة وأخذ من أهلها رهائن وعين عليها أحد الموالين للأمويين من البربر وترك معه فرقة عسكرية تضمن حماية المدينة ثم رجع إلى مدينة المرية الأندلسية .

وفي العالم التالي أرسل عبد الرحمن الناصر أسطوله نحو طنجة واستمر الناصر في تدعيم المغاربة بالعون السياسي والعسكري والاقتصادي والعمراني ، فقد كان يرسل أمهر الحرفيين والصناع الأندلسيين إلى المغرب ليصلحوا ما أفسدته الحروب ، كذلك كان يرسل المؤمن والمواد الغذائية .

(٤) تاييد ثورة أبي يزيد الخارجي :

بدأ أمر أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الخارجي في عام ٣١٦هـ/٩٢٨م وظل يدعو لقتال الفاطميين سرا مختفيا في كثير من مناطق المغرب الأوسط بين جبل أوراس –

معقل الثوار – وجبال المسيلة وقد انضم إليه جموع كثيرة ومن الخوارج وبايعوه على قتال الفاطميين الشيعة وذلك في عام ٣٣١/٩٤٢م وعندئذ أقدم أبو يزيد على تفجير ثورة شاملة وغزا إفريقية فأسرع أهل إفريقية بالإنضمام إليه وبخاصة أهل السنة ، وهم زعماء المعارضة الدينية في البلاد وكانوا يرون في حرب الفاطميين انتقاما لهم وجهاداً في سبيل الله واستطاع أبو زيد خلال ثلاث سنوات تقريبا أن يجتاح إفريقية وأن يقضى على نفوذ الشيعة في المغربين الأوسط والأقصى بعد سلسلة من العمليات الحربية قتل فيها كثير من جند الفاطميين حتى وصل أبواب مدينة المهدية سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م،لكن ظهور قبيلة صنهاجة وعلى رأسها زيرى بن مناد وتحالفه مع الفاطميين ضد عدوهم المشترك – قبيلة زناتة – غيرت مصير الحرب ، حيث أنقذ الزعيم الصنهاجي مدينة المهدية من خطر الاستسلام لأبي يزيد ثم كانت المعركة الحاسمة التي وقعت عند أسوار مدينة القيروان في عام ٣٣٥/٩٤٦م وحاول بعدها السيطرة على المدينة عدة مرات لكنه لم ينجح ، حيث هرب إلى جبال كيانة في المغرب الأوسط واختفى عند قبيلة بني برزال ولكن جيوش الخليفة الفاطمي المنصور بن القائم (٣٣٤–٣٤١هـ) كانت تتبعه حتى قبضت عليه متأثرا بجراحه ومات في عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م وقد شغلت هذه الثورة عهد الخليفة محمد القائم وجزء من عند ابنه المنصور

وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار ، يميل إلى الأمويين في الأندلس فيذكر ابن عذاري أنه في نهاية شوال ٣٣٣هـ/٩٤٤م أرسل أبو يزيد سفارة إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر يخبره أنه تغلب على مدينتي القيروان ورقادة وما جاورهما وانتصاره على جيوش محمد القائم ويظهر للناصر خضوعه واعترافه بولايته.

وفي سنة ٣٣٤هـ كانت السفارة الثانية من قبل أبي يزيد وكانت تتكون من أهل القيروان ليؤكد له – للخليفة الناصر – طاعته لبني أمية ويطلب منه أن يمده بالعون وفي عام ٣٣٥هـ أرسل أبو يزيد سفارة ثالثة إلى قرطبة برئاسة ولده أيوب فأكرمه الناصر وأمر بأن تكون ضيافته بقصر الرصافة وعند إنصرافه إلى المغرب أمده الناصر بمبلغ كبير من المال لتدعيم موقف والده

ويتضح مما سبق أن الخليفة الأموى قد تدخل في الحرب إلى جانب أبي يزيد تدخلاً مباشرا وإيجابيا ولم يقف عند حد التأييد السلبي فقط ، بل قدم للثورة كال ما تتطلبه الحرب من عتاد ومال وقد خدمت ثورة صاحب الحمار النفوذ الأموي في بلاد المغرب خدمة كبيرة ، فقد تقلص أثناء هذه الثورة سلطة الفاطميين إلى مدينة المهدية .

على أن النزاع بين الفاطميين والأمويين الذي ظل فترة طويلة يعتمد على الحرب الباردة القائمة على التسلح واحتلال المواقع الاستيراتيجية الهامة وإثارة الفتن بين قبائل البربر ، وتدبير الدسائس ، أي أنه كان عبارة عن صراح مسلح بين المغاربة الموالين للفاطميين والمغاربة الموالين للأمويين ، وقد تطور الأمر إلى النزاع المسلح في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في ٣٤٤هـ/٩٥٥م حيث لم تمض على توليه الخلافة سنتين فقط واشتعلت نيران الحرب بينه وبين الخليفة الأموى ولم تنقطع إلا في فترات .

ويبدأ هذا النزاع المسلح بأن سار مركب أندلسي إلى المشرق لأغراض تجارية فلقي في البحر مركبا فيه رسول من جزيرة صقلية إلى المعز لدين الله الفاطمي فأغار المركب الأندلسي عليه وأخذ ما فيه من بضائع والكتب الموجهة إلى الخليفة الفاطمي فأرسل الخليفة الفاطمي أسطولاً قام بحرق السفن الأندلسية الموجودة في ميناء المرية وقتل ونهب وعاد محملاً بالغنائم إلى المهدية وكان رد فعل عبد الرحمن الناصر أن

لعن الفاطميين على جميع منابر مساجد الأندلس وقدم مبلغا من المال يقدر بعشرة آلاف دينار لتوزيعها على فقهاء المذهب المالكي بالمغرب لمحاربة الدعوة الشيعية هناك ، وهكذا حرص عبد الرحمن بن الناصر على إحاطة نفسه بالأصدقاء والحلفاء الذين اشتركوا جميعا في عدائهم للفاطميين ليضمن لنفسه استمرار مقاومتهم ومحاولة طردهم من المغرب وهذا ما حدث ، فقد شعر الفاطميون بأن المغرب ليست المكان المناسب لهم وأن الخطر يحيط بهم من كل جانب ولاسيما من القبائل البربرية والغرات الأموية فبدأوا يبحثون عن أرض أخرى فكانت أرض مصر .

أما عبد الرحمن الناصر فقد نجح في سياسته التي اتبعها مع المغاربة فأصبحت بلاد المغرب الأقصى وجزء من بلاد المغرب الأوسط تحت سلطانه ،ثم قام بتجهيز أسطول للخروج إلى بلاد إفريقية وقاتل الأسطول المغربي وفي السنة التالية ٣٤٥هـ/٩٥٦م أرسل الخليفة الناصر بأسطول كبير نحو شواطئ إفريقية وكان هذا الأسطول يتكون من سبعين سفينة وقد اتجه نحو منطقة طبرق ثم سوسة شمال مدينة المهدية فخربها

ولم يسكت الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أمام هذه الغارات ، فاضطر في عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م بإرسال قائده جوهر الصقلي إلى المغرب لإخضاع البربر والقضاء على النفوذ الأموى فيه ، وقد نجح جوهر في إكتساح المغرب الأوسط والأقصى وإخضاع البربر لسلطة الفاطميين ولكنه لم يستطع أن يحتل القواعد الأموية الساحلية وظل سنة كاملة في أرض المغرب ثم عاد بعدها إلى إفريقية..

(٥)التحالف مع أعداء الفاطميين من ملوك أوربا والمشرق :

سلك الناصر لدين الله سياسة أسلافه في التحالف مع أعداء أعدائه ، فقد تحالف مع ملك إيطاليا «هوج دى بروفانس» Huges de Provence الذي كان يرغب في

الانتقام من الفاطميين بسبب توجيه الخليفة الفاطمي أبي القاسم القائم قائده على بن إسحاق إلى جنوب إيطاليا حيث ضرب ميناء مدينة جنوة .

وكذلك تحالف مع امبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذي كان هو الآخر يريد أن يعيد جزيرة صقلية – التابعة للفاطميين – إلى حظيرة الامبراطورية فقد استقبل الناصر لدين الله سفارة هذا الامبراطور في ٣٣٨هـ/٩٤٩م ، كما تؤكد بعض المصادر التاريخية أنه كان يوجد إتفاق بين الناصر لدين الله وامبراطور بيزنطة على محاصرة الدولة الفاطمية وتطويقها من الشرق والغرب .

كما عمل الناصر لدين الله على توطيد صلاته وعلاقته مع الأخشيدين في مصر .

الحكم المستنصر بالله

(٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م)

خلف عبد الرحمن الناصر أكبر أبنائه الحكم المستنصر بالله حيث أخذ له البيعة دون إخوته ، وقد بويع الحكم في اليوم التالي لوفاة أبيه في ٣ رمضان ٣٥٠هـ/١٦ أكتوبر ٩٦١م وعمره ثمانية وأربعين عاما . وأم الحكم أم ولد تدعى مرجانة وقد أخذت له البيعة في قصر الزهراء بقرطبة .

وعندما بدأ الحكم المستنصر حكمه بدأه ببعض الأعمال العمرانية ومنها توسعة المسجد الجامع بقرطبة حيث تقرر توسعته من الناحية الشرقية وبلغت الزيادة نحو مساحة الجامع فتضاعف بذلك حجمه واستغرق العمل في تلك التوسعة نحو أربع سنوات، وقد بني الحكم بجوار المسجد دارا للصدقة .

وقد قام الحكم بعزوات في أراضى مملكة قشتالة ابتداء من ٣٥٢هـ/٩٦٣م وفي عام ٣٥٣هـ حدث مجاعة عظيمة بقرطبة فبذل الحكم للفقراء والمحتاجين ما يحتاجونه من نفقات تكفل لهم الحصول على طعامهم وأقواتهم .

وفي عام ٣٥٥هـ ظهرت سفن النورمان في مياه الشاطئ الغربي للجزيرة الأندلسية وكان النورمان قد ظهورا فى مياه الأندلس لأول مرة في سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م أيام عبد الرحمن بن الحكم وكان أولئلك الغزاة النومان في هذه المرة من أهل دانماركة المجوس ويقدوهم ريتشارد الأول دوق نوماندى وقد تصدى لهم الأسطول الأندلسي الذي خرج من إشبيلية من نهر الوادي الكبير ووقع اللقاء بين سفنهم وبين سفن المسلمين عند مصب نهر شلب ، فحطم المسلمون عدد من سفن الغزاة وأنقذوا من كان بها من أسرى المسلمين وقتل كثير من النورمان .

وقد عادت سفن النورمان مرة أخرى خلال عام ٣٦٠هـ/٩٧١م ولكنهم ارتدوا دون حدوث أية معارك هامة بينهم وبين السفن الإسلامية ويبدو أنهم تراجعوا عندما رأوا تفوق قوة المسلمين البحرية

<u>السفارات في عهد الحكم المستنصر بالله :</u>

بدأ توافد الوفود والسفارات على عاصمة الخلافة الأندلسية قرطبة منذ عام ٣٥٥هـ/٩٦٦م ، وكان أول الوافدين على قرطبة من أمراء النصارى أمير جليقية

وأمير أشتوريس ثم وفدت رسل سانشو غرسية ملك نافار وهم جماعة من الأساقفة طلبوا عقد الصلح مع الحكم فوافق على ذلك

ووفدت في شعبان ٣٦٠هـ/٩٧١.م سفارة من أمير برشلونة الكونت بوريل وعلى رأسها مبعوثة القومس بونفلي لتجديد أواصر الصداقة بين الطرفين ومعهم ثلاثين أسيرا من المسلمين وردهم الحكم بالهديا الثمينة .

وفي نفس العام وفدت الراهبة البيرة عمة ملك ليون راميرو الثالث والوصية عليه واستقبلها الحكم استقبالاً حافلاً بقصر الخلافة وقام بتدعيم صلات السلم بينهما .

ووفدت سفارات أخرى من غرسية فرناندوز أمير قشتالة وفي سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م وفدت سفارة جديدة من سانشو غرسية ملك نافار ومن الراهبة البيرة الوصية على ملك ليون وكانت معظم هذه السفارات من أمراء أسبانيا النصرانية بقصد عقد معاهدات السلم أو بقصد تقديم الطاعة أو طلب المعونة

هذا وقد وردت إلى الخليفة رسائل ودية من يوحنا زيمسكى قيصر قسطنطينية في ٣٦١هـ/٩٧٢م ورسائل من امبراطور ألمانيا أوتو الثاني في عام ٣٦٣هـ/٩٧٤م وفيه يجدد علاقات المودة بينه وبين الحكم كما كانت بينه ابن أوتو الأول وبين الخليفة الناصر

ووردت في نفس العام سفارة جديدة من الكونت بوريل أمير برشلونة يطلب تجديد المودة والصداقة

وهكذا فقد ورث الحكم المستنصر حكما قويا من سلفه الخليفة الناصر استطاع من خلاله يقف على قدم المساواة أن يتخطى هذا القدر بينه وبين الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية

إنشاء المكتبة الأموية

يمتاز عصر الحكم المستنصر بظاهرة من أعظم الظواهر في عصر الأندلس وهي إزدهار العلوم والآداب وإنشاء المكتبة الأموية العظيمة التي كانت بضخامتها وتنوع محتوياتها من أعظم مكتبات العصور الوسطى

وقد تميز الحكم نفسه بشغفه العظيم في جمع الكتب وتقدمه في العلوم الشرعية وعنايته بعلم الأنساب ورواية الأحاديث النبوية واهتمامه بالفقه على المذاهب الدينية المختلفة واهتمامه بالتاريخ

وكان الحكم يرسل إلى كبار علماء المسلمين في كل قطر يحصل منهم على نسخ من مؤلفاتهم في المجالات ومن ذلك أنه أرسل إلى أبي الفرج الأصفهاني ألف دينار من الذهب ليحصل منه على نسخة من كتابه الأغاني كما أرسل إليه أيضا كتابا قام بتأليفه يتناول أنساب بني أمية كما أهدى إليه الخشني بعض مؤلفاته ومنها كتاب «قضاة قرطبة»

وكان للحكم مجموعة من أمهر النساخين والوراقين في كافة البلدان الإسلامية ولاسيما في الحوافز الكبرى في الشرق في بغداد والقاهرة ودمشق يبحثون عن لكتب ويحصلون منها على المؤلفات القيمة كما كانت لديه في قصره طائفة من النساخين البارعين يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وتصنيفها فاجتمعت لديه مجموعة الكتب النادرة والقيمة ولما ضاقت مكتبة القصر بهذه الأعداد المهولة من الكتب أنشأ الحكم على مقربة من القصر صرحا عظيما خاصا بالمكتبة ولم يكن الاهتمام بجمع الكتب قاصرا على الخليفة فقط ولكن كثير من علماء العصر اعتنوا عناية كبيرة بإنشاء مكتبات خاصة كذلك اجتمع العلماء الرجال والعلماء النساء في هذا الشأن – إنشاء

مكتبات خاصة – وكانت سوق الكتب في قرطبة من أشهر الأسواق أكثرها حركة ورواجا. .

ولم يهتم المسلمون بالعلم والثقافة وحدهم ولكن شاركهم في هذا الاهتمام النصارى واليهود ، فكان كثير منهم يجيدون اللغة العربية وكان لهم أكبر الأثر في ازدهار حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وبالعكس .

وكان من أشهر هؤلاء : الطبيب اليهودى جسداى – طبيب الحكم الخاص – وكان من أشهر المكتبات الأندلسية الخاصة فيما بعد ، مكتبة يوسف بن إسماعيل بن نغرالة اليهودي وزير أمير غرناطة (ابن باديس) . وإلى جانب هذا الاهتمام بالكتب والثقافة تم الاهتمام بالتعليم فأسس الحكم عددا كبيرا من المدارس ، أما جامعة قرطبة فقد أصبحت من أشهر جامعات العالم وكان مركزها في المسجد الجامع وتدرس فيها مختلف العلوم في الأدب والنحو والتاريخ ، ولا يخفى ما كان يبذله الحكم من رعاية وأعطيات على كافة العلماء

وقد اختلف في تقدير محتويات المكتبة الأموية التي أنشأها الحكم ا المستنصر فقدرها بعض المؤرخين بأربعمائة ألف مجد وقدرها البعض بستمائة ألف وكانت توجد في قواعد الأندلس الأخرى ، عدا مكتبة قرطبة حوالي سبعين مكتبة أخرى وهذا يدل على مدى التقدم الفكري والثقافي في هذا العصر وقد ظلت المكتبة الأموية موجودة بقصر قرطبة حتى وقعت الفتنة الكبرى في سنة ٤٠٠هـ وقام البربر بمحاصرة المدينة وأخرجت معظم الكتب من خزائنها خلال الحصار وتم بيعها بأمر الفتى واضح مولى المنصور بن أبي عامر وتم نهب ما تبقى منها عند اقتحام البربر لقرطبة.

وعزم الحكم في أواخر عهده على أن تكون ولاية العهد لولده الطفل هشام وكان ذلك في ٣٦٥هـ/٩٧٦م فأخذت البيعة من الحاضرين بقصر قرطبة وأرسلت الرسائل التي

تفيد ذلك لسائر الخاصة والعامة ودعى لهشام في الخطبة بالأندلس والمغرب ونقش اسمه على السكة.

وقد عرف عن الحكم ورعه الشديد وحبه للعدل وشدته في محاسبة الطغاة من العمال والحكام وكان من أعماله الإنشائية إلى جوار توسعة المسجد الجامع وإنشاء منبره الجديد وتزويده بالماء ، هو إصلاحه لقنطرة قرطبة الواقعة على نهر الوادي الكبير وذلك في عام*٨*

التطور الاجتماعي في عصر الخلافة :

قبل عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر كانت الطبقة العليا هي القبائل العربية في حين كان البربر يحتلون مرتبة أدني في الكيان الاجتماعي للمجتمع الأندلسي واستمر النزاع بين الإمارة الأموية وبين العصبية العربية التي كانت تريد استقلالاً محليا ولكن عند مجئ الناصر ، عمل على تشتيت قوة العصبية العربية وأحل محلها طوائف الصقالبة وفي عهد الحكم المستنصر انتهى تقريبا نفوذ الارستقراطية العربية وبقيت كطبقة من طبقات المجتمع الأندلسي وحلت محلها ارستقراطية من نوع جديد من الموالي والصقالبة وانتقلت الارستقراطية من ارستقراطية عصبية أو قبلية إلى ارستقراطية سيف كما يقول الأستاذ عبد الله عنان

وكانت هناك طبقة أخرى تحظى بمميزات خاصة وهي طبقة المولدين وكانت تحتل مكانة بين الطبقات المتوسطة والميسورة ، ورغم إسلام المولدين إلا أنهم كانوا يعتبرون

أقل مكانة من المسلمين الأصليين ، وقد زاد عددهم زيادة كبيرة منذ عهد عبد الرحمن بن الحكم ، حيث دخل كثير من النصاري المعاهدين في الإسلام حينما اشتدت وطأة حكومة قرطبة عليهم أيام الفتن التي حاولوا إثارتها ، وبذلك ازداد عدد المولدين زيادة

كبيرة منذ أوائل القرن التاسع الميلادي وأصبحوا في عهدي الناصر والحكم يمثلون أقلية كبيرة في المجتمع الأندلسي .

أما طبقة العبيد فقد كانوا يسكنون بالضياع للعمل بها وكانت لهم حقوقا إنسانية واجتماعية حسبما تقتضي الشريعة الإسلامية ويتبعها عدد من الصقالبة غير الأحرار كما وجدت طبقة النصارى المعاهدين ، الذين يعيشون تحت رعاية وكنف الحكومة الإسلامية في المدن الأندلسية وقد احتل أفرادها سواء الموجودين في العاصمة أو المدن الأخرى مراكزا هامة في الحكومة والجيش .

أما الأقلية اليهودية فقد وصولت أيضا إلى مكانة مرموقة في عهد الناصر حيث تولى منهم : حسداى بن شبروط الإشراف عل الخزانة العامة وكان يقوم بأعمال دبلوماسية للخلافة الأموية إلى جانب ترجمته لعدد من المؤلفات اليونانية إلى اللغة العربية مما كان له دوره في إثراء حركة الترجمة والثقافة في بلاد الأندلس ، وقد وفد كثير من العلماء والأدباء اليهود إلى قرطبة في عهدي الناصر والحكم ، وكان يهود قرطبة يرتدون الزي العربي ويمتازون بثرائهم الواسع

هشام المؤيد بالله

(٣٦٦ – ٣٦٨ هـ / ٩٧٦ – ٩٧٨ م)

عندما توفى الحكم المستنصر بالله في عام ٣٦٦هـ ، بويع ابنه وولي عهده هشام بالخلافة في اليوم التالى لوفاة أبيه وكان عمره لم يجاوز الثانية عشر من عمره ،

واجتمعت مقاليد السلطة في أيدي رجلين هما : الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ، ومحمد بن أبي عامر رئيس الشرطة ومتولى خطة المواريث وكان هناك شخصيته ثالثة تقاسمهما السلطة وهي السيدة صبح البشكنسية أم هشام وكانت قد منحت الوصاية على ولدها واكتسبت بذلك صفة شرعية في الاشتراك في الحكم وتدبير الشئون .

وكان محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري ، يرجع إلى أصل من أعرق الأصول العربية وكان جده عبد الملك بن عامر أول من دخل الأندلس مع الفاتحين موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ونزلت أسرة بني عامر بالجزيرة الخضراء وتولى كثير من أبنائها مناصب القضاء والإدارة ، وقد نشأ محمد على تقاليد أسرته ومنكبا على العلوم وقد وفد على حاضرة الدولة الأموية – قرطبة – وهو صغير السن ودرس فيها الأدب والشريعة وتمتع بخصال شخصية كالموهبة والطموح والحماس والعزيمة .

وقد تدرج محمد بن أبي عامر في المناصب ابتداء من مشرف لإدارة أملاك عبد الرحمن بن الحكم في ٣٥٦هـ/٩٦٧م ثم عين للإشراف على خطة المواريث في ٣٥٨هـ فقاضي لإشبيلية ورئيس للشرطة ، وهكذا وصل محمد بن أبي عامر إلى أرفع وظائف الدولة في أعوام قليلة

وكان لابن أبي عامر الفضل مع الحاجب جعفر في تنصيب هشام بن الحكم بدلاً من أعمامه وإفشال محاولات الفتيان الصقالبة في تتويج أعمامه

وعندما تولى هشام الخلافة ، عين حاجب أبيه المصحفى حاجبا له ، وتمت ترقية ابن أبي عامر من رئيس الشرطة إلى منصب الوزارة .

وكان الخليفة هشام المؤيد بالله ، ميالاً بطبيعته وسته إلى اللهو والمجون ولم تكن تلك الخصال تؤهله لأن يكون حاكما قويا ، وكان ابن أبي عامر وصبح يشجعان هذه الميول السيئة في نفس الخليفة لأنها تسير وفق مصلحتهما ومنذ تولى هشام المؤيد الخلافة قام ابن أبي عامر بالحجر عليه تمهيدا لأنه يجمع السلطة بالأندلس في قبضته.

وكان لابد لتحقيق هذه الغاية الكبرى أن يقضي ابن أبي عامر على أي سلطة أخرى تعترض طريقه أو تعترض هدفه وتكمن تلك القوى أو السلطات المعارضة له

الصقالبة :

وكان عددهم وقتها حوالي ألف صقلبي وقد ساءت العلاقات بينهم وبين بن أبي عامر منذ أن أفشل خطتهم في تولية المغيرة بن عبد الرحمن بعد وفاة الحكم المستنصر ونجح في تولية هشام وقد علم ابن أبي عامر أن الصقالية وعلى رأسهم جؤذر وفائق يدبرون خطة لتغيير نظام الحكم فقام ابن أبي عامر بوضعهم تحت المراقبة وأغلق باب الحديد الذي كان مخصصا لدخولهم إلى قصر الخلافة ، ثم استقال الفتى جؤذر زعيم الصقالبة ، وشعر الصقالبة أن سلطانهم قد خفت فاجتمع المتمردون منهم حول فتى من زعمائهم يدعى درى فاجتمع الحاجب المصحفى وابن أبي عامر على التخلص منه فاستدعاه ابن أبي عامر ليسأله عن أمور نسبت إليه وإلى عماله في مدينة بياسة ، ولما قدم درى إلى بيت الوزارة استشعر الشر والخطر وأراد العودة فمنعه ابن أبي عامر فهجم عليه درى وأراد أن يبطش به ، فصاح ابن أبي عامر بالجند ، فهرع إليه بنو برزال وانهالوا عليه ضربا ثم حمل إلى داره وقتل في نفس المساء

ووجد ابن أبي عامر أنه لابد من إنهاء قوة الصقالبة فأمر زعيمهم فائق وباقي زعمائهم أن يلتزموا ديارهم ثم سعى إلى مطاردتهم ومصادرة أموالهم واستهدفهم بالقتل والنفى حتى مات كثير منهم ، وتم إبعاد الفتي فائق إلى ميورقة فمات هناك وانهار بذلك سلطان الصقالبة وأمن الحاجب وزميله ابن أبي عامر شرهم وتقلد الحاجب جعفر أمر القصر بدلا منهم.

الحاجب المصحفى:

فى ١٣ شعبان ٣٦٧هـ أصدر الخليفة هشام المؤيد أوامره بإقالة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى والقبض عليه وعلى أهله وولده والتحفظ على أموالهم فعمد ابن أبي عامر إلى مصادرة أموالهم ومطاردتهم ودامت محنة المصحفى عدة أعوام ، عانى خلالها كثيرا من المهانة والذل وهو يستعطف ابن أبي عامر وسجن في مطبق الزهراء حتى توفى عام ٣٧٢هـ/٣٨٢م وقيل أنه قتل خنقا أو مسموما.

استمالة القائد غالب صاحب مدينة سالم :

كان هناك عداء بين الحاجب المصحفي وبين القائد غالب بن عبد الرحمن صاحب مدينة سالم وزعم المصحفي أن هذا القائد يقصر في الدفاع عن الحدود الشمالية للخلافة الأموية ويعجز عن التصدى لنصارى إسبانيا ، فانتهز ابن أبي عامر هذه الفرصة ليضم القائد غالب إلى جانبه ، وسعى إلى الدفاع عنه عند صبح وعند الخليفة حتى استطاع أن يستصدر أمرا من الخليفة بترقيته إلى رئاسة خطة ذي الوزارتين وأن توكل إليه قيادة جيش الثغر وأن توكل قيادة جيش الحضرة إلى أبي عامر واستطاع الجيشان تحقيق انتصارات عسكرية هائلة في الشمال وتحالف كل من غالب وابن عامر على ضرورة التخلص من الحاجب المصحفى عدوهما

المشترك ، ورجع ابن أبي عامر إلى قرطبة بالغنائم والسبي فزادت شهرته وارتفع قدره وزاد حب وتقدير الخليفة والأندلسيين له .

ونتيجة لذلك عزل محمد ابن الحاجب المصحفى عن حكم قرطبة وأعطيت لابن أبي عامر وبذلك تم له السيطرة على المدينة والجيش معا وكانت قرطبة تعاني من الاضطراب واختلال الأمن والهدوء وعند تولى حكمها سيطر على مكامن الفتنة والقلاقل بها ودعم ابن أبي عامر علاقته بالقائد غالب بأن طلب منه الزواج من ابنته أسماء عندما علم بنية الحاجب المصحفي في أن يزوج أسماء بنت غالب لابنه محمد وزفت أسماء إلى ابن أبي عامر في حفل عرس كان مضرب الأمثال في البذخ ومظاهر الأبهة وكان الاحتفال في قصر الخليفة وبإشراف السيدة صبح

واستمر ابن أبي عامر بعد أن تخلص من المصحفى ومن الصقالبة في مطاردة كل من يخشى قوته من بني أمية أو غيرهم من زعماء القبائل ومن المتطلعين للحكم في الأندلس .

تنظيم الجيش :

بعدما تخلص ابن أبي عامر من المرشحين للخلافة والطامعين فيها اهتم بتنظيم الجيش فأوجد صفوفا جيدة من المرتزقة من زناتة وصنهاجة وغيرهما من قبائل البربر ومن الجند النصارى من ليون وقشتالة ونافار وكان سخيا معهم واجتذب قلوبهم بعدله ورفقه وكرمه ، وقام بتغيير أنظمة الجيش القديمة فقدم رجال البربر في حين أبعد قليلاً من زعماء العرب وأقصاهم عن مناصبهم وفرق جند القبيلة الواحدة في صفوف مختلفة وكانوا من قبل ينتظمون في صف واحد وكان الناصر من قبله قد عمل على إضعاف سلطة القبائل العربية فعندما جاء ابن أبي عامر وجد الميدان ممهدا

لطموحاته لذا لم تجد سياسته الجديدة على المستوى السياسي والعسكري أية معارضة .

عبد الملك المظفر

٣٩٢ – ٣٩٩هـ

خلف المنصور في سلطانه ابنه عبد الملك المظفرو تلقب بسيف الدولة وكانت سنه ٢٨ سنة ، ولم يكن عبد الملك المظفر ، فكان طوال حكمه القصير منقادا لرجال القصر ومن بيهم :طرفة الصقلبي ، ووزير قوى « عيسى بن سعيد بن القطاع ، ، وكان الشاب إلى جانب ذلك مسرفاً في الشراب وكان يستمع لوشايات الوشاة ويصدر أحكاما عنيفة ، فقتل طرفة ثم قتل سعيد بن القطاع في مجلس شرابه على أسوأ صورة ، وقد خافه الناس ، ، وتوفى ربما من التهاب رئوي ١٦ صفر ٣٩٩ هـ ٢١ اكتوبر ١٠٠٨م وهو في الرابعة والثلاثين من بعد أن حكم سنوات فحسب كانت سنوات رخاء ونصر (ايام العروس)

وخلفه أخوه الرحمن الذي تلقب قتله طائشاً قاسياً مجرداً من الصفات الإيجابية المؤهلة للحكم السليم وكان الناس قد ذرعاً باستبداد العامريين وكانت ام عبدالرحمن حفيدة لشانسو غرسية ملك نبرة أما أم عبد الرحمن أسلمت وتسمت باسم عبدةو,وأطلق عليه الأندلسيون اسم شنجول أو سانشويلو

الفتنة القرطبية ونهاية الدولة الاموية

بدأت الفتنة عندما أخذ عبد الرحمن ولاية العهد لنفسه من الخليفة المحجور هشام الموي وهذا يعني انتقال الخلافة اسما وفعلا الى العامريين وتجريد الامويين من الاسم الذي أبقاه لهم المنصور

كانت محاولات عبد الرحمن في نقل الخلافة مخاطرة فتحت باب الفتنة من قبل اطراف عديدة كان هدفها اسقاط العامريين الذين قربوا البربر والصقالبة على حساب العرب فاتصلت ام عبد الملك المظفر اخي عبد الرحمن حيث اتهمت عبد الرحمن بقتل اخيه عبد الملك ،اتصلت بالمروانيين فأشاروا عليها بمحمد بن هشام بن عبد الجبار الذي قتل عبد الملك أباهحيث كان يحمل الحقد ضد العامريين فاتفقت معه ضد عبد الرحمن .

واستغل خروج عبد الرحمن من قرطبة لمحاربة نصارى اسبانيا في الشمال فانقض على قرطبة واستولى عليها وقبض على والي المدينة وصلبه وذلك في جمادى الاخرة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م .

والتف حوله العامة مؤيدة له .

وكذلك توجه الى الزاهرة مقر العامريين واستسلم ولاتها بأمان من محمد بن هشام وعندما علم عبد الرحمن بما حدث قرر العودة وفي الطريق تخلى عنه الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة يبايعون محمد بن هشام المهدي القائم بالأمر .

وتقدم عبد الرحمن الى قرطبة وحاول الهرب حينما وجد وقوف اهلها ضده لكنهم امسكوا به وقتل وصلب على ابواب قرطبة .

اما هشام المؤيد الخليف المحجور فقد تخلى عن الخلافة لمحمد بن هشام ،غير انه كان ذا سلوك سيء فيذكر كلا من ابن عذاري وابن الخطيب انه قرب اليه السفلة والاراذل واستهان هو و حاشيته بالناس وشيوخ القوم وكبار القواد وقد اعلن

المهدي–كذبا – وفاة هشام المؤيد واراد بذلك ان يثبت للاندلسيين انه لم يعد هناك من ستحق الخلافة غيره فيذعنوا للامر الواقع .

نظرا للعداء بين المهدي وبين البربر وقد التفوا حول هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الذي سجن المهدي ابنه سليمان وكان قد عهد اليه بولاية العهد من بعده وقربه اليه الا انه غير رايه فيه .

وقد التف حول هشام بقايا رجال العامريين فلما علم المهدي بمحاولتهم قام بتحريض العامة عليهم خاصة هؤلاء الذين يحقدون على البربر فثاروا عليهم واخرجوهم من المدينة وقبض علىهشم وقتل هو وابنه وعدد من زعماء الأمويين وبذلك انتهى امره .

الا ان البربر اجتمعوا بظاهر قرطبة فلحق بهم يليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الذي فر من قرطبة طالبا النجاة بنفسه من بطش المهدي فبايعه البربر وسموه المستعين بالله وذلك اوائل ذي القعدة ٣٩٩هـ .

ودخل الاندلس في فتنة اقرب الى الحرب الاهلية مابين المهدي والمستعين وكذلك نهاية هشام المؤيد مابين القبض عليه وقتله او سجنه وهروبه من السجن حسب اختلاف الروايات التاريخية عرفت بالفتنة القرطبية استمرت حتى اجتمع كبار رجال قرطبة وفقهائها بتشكيل عرف بحكومة الجماعة بزعامة ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور على اعلان سقوط الدولة الاموية عام ٤٢٢هـ ليدخل الاندلس في عصر جديد مقسم الى دويلات عرف بعصر دويلات الطوائف .

مصادر ومراجع الفصل :

- ابن عذاري : البيان ، ج/٢ .

المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

- المقرى : نفح الطيب ، ج/٣ .

-مؤلف مجهول : أخبار مجموعة.

-خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس

ابن الخطيب : أعمال الأعلام .

عبد الرحمن حجي : في التاريخ الأندلسي

عصر الطوائف في الأندلس

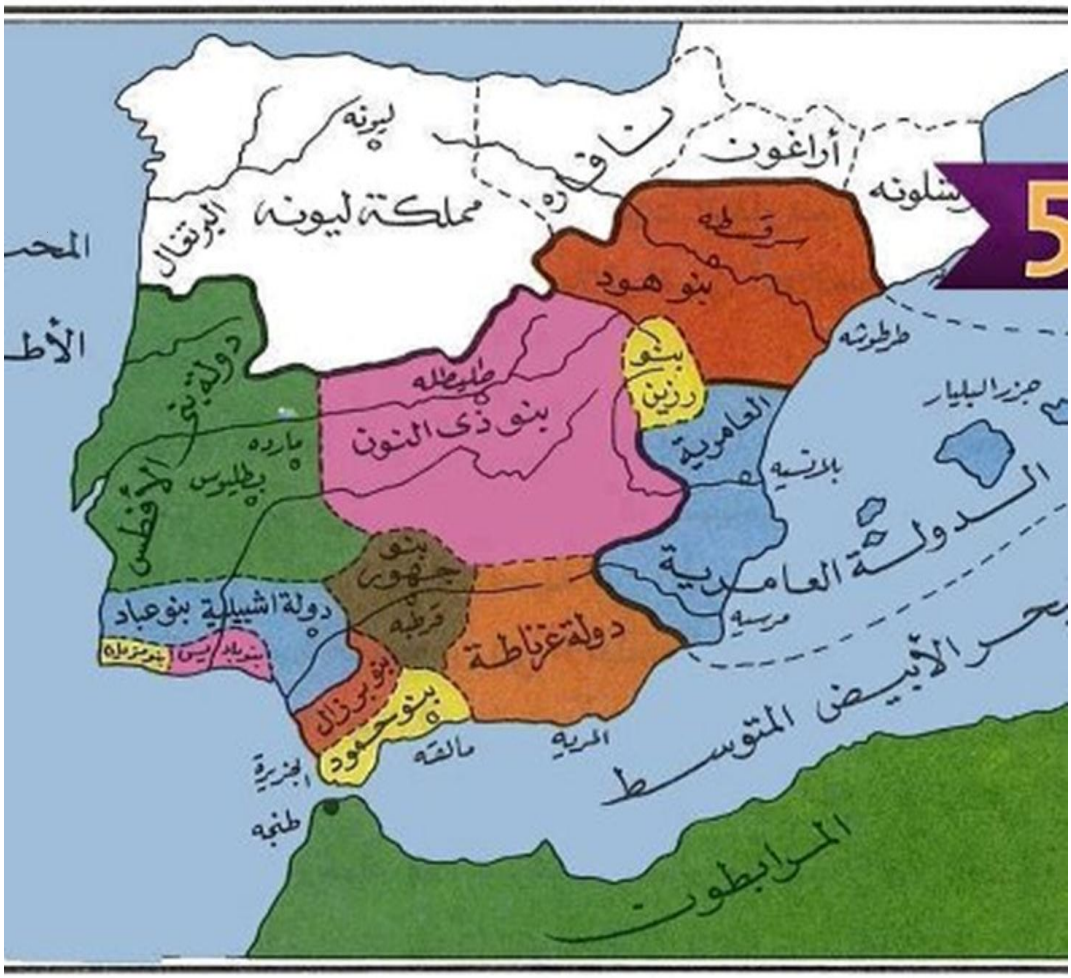

عصر الطوائف في الأندلس

اهم ممالك الطوائف

-دولة بني جهور بقرطبة :(٤٢٢-٤٦٣هـ)

بعد أن فشل أهل قرطبة في إيجاد من يتولى مقاليد الأمور وزمام الحكم فيها ،قاموا بخلع المعتمد بالله الأموي ، واتفقوا على إسناد الأمر إلى شيخ الجماعة أبي الحزم جهور بن محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد،و ذلك في عام(٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) .

أصبح ابن جهور رئيسا لحكومة قرطبة الجديدة التي قامت على أنقاض الخلافة الأموية ،وكان حكمه باسم الجماعة (أي حكم شوري) وقد عرفت هذه الحكومة باسم "حكومة الجماعة "رغبة من أبي جهور في وضع حد للفوضى والشتات ، واستمرت هذه الحكومة قرابة اثني عشر عاما ،وقد تميزعهده بالامان والاستقرار .

توفي ابن جهور عام ٤٣٥ هـ ،فخلفه ابنه أبو الوليد ولقب بالرشيد وسار على نهج ابيه .لكنه وقبل وفاته ٤٤٣ هـ ،قام بتقسيم دولته بين ولديه اللذين تصارعا عن الحكم ،فاستأثر ابنه عبد الملك بالحكم ،وقام بسجن أخيه عبد الرحمان، فطمع المأمون يحي بن ذي النون صاحب طليطلة في ضم قرطبة إليه ،فاستغاث عبد الملك بالمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، الذي استغل الفرصة ،واستولى عليها لنفسه ،وبذلك انتهى حكم بني جهور في قرطبة عام٤٦٢ هـ ،ليكون بنو عباد متحكمين في قرطبة واشبيلية معا

-بنو عباد في اشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ)

كانت مملكة اشبيلية الواقعة غرب الاندلس من أعظم وأهم دول الطوائف ؛

كان يملك اشبيلية وأعمالها القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل ، ثم تولى ابنه أبو عمر _ ٤٣٣ هـ بن عباد اللخمي من عام ٤١٤ ، _ ٤٦١ هـ_ عباد بن محمد الملقب " بالمعتضد " وحكمها من عام ٤٣٣هـ وسار على خطى أبيه في تقوية دعائم الدولة

توفي المعتضد وخلفه ابنهأ بو القاسم محمد "المعتمد " عام ٤٦١ هـ، وقد ورث ملكا عريضا يشمل الجنوب الغربي كله من الأندلس . وتوسع في مملكته حتى وصل إلى بلنسية ، كانت لع علاقات طيبة مع نصارى اسبانيا كما سياسة أبيه .

تصارع مع من بني ذي النون في رغبته في ضم الأقسام الجنوبية من ممتلكاتهم ،مما دعا أمير طليطلة ان يتحالف مع ألفونسو حتى وصل به الأمر للتضحية بطليطلة !!!

توجه المعتمد أيضا لغزو غرناطة التي كانت تحت زعامة عبد الله بن بلقين بن باديس

ثم زحف على بطليوس .،وقد ظلت دولة بني عباد إلى أن سقطت على يد المرابطين

٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م)

- **<u>بنو هود في سرقسطة</u> : (٤٣١-٥٠٣هـ)**

حكم سليمان بن محمد بن هود الملقب " بالمستعين" ،عاصمة الثعر الأعلى – سرقسطة– ،اعدا طرطوشة التي كانت بيد بعض الفتيان العامريين ظهر المستعين بقوة عزم فاشتهر أمره وتوطد ملكه بسرعة ،ا ت سمر حكمه ثمانية أعوام ،ولما توفي

عام٤٣٨ هـ خلفه ابنه احمد بن سليمان "المقتدر "اشتهرت في عهده المملكة سرقسطة بالعلم.

قام المقتدر بتقسيم مملكته بين ولديه قبل وفاته عام ٤٧٤ هـ ،فكان لولده الأصغر المنذر لاردة . وطرطوشة ،ودانية.وكان لولده الأكبر "المؤتمن"بسرقسطة .وبوفاة المؤتمن في ٤٧٨ هـ خلفه ولده احمد "المستعين "بينما بقي عمه في الجز ء الأخر .

ولما قتل المستعين عام ٥٠٣ هـ خلفه ابنه عبدالملك الملقب "بعماد الدولة" سقطت في عهده دولة بني هود في يد المرابطين في عام ٥٠٣ هـ،بعدما دام حكم بني هود سبعين عاما . ولتكون بذلك آخردول الطوائف التي سقطت في يد المرابطين.

- **<u>بنو الأفطس في بطليوس</u> (٤٢١-٤٨٨هـ)**

تعتبر مملكة بطليوس من أعظم ممالك الطوائف ،استقروا في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة الإيبرية

وصلوا إلى الحكم عن طريق أحد فتيان الحكم المستنصر_سابور الفارسي_ ،هذا الأخير الذي كان صاحبه و أمين سره هو عبد الله ابن الافطس التجيبي ،فعينه حاكم لماردة الواقعة شرقي بطليوس ،وبعد وفاة الفتى سابور نادى " ابن الافطس" بنفسه اميراً مستقلا عن المناطق الغربية لبطليوس ،واتخذها عاصمة له و نادى بابنه أبي بكر محمد واليا للعهد من بعده تلقب "بالمظفر" عام ٤٣٧ هـ.

أقام المظفر مُلكا عظيما ،ضاهى فيه ملك بني عباد وبني ذي النون ،وقد دارت بينهم حروب ،ومهادنات عديدة ،كما دخلت في حروب طاحنة مع نصارى اسبانيا خلال عام ٤٤٩ هـ أفقدتها جزءاً من ممتلكاتها .

ولما توفي المظفر بن الأفطس في ٤٦١ هـ، اندلعت الفتنة بين أبنائه يحيى الملقب بالمنصور،وعمر .لكن الجو صفا لعمر بعد وفاة أخيه عام ٤٦٤ هـ،تلقب عمر بالمتوكل على الله .

عندما سقطت طليطلة في يد الفونسو سنة (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م) ،أرسل الفونسو إلى

عمر المتوكل يطلب منه الجزية ،وبعض الحصون ،ما دعاه إلى طلب النجدة من

المرابطين فاستجابوا له عام ٤٨٨ هـ.

غير أن المتوكل عاد و والى نصارى اسبانيا مقابل إستعادة بطليوس ،وفور علم المرابطين قاموا باقتحامها ،وألقوا القبض على المتوكل وعلى ولديه ، لتنتهي مملكة بطليوس بعد أن كانت في يد بني الأفطس خمس وسبعين سنة .

<u>- بنو ذي النون في طليطلة(٤٢٧-٤٨٧هـ)</u>

طليطلة قاعدة الثغر الأوسط ؛ ومن الممالك المواجهة لحدود الممالك الاسبانية ،وكان أول من حكمها إسماعيل بن ذي النون الملقب "بالظافر" ،ثم حكمها بعده ولده يحي الملقب " بالمأمون " لمدة ثلاث وثلاثين عاماً،كان في صراع مع ابن هود صاحب سرقسطة ،وابن عباد صاحب اشبيلية ،استولى على بلنسية بالإضافة إلى محاولته الاستيلاء على قرطبة فلم يمكنه من ذلك ابن عباد ، استعان في أغلب حروبه بنصارى اسبانيا مقابل الجزية والحصون .

وقد أوى المأمون ملك قشتالة الفونسو لمدة تسعة أشهر في مملكته ؛والسبب ان الفونسو كان على خلاف مع أخويه شانجة وغرسية عندها تمكن من اكتشاف نقاط ضعف الحكم وثغرات طليطلة .

توفي المأمون عام ٤٦٧ هـ حكم من بعده حفيده القادر بن ذي النون ،وكان ضعيف الشخصية ، فاضطرمت من حوله الفتن.وفي عهده سقطت طليطلة في يد الفونسو السادس عام (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م).وبذلك كانت طليطلة أول قاعدة إسلامية تسقط في يد النصارى بعد ثلاثمائة وسبعين سنة من الحكم الإسلامي ،ومن ذلك الحين غدت طليطلة حاضرة لمملكة قشتالة وفيها قال الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي :

يا أهل الأندلس شدوا رحالكم فما المقام فيها إلا من الغلط

السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منثورا من الوسط

-بنو زيري في غرناطة (٤٠٣-٤٨٣هـ)

قامت دولة بني زيري في غرناطة بعد دولة بنو حمود وتُعد أقوى دولة بربرية استقروا أولا في كورة غرناطة وفي عهد المرتضي أعلن الدعوة لبني أمية ،فعارضه بني

زيري ،ودارت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة المرتضي عام ٤٠٩ هـ،فقرر ا زوي بن زيري زعيمهم الرحيل والعودة إلى افريقية لأنه أ رى أن أهل الأندلس لن يهدءوا حتى يظفروا بالبربر ،فخرج منها عام ٤١٠ هـ،غير أن ابن أخيه حبوس بن ماكسن أعاد حكم غرناطة لبني زيري ابتداء من عام ٤١١ هـ،سار بها سيرة حسنة، ضبط النظام والأمن إلى أن توفي عام ٤٢٨ هـ فخلفه ابنه باديس بن حبوس بن ماكسن الذي لقب "بالمظفر" ،ولبث طوال مدة حكمه لغرناطة في قتال مستمر مع بني عباد امراء اشبيلية ،واصبحت غرناطة في عهده من أهم قواعد الأندلس الجنوبية

خلفه في حكم غرناطة و أعمالها حفيده عبد الله بن بلكين عام ٤٦٧ هـ٤، الذي اتخذ من اليهود وزراء له و والى نصارى اسبانيا ،واستمر حكمه لغرناطة إلى أن جاز المرابطون البحر بقيادة يوسف بن تاشفين إلى الأندلس عام(٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م) .

– موالي العامريين في شرق الأندلس:

حكموا في شرق الأندلس في المرية ومرسية وبلنسية ودانية وما والاها من جزائر الباليار .

فكانت المرية والمرسية تحت حكم خيران العامري خلفه فيهما زهير العامري ثم انقسمت الى دولتين، فأصبحت المرية من نصيب بني صمادح وأصبحت مرسية من نصيب بني طاهر (٤٢٩ ١٠٧٥ م) – ٤٦٨ هـ/ ١٠٠٩ والجزائر الباليار فكانت لمجاهد العامري وابنه إقبال الدولة بعده إلى أن ضمها بنو هود إلى ملكهم وسقطت عام ٤٨٤ هـ في يد المرابطين

العامريين في بلنسية وشرق الأندلس(٤١٢

كانت مدينة بلنسية عاصمة لهذه المملكة ، سيطر على حكمها الصقالبة فتوالى على حكمها كل من المظفر ومبارك فهما أول من استقل بها أيام الفتنة(فتنة قرطبة)

بقي الصقالبة في حكم بلنسية حتى عام ٤٥٧ هـ ليستولي عليها بعد ذلك بنو ذي النون ،وانتهى الأمر بالمظفر في السجن ،غير أن الحال لم يدم له ؛اذ تمكن بنو عباد من استعادتها من بني ذي النون ،وضمها إلى اشبيلية في عهد القادر بن ذي النون ،ومنذ ذلك أصبحت بلنسية في أغلب الأحيان تابعة لاشبيلية ؛ وأحياناً لطليطلة ثم سيطر عليها السيد القمبيطور عام ٤٨٧ هـ،ومع عبور المرابطين قامو باستردادها عام ٤٩٥ هـ.

مماسبق نجد ان الاندلس في عصر الطوائف قد اقتسم مابين أكثر من عشرين دولة استبدت كل طائفة بجزء منه ،واختلفت هذه الطوائف في اجناسها وعناصرها مما ساعد على الصراع السياسي بين العناصر المختلفة فتوزع الأندلس إلى ممالك عربية و بربرية وصقلبية ،مما ادي الى حالة من الضعف استلزم معها ايجاد قوة تحافظ على ملك المسلمين في الاندلس حتى ظهرت قوة المرابطين .

مصادر ومراجع الفصل

-ابن الكردبوس:تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ،معهدالدراسات الإسلامية ، ١٩٧١

-المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق : احسان عباس ،ج ١ ، دار صادر ،. بيروت ، ١٩٩٧

-عبد الرحمن الحجي: ،التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ،دار القلم ،دمشق، ط

-محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ،مكتبة النحانجي ،القاهرة ،ط ٤. ١٩٩٧

سالمي نصيرة :عصر ملوك الطوائف في الأندلس بين الانحطاط السياسي و الازدهار العلمي

لمرابطون في الأندلس

مماسبق دراسته في مقرر تاريخ بلاد المغرب تذكر وناقش :

- اصل المرابطين وسبب التسمية .

- ظهور المرابطين ببلاد المغرب وسيطرتهم عليها .
- أمراء دولة المرابطين .
- اهم الاحداث السياسية والحضارية لدول المرابطين ببلاد المغرب .
- نهاية دولة المرابطين .

المرابطون في الاندلس

بدأت علاقة المرابطين بالاندلس حينما استنجد بهم ملوك الطوائف في الاندلس وعلى راسهم المعتمد بن عباد وصاحب سرقسطة من بني هود بعد الحادث المفجع وهو سقوط مدينة طليطلة بملكها وملوكها من بني ذي النون عام على يد الفونسو السادس ملك قشتالة كنتيجة لحركة الاسترداد المسيحية la Reconquista التي قادها ملوك اسبانية المسيحية قشتالة واراجون وليون في سبيل استرداد الاندلس من المسلمين .

مما حذا بالشاعر (ابن العسال) بالقول حسرة و حزنا :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط

استنجد الاندلسيون بالامير المرابطي يوسف بن تاشفين الذي لبى استصراخهم فعبر الى الاندلس في العام التالي لسقوط طليطلة ٤٩٧هـ،فاجتمع مع جيوش الطوائف والتقى مع الجانب الاسباني حيث تم اللقاء في فحص الزلاقة قرب مدينة بطليوس ، الجمعة ١٢ رجب ١٧٨ هـ/ ٢٣ اكتوبر ١٠٨٦م و الاندلسيون بقيادة المعتمد بن عباد ، الذي أبلى بلاء حسنا في تلك المعركة ، ثم انقضت جموع المرابطين على قوات نصارى اسبانيا فابادت معظمها ، وانتهى ذلك اليوم بنصر حاسم للمسلمين ، كانت نتيجته توقف تقدم جيش الفونسو السادس وثبات حدود الاندلس على ما وجدها عليه يوسف بن تاشفين .

وقد عبر يوسف بن تاشفين للاندلس مرة ثانية بعد ذلك عام٨٨٨، Aledo و ,وقد تبين له تخاذل أمراء الطوائف وعودتهم الى ما كانوا عليه من الفرقة والتخاذل فقرر عزلهم وذلك هو الذي حدث عندما عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس في رجب ٤٨٣ هـ / سبتمبر ١٠٩٠م فقد عزلهم يوسف بن تاشفين جميعاً ووحد بلاد فيما عدا إمارة سرقسطة التي وجد يوسف بن تاشفين ألا يزعج أصحابها لأنهم محاصرون بالنصارى من كل ناحية ، وقد خاف أنه إذا فعل شيئا أن يسلموا بلادهم للنصارى فتركهم على حالهم ، وبذلك انتهى عهد الطوائف وبدأ عصر المرابطين في الاندلس .

جهاد المرابطين في الأندلس :

منذ ان كسب المرابطون موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٧ م إلى زوال دولتهم ظلوا مهتمين بالدفاع عن الاندلس ، ، ففيه أنفقوا معظم أموالهم وفيه جاهد واستشهد خيرة رجالهم

وقد كسب المرابطون انتصارات كبرى في الاندلس إلى جانب معركة الزلاقة . نذكر من بينها معركة اقليش في شوال ٥٠١ هـ/ مايو ١١٠٨م وقد استولوا فيها على شنتبرية القريبة من طليطلة ، ثم حاصروا حصن اقليش شرقى طليطلة وارسل إليهم الفونسو السادس جيشاً جعل فيه خيرة قواده حتى سميت المعركة بمعركة الأكناد السبعة (الكونتات السبعة)، وجعل في الجيش ابنه الوحيد شانجو ولى العهد ، وقد انتصر االمرابطون في تلك المعركة وقتل فيها ولى العهد . وفى عام ٥٠٣ هـ نجد جيشاً مرابطاً كبيراً يغزو أراضي طليطلة للمرة الثانية،ويستولى مرة أخرى على طلبيرة . وفي عام ٥٠٩ هـ / ١١١٦م يتمكن المرابطون من استعادة جزر الباليار وهي ميورقة ومنورقة ويابسة . من بيزة وجنوة ، وكان الذي تولى استرجاع هذه الجزر بفضل قائد مرابطي هو أمير البحر : ابو عبد الله محمد بن ميمون ،الذي يعتبر من أبطال الجهاد الإسلاميين في البحر في عصري المرابطين والموحدين .

غير ان هذة الانتصارات تبعها –بسبب ضعف الدولة واشتداد حركة الاسترداد المسيحية –ببعض الهزائم في عدد من المواقع مثل موقعة : كتندة وعد من اعمل سرقسطة عاصمة الثغر الاعلى ، (ربيع الأول ٥١٤ هـ/ يونيه ١١٣٠ م) و كان قائد المسلمين فيها أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أخو على ابن يوسف وكنندة ، من أعمال سرقسطة ، وقد استشهد فيها آلاف من المسلمين .

ونختم هذا الكلام عن جهاد المرابطين في الاندلس بالكلام عن وقعة افراغة جنوب غربى لاردة في الثغر الأعلى الأندلسي سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤م ، وقد قاد المسلمين فيها أبو زكريا يحيى بن غانية والى بلنسية ومرسية ، والذي يعتبر من أكبر قادة

المرابطين وهو جد بني غانية الذين قادوا فتنة كبيرة على الموحدين في الجزائر الشرقية وبلاد أفريقية ، وقد انتصر يحيى بن غانية في تلك المعركة على الفونسو المحارب نصراً كبيراً خلد ذكره وقفز به إلى الصفوف الأولى من صفوف قادة المرابطين

وبظهور قوة دولة الموحدين توقفت حركة الجهاد في الاندلس لتفرغ المرابطين لمواجهة هذة الدولة الجديدة وظهور قائدها عبد المؤمن بن علي فبدأت الهزائم تتوالى على الاندلسيين لانسحاب قوة المرابطين العسكرية من الاندلس وتواجدها بالمغرب ،فسقطت سرقسطة في أيدي الفرنسو المحارب ملك أرغون سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م،كما سقطت المرية في يد رجال جنوة وبيشة سنة ٥٠٣ هـ وقد استعادها الموحدون بعد ذلك) وفى شوال سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨،

و سقطت طرطوشة وفي العام التالي ،كما سقطت لاردة بخيانة اندلسي من الذين قاموا على المرابطين وهو محمد بن سعد بن مردنيش وكان ذلك سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢وكان يعاونه في ذلك صهره إبراهيم بن همشك وهذان الرجلان: ابن مردانيش وابن همشك مسئولان إلى حد بعيد عما أصاب الإسلام شرق الاندلس في أواخر العصر المرابطي وخلال العصر الموحدي وبعد وفاة تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين ثالث أمراء المرابطين في رمضان ٥٣٧هـ /١١٤٥م توالى سقوط العواصم الأندلسية .

الموحدون في الاندلس

بعد تم الموحدين القضـاء على المرابطين بالمغرب الاوسط بمقتل إبراهيم بن تاشفـين بن على يوسف بن تاشفين اتجهت انظار الموحدين تحت قيادة مؤسسهم العسكري عبد المؤمن بن علي الى ضم الاندلس الذي شهد سقوط عدد كبيرا من المدن ، ففي نهاية عام ٥٥٥هـ (سنة الاخماس)عبر عبد المؤمن بن إلى الاندلس واستقر في مدينة إشبيلية وضم الاندلس الى ممتلكات الموحدين .

غير عبد المؤمن بن علي من النظام الاداري للاندلس فقر ارجاع قرطبة عاصمة للموحدين ومركز وجودهم بعد ان اتخذ المرابطون طيلة عهدهم بالاندلس اشبيلية حاضرة لهم .

وتوالت ضربات حركة الاسترداد المسيحية فسقطت مدينة وكذلك شنترين

حاول أبي يعقوب يوسف ثاني خلفاء الموحدين في عام ٥٨٠ هـ أن يستعيد شنترين شمال شرقي لشبونة ، وكاد يستولى عليها لولا أنه أصيب بمرض مفاجئ

فرفع الحصار وتوفي الخليفة في ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ/ يوليو ١١٨٤م وخلفه أكبر أبنائه أبو يوسف يعقوب الذي تلقب بالمنصور.

معركة الارك :

وقد قرر هذا الخليفة الموحدي أن يقوم بحملة كبرى على الأندلس ، فاستعاد مدينة شلب ، وحاول استعادة قصر أبي دانس ثم عاد إلى إشبيلية وفى سنة ١١٥٧ م

وعقد الصلح بين الموحدين وملوك قشتالة وعندما انتهت مدته في عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م بدأ بمهاجمة اراضى المسلمين معه أبو يوسف بنون إلى الأندلس في جيش صدم سنة ١٩١ م وكانت وجهته الحقيقية طليطلة ، ولكن الفونسو الثامن عجل

وعسكر عند حصن يسمى الأرك في نهاية الطريق المؤدي من طليطلة إلى قرطبة ، وبدأت المعركة الحاسمة في التاسع من شعبان ٥٩١ هـ / يوليو ١١٩٥ م وقد انتهت المعركة بنصر حاسم للمسلمين وكان لها نتيجتها في توطيد حكم المسلمين في الاندلس قرنا كاملا قادما . وبعد معركة الأرك عاد المنصور إلى إشبيلية وأخذ ينظم أمور الأندلس وشرع في إكمال مسجدها الجامع الذي اشتهر بمئذنته الباقية إلى اليوم وهي المعروفة بالخيرالدة .

معركة العقاب (Las Navas de Tolosa)، ٦٠٩هـ /١٢١٢م :

وبعد هذه الهزيمة عقدت هدنة بين الموحدين والنصارى سنة ٥٩٤ هـ /١١٩٨ م ولكن الفونسو الثامن لم يرض بالتوقف عند هذة الهزيمة وقرر ان يجمع حشود نصارى اسبانيا استكمالا لحركة الاسترداد فتجمعت قوات الملك ألفونسو الثامن مع المتحالفين (المنافسين والمتنازعين سياسيا ؟): سانشو السابع ملك نافارا وألفونسو الثاني ملك البرتغال وبيدرو الثاني ملك أراغون.

وتولى وقتها امر الموحدين الخليفة محمد الملقب بالناصر لدين الله

وتوجه الفونسو الثامن بجيوشه الى الاندلس فنزل إشبيلية ، ثم اتجه حيان ثم صعد شمال الوادي الكبير الى ان وصل الى حصن العقاب وفي ١٥ صفر هـ/ ١٦ يوليو تمت المعركة التي مني المسلمون فيها هزيمة ساحقة قتل فيها عشرات الألوف المسلمين معظمهم المجاهدين المتطوعين الأندلس وكذلك حصدت المعركة مقاتلي ،ونتج عنها سقوط مدن كبرى تباعا مثل :بياسة وأبدة ودب الضعف في الوجود الموحدي بالمغرب والاندلس بعد وفاة الناصر واستمر سقود المدن الاندلسية حتى لم يتبق منها غير غرناطة وما حولها لتعيش الفترة الاخيرة من الةجود الاسلامي في الاندلس فيما يعرف بعصر بني نصر او عصر بني الاحمر .

عصر بني الأحمر (بني نصر)في غرناطة

٦٢٩ هـ-٨٩٨ هـ١٢٣٢-١٤٩٢م

تعد دولة بني الأحمر أو بني نصر أو مملكة غرناطة كما يسميها الكثير آخر معاقل المسلمين بالأندلس، وعلى الرغم من الفترة العصيبة التي نشأت فيها إلا أنها استطاعت أن تحقق الكثير من الانجازات لاسيما الحضارية منها خاصة على المستويين الثقافي والعمراني .

ينسب ملوك بني الأحمر أو بني نصر لمؤسس دولتهم محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن حسين بن نصر بن قيس الأنصاري، والذي عرف بالشيخ وبابن الأحمر ، وهو كبيرهم إلى نهاية دولة الموحدين، فسميت الدولة باسمه.

ويعود نسب ابن الأحمر إلى الصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه بن الصامت الخزرجي ، وقد هاجر أسلافه من المشرق واستقروا مع بداية الفتح الإسلامي للأندلس بقرية تعرف بقرية الخزرج، ثم استوطنوا مدينة أرجونة إحدى حصون قرطبة، وبعد اضطراب أحوال الأندلس وضعف قوتها أواخرعهد الموحدين استغل محمد بن الأحمر ذلك ودعا نفسه حاكماعام ٦٢٩ هـ.

أما عن تسمية تسميتهم بني الأحمر فترجع للمؤسس الأول محمد بن يوسف الذي أطلق عليه لقب ابن الأحمر، نسبة لجده عقيل الذي كان أشقر الشعر مائلا للحمرة، وقد اتخذ ملوك بني الأحمر من هذا اللون اللون (الأحمر) شعارا لدولتهم، وظهر ذلك واضحا في مختلف مظاهر حياتهم من قصور وقباب وأعلام ورايات، كما ظهر هذا اللون حتى في مكاتباتهم الرسمية ، حتى أصبح هذا اللون ملازما لهم ، وهو ما أعطى سمة مميزة لهذه الدولة اشتهرت بها

كان العامل الأساسي لظهور هذه الدولة على مسرح الأحداث الأندلسية هو ضعف دولة الموحدين وقوة ضربات الهجمات النصرانية على المدن الأندلسية –حركة الاسترداد المسيحية – ، والتي أخذت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى، ولم يكن في استطاعةرجال دولة الموحدين او حتى الخارجين عليها مثل : ابن هود(احد الثائرين على الموحدين) رد تلك الهجمات وفي هذه الظروف العصيبة خرج محمد بن يوسف بن الأحمر بعدما التف حوله انصاره في مدينة أرجونة، فبويع له بالإمارة في ٢٦ من رمضان سنة ٦٢٩هـ ودعا لصاحب إفريقية (تونس) أبي زكريا الحفصية. وفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م دخل مدينة غرناطة وبايعه أهلها فاتخذها عاصمة لدولته الجديدة ، فكان ذلك التاريخ البداية الرسمية لدولة بني الاحمر في الاندلس .

عرفت هذه المملكة بعد نشأتها تدفق إليها من مختلف المدن الأندلسية الأخرى التي سقطت بأيدي النصارى كبلنسية، مرسية، جيان، إشبيلية، قرطبة وغيرها"، فأصبحت بذلك دولة بني الأحمر–او غرناطة وما حولها من ممتلكات بني نصر – الملجأ الوحيد للمسلمين بالأندلس، الأمر جعلها مقدسا نظر الإسبان جاهدين على الاستيلاء عليها الطرق والوسائل. وللأسباب التي سبق وذكرنا بعضها يستطع الاستيلاء على

كامل الأندلس، وإنما انحصرت دولته جنوبا بين الوادي شمالا والبحر المتوسط جنوبا وضمت ثلاث ولايات كبرى وهي:

*غرناطة وأهم مدنها غرناطة، اوشة، وادي آش.

*مالقة وأهم مدنها مالقة، رندة، الجزيرة الخضراء وجبل طارق.

* ألمرية وأهم مدنها ألمرية، برجة، بيرة.

وأما فيما يخص نظام الحكم الذي قامت عليه هذه الدولة فقد كان ملكيا وراثيا، ولإضفاء عليه الصبغة الشرعية دعا لبني العباس ثم للحفصيين بإفريقية.

وقد تعاقب على حكم دولة بني الأحمر عدد من الحكام ، عرف الأندلس خلال بعضها قوة وازدهارا في مختلف المجالات، وفي بعضها الآخر ضعفا وهوانا وانحطاطا كبيرا، ومن بين أبرز الحكام نذكر:

محمد بن يوسف بن الأحمر (٦٤٩-٦٧١هـ/١٢٣٢-١٢٧٣م):

أول ملوك بني نصر ومؤسس دولتهم، كان يلقب بالشيخ وبابن الأحمر وبأبي دبوس، بويع له بأرجونة في رمضان من سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م، ودخل في صراع مع ابن هود ثم دعى له سنة ٦٣١هـ، وفي سنة ٦٣٥هـ دخل مدينة غرناطة بعدما قتل أهلها عامل ابن هود وأعلنوا طاعتهم لابن الأحمر، فاتخذها هذا الأخير عاصمة لحكمه، وبعد مقتل الأحمر وكان ذلك في ٦٣٥ للهجرة ١٢٣٨ للميلاد، وفي الموالية دخل مالقة. وبذلك يكون ابن الأحمر رسم حدود دولته التي سبق وقد دعا أول أمره لحاكم إفريقية الحفصي كما دعا للعباسيين حانيا في حذر ابن هود، وحتى يكسب شرعية لحكمه إلى أن عن كله. وبالإضافة كون ابن الأحمر مؤسسا للدولة النصرية غرف الشعب، كما كانت له رغبة في أهل العلم، كان يعقد مجلسا ليومين كل أسبوع ترفع

فيهما إليه المظالم ويشافه طلاب الحاجات وينصت لأصحاب النصيحة، ويستمع لإنشاد الشعراء في مجلس كبير يحضره العلماء والقضاة وأصحاب الرتب الدولة. وعرف الأحمر كذلك وتطبيقه للقوانين وضعها الفقهاء، كما أنشأ للعميان وأخرى للعجزة مستشفى كبيرا ومنازل للغرباء، وأقام مخازن للحبوب ومختلف المواد الغذائية بالإضافة جملة من القصور والحصون والتي سوف نتعرض لها في آخر.

وبذلك كانت أيامه حافلة بالإنجازات التي جعلت من دولة بني الأحمر دولة متماسكة وتساير الدول المعاصرة لها رغم تربص الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الآيبيرية بها، فكسب ابن الأحمر نتيجة لذلك شهرة كبيرة في العالم الإسلامي إلى أن توفي يوم ٢٩ من شهر جمادى الثانية من عام ٦٧١ للهجرة ،.

محمد الثاني(٦٧٢-٧٠١هـ/١٢٧٣-١٣٠٢م):

_محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، المعروف بالفقيه وذلك لاشتغاله بالعلم والمشاركة فيه، ولد بغرناطة سنة ٦٣٣ للهجرة، انتقل إليه عرش الدولة النصرية بعد وفاة والده ، فاستمر على نهجه ، و لا سيما في تثبيت أركان الدولة الناشئة ، بعدما عرفت الكثير من الفتن الداخلية والخارجية، حيث عرف هذا السلطان كيف يواجهها ويتغلب عليها بفضل حنكته ودهائه

وقد كان اهتمام هذا السلطان بالعلم واضحا وكبيرا، إذ كان يحترم العلماء ويجلهم، كما كان له مشاركة في مجال الأدب من خلال قصائده الكثيرة وسنتطرق لذلك في الفصول اللاحقة. توفي محمد الفقيه في سنة ٧٠١هـ فخلفه ابنه محمد،

محمد الثالث (المخلوع) (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩):

محمد بن محمد بن محمد بن نصر ثالث ملوك بن نصر، عرفت الدولة في عهده الأمن والسلام فكانت أيامه أعيادا على حد تعبير ابن الخطيب. وحرص على توطيد

علاقاته مع الدول المجاورة لا سيما المرينيين والقشتاليين، وقد صادفت عهدته حصار المرينيين لتلمسان فساهم بفرقة من الرماة أمد المرينيين للمشاركة في الحصار، كما أقام هدئة لثلاث سنوات مع القشتاليين.

وتذكر المصادر التاريخية أنه بسبب كثرة العهر وضوء الشموع أصابه مرض بعينيه، فاستبد بالحكم وزيره عبد الله الحكيم، مما كان سببا في قتل هذا الأخير وعزل السلطان محمد الثالث سنة ٧٠٨وتعيين مكانه أخاه نصر".

أبو الجيوش نصر بن محمد (٧٠٨-٧١٣هـ/١٣٠٩-١٣١٤م):

نصر بن محمد ابن محمد بن يوسف بن نصر ويكنى بأبي الجيوش، تولى الحكم بعد أخيه المخلوع، ثار عليه واعتقله وقتل وزيره ابن الحكيم اللخمي وقام باستوزار محمد بن الحاج الذي كان داهية، ومن أسباب كره أقارب السلطان لأبي الجيوش إذ فلت سيرته، كما استعمل الشيخ أبي الحسن بن الجياب في الكتابة.

وفي عهده كثرت الفتن سواء الداخلية أو الخارجية، فلأول مرة في تاريخ الدولة النصرية تتحالف مملكتا أراغون وقشتالة ضدها، مما جعل أبا الجيوش يتصالح مع المرينيين لتجاوز المحنة، وما إن تجاوزها حتى ثار عليه ابن عمه إسماعيل بن فرح وعزله ونفاه إلى وادي أش واستولى على الحكم".

أبو الوليد إسماعيل الأول(٧١٣-٧٢٥هـ/١٣١٤-١٣٢٥م):

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر المكنى بأبي الوليد المعروف بحسن الخلق والعدل كما ذكرته جل المصادر التاريخية،

كانت له وقائع عديدة مع النصارى، وفي عهده ظهرت رتبة شيخ الغزاة، إذ قام هذا السلطان بتعيين عثمان بن أبي العلاء من بني مرين على رئاسة الجند". توفي أبو الوليد مقتولا على يد ابن عمه محمد بن إسماعيل

محمد بن إسماعيل بن فرج(٧٢٥-٧٣٣هـ/١٣٢٥-١٣٣٣م):

أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن فرج النصري، تولى الحكم بعد وفاة والده إسماعيل، كان من أكثر الحكام صرامة وشهامة وشجاعة، قد تصل في بعض الأحيان إلى حد التهورة، كما عرف كذلك بحبه الكبير للأدب وخاصة الشعر منه، إذ عرف بموهبته في النصارى، إذ في عهده ألفونسو الحادي عشر القتالي حملة عسكرية على مدينة غرناطة سنة ٧٢٨١٣٢٧جعلت السلطان النصري يستنجد بالمرينيين وسلطانهم سعيد المريني، ونظرا لاتصافه بتسلط لناسه وتجاوزه للحد العتاب والوعيد فقد عليه رؤساء المغاربة، ونصبوا كمينا أثناء عودته حملته على طارق سنة ٧٣٣١٣٣٣وقاموا بقتله وتركه ملقى هناك،

أبو الحجاج يوسف(٧٥٥٧٣٣هـ/١٣٥٤١٣٣٣

آخر أشهر سلاطين بني الأحمر وصفه لسان الدين بن الخطيب ببدر الملوك وزين الأمراء، في عهده عرف دولة بني الأحمر أزهى عهودها، وهو الذي استوزر لسان الدين بن الخطيب،مؤرخ الاندلس وأديبها الأشهر ، وفي عهده حدثت معركة طريف سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م ضد نصارى اسبانيا ، والتي شارك فيها بنو الأحمر وبنو مرين وسلطانهم يومئذ أبو الحسن المريني ، وانتهت بهزيمة كبيرة للمسلمين، حيث أنها شجعت كثيرا النصارى وذكرتهم بموقعة حصن العقاب. وبعد هذه المعركة دخل أبو الحجاج غرناطة وانصرف إلى تنظيم شؤون دولته، إلى أن توفي مقتولا في الأول من شوال ٧٥٥هـ/ ١٣٠٤م بالمسجد الجامع بغرناطة.

محمد الخامس:

هو الغني بالله محمد بن يوسف الأول، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، وكان لا يزال صبيا، واستمرت فترة حكمه الأولى إلى عام ٧٦٠هـ،حيث خلعه اخوه اسماعيل فاستنجد بسلطان المغرب أبو سالم المريني ودخل مدينة فاس، أما إسماعيل فتذكر المصادر التاريخية أنه لم يحسن تدبير شؤون الحكم، فأستحوذ ابن عم والده محمد بن إسماعيل الحكم وقتله، وعندما علم محمد الخامس بذلك عمل على محاولة استرجاع إمارته، فدخل الأندلس وتم له ذلك بمساعدة ملك قشتالة بطرس الاول عام٧٦٢ هـ/١٣٦١ م .

وتمتعت مملكة غرناطة في عهده بعلاقات طيبة مع دول المغرب الإسلامي وكذا دولة المماليك بالمشرق الإسلامي، ولما توفي سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م كانت دولته تتسم الى حد كبير بالاستقرار والازدهار.

وتوالى على الأندلس العديد من الحكام ، لكن اغلبهم اتسم بالضعف رغم محاولة العديد منهم الدفاع عن حدود المملكة وتواجدها ، ولكن توحد الممالك الاسبانية من وضعف الدول الإسلامية في المشرق والمغرب

ومن أبرز الذين السلاطين الذين تولوا الحكم بعد محمد الخامس نذكرمنهم :

ابنه يوسف الثاني ٧٩٥-٧٩٣هـ/١٣٩٣-١٣٩٢)، ومحمد السادس(٨١٠-٧٩٥م /١٤٠٨-١٣٩٣م) ويوسف الثالث (٨٢٠-٨١٠/ ١٤١٨-١٤٠٨م) ومحمد السابع ، وأبو عبد الله الزغل (٨٩٢-٨٩٠/ ١٤٨٧-١٤٨٥م)، وآخرهم أبو عبد الله محمد الصغير (٨٩٢ ٨٩٧-هـ/ ١٤٨٧ -١٤٩٢م) والذي لقب بالصغير تمييزا له عن عمه الزغل، وفي عهده نجح الإسبان من إسقاط مملكة غرناطة آخر الدول الإسلامية بالأندلس،وذلك بعد حصار دام سبعة اشهر

دام الحصار سبعة أشهر صمد خلالها اهل غرناطة وفشلت محاولات الاقتحام المتكررة. ومع بداية شهر محرم من عام (٨٩٧ هـ/أواخر ١٤٩١م) حتى عم اليأس وانتشر الجوع والمرض وفشلت محالولات الاستنجاد بالممالك الاسلامية، فاجتمع اعيان القوم واتفقوا على تسليم المدينة، وتم التوقيع على معاهدة التسليم في الخامس والعشرين من ديسمبر (٨٩٧ هـ/١٤٩١م)،. أما شروط التسليم فوردت في وثيقة مشهورة وأهم ما جاء فيها:

-توقف القتال سبعين يوماً يتم بعدها تسليم غرناطة اذا لم تصل الامدادات من الخارج.

- اطلاق الاسرى المسلمين في قشتالة. - تأمين المسلمين على انفسهم وأموالهم واعراضهم.

- احتفاظ المسلمين بشريعتهم وقضائهم ونظمهم باشراف حاكم نصراني.

-أن يسير المسلم في ديار النصارى آمناً لا يحمل علامة مميزة.

- ان لا يقضي فيما بينهم سوى قضاتهم، واذا وقع النزاع بين مسلم ومسيحي تحكم في الامر محكمة مختلطة.

- تأمين حرية الدين والشعائر والحفاظ على المساجد والاوقاف.

- أن لا يدخل مسيحي في مسجد أو دار مسلم.

-ألا يدفعوا ضرائب غير التي يدفعها النصارى.

- أن يجتاز الى سواحل المغرب من يشاء من المسلمين في سفن ملك النصارى، لمدة ثلاث سنوات من دون مقابل.

- أن لا يقهر مسلم أو مسلمة على التنصر.

- أن يعامل الحاكم النصراني المسلمين بالرفق والعدل.

- أن يوافق البابا على الوثيقة.

أما الملك أبو عبدالله فقد اتفق أن يغادر المدينة الى منطقة البشرات ويعطى املاكا فيها يتعيش منها ويدخل في طاعة ملك قشتالة، كما اتفق ان تقدم غرناطة خمسمائة من أعيانها رهائنا ضمانا للاخلاص والطاعة. وقد أقسم الملكان فرديناندو وايزابيلا على الوثيقة من أجل أن يطمئن المسلمون ويثقوا بصدق بنودها .

ولم ينتظر ابو عبدالله انقضاء المدة للتسليم، ففتحت المدينة ابوابها فجر الثاني من كانون الثاني (٨٩٨ هـ/١٤٩٢م)، فدخل نفر من القادة القشتاليين وتسلموا مفتاح المدينة من أبي عبدالله في برج قمارش من الحمراء. وفي الصباح دخل الجند غرناطة ، ثم دخل فرديناندو وازابيلا الحمراء ظافرين.

في اليوم نفسه غادر أبو عبدالله قصره ومعه أهله وبعض أصحابه واتجه نحو منطقة البشرات. وتذكر المصادر التاريخية أن أبا عبدالله توقف في تل البذول (بادول) المشرف على غرناطة ثم انهمر دمعه وأجهش بالبكاء، فقالت له أمه عائشة:

«ابك كالنساء ملكا لم تستطع أن تحافظ عليه كالرجال»،

فسميت تلك التلة باسم «زفرة العربي الاخيرة».

بعد مضي أشهر قليلة على اقامته في مقره الجديد ادرك ابو عبدالله أن تلك الحياة ا لا تليق به، فعمل على الرحيل من غرناطة . حيث تنازل عن حقوقه مقابل ثمانين ألف ذهبية وغادر الاندلس الى االمغرب واستقر في مدينة فاسوتوفى بعد أربعين سنة من سقوط اخر معاقل المسلمين في الاندلس .

مصادر ومراجع الفصل :

ابن الخطيب: (لسان الدين)
(ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

-أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)،تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.القسم الثاني والثالث

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية،ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.

-الإحاطة في أخبار غرناطة،ط١، مطبعة الموسوعات مصر،

-كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، ط١،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣.

- معيار الاختبار في ذكر المعاهد،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ٢٠٠٢م.

رقم الحلل في نظم الدول ،المطبعة العمومي بتونس ،

ابن خلدون: (عبد الرحمن) (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

-العبر وديوان المبتد والخبر الشهير بتاريخ ابن خلدون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ٢٠٠٤م الجزء السابع

المقرى:(شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمسانى)
(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)

-نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، الجزء الثاني تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٨م.

مؤلف مجهول:

-نبذة العصر في أخبار بني نصر، تعليق ألفريد البستاني،ط١مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

شكري فرحات يوسف:

-غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجيل، بيروت،١٩٩٣م.

محتويات الكتاب

القسم الأول :تاريخ المغرب الإسلامي

الفصل الأول : الفتح العربي لبلاد المغرب

الفصل الثاني : عصر الولاة في المغرب

الفصل الثالث :عصر الدول المستقلة في المغرب

الفصل الرابع : عصر الدولة الفاطمية

الفصل الخامس :المرابطون في المغرب

الفصل السادس :الموحدون في المغرب

القسم الثاني :تاريخ الأندلس

الفصل الأول : الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

الفصل الثاني : عصر الولاة في الأندلس

الفصل الثالث :الدولة الأموية في الأندلس

الفصل الرابع : عصر الطوائف

الفصل الخامس :المرابطون في الأندلس

الفصل السادس :الموحدون في الأندلس

الفصل السابع : دولة بني الأحمر في غرناطة .